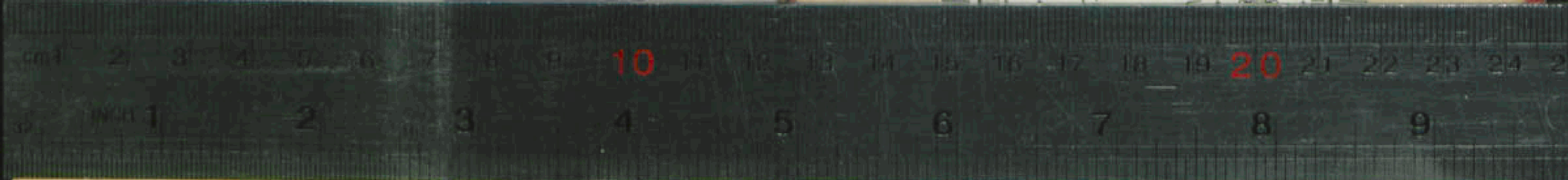



کتابخانهٔ مجلس شورای ملی



شرح سور ملاصدرا

پنج رساله است
از حکیم ربانی صدر المتالهین آخوند
مولی صدرای شیرازی
مشهور علیه
الرحمه

علم آصف گنج قارون صبر ایوب رسول
انوری فی المطالب
یادگر داین هر سه
الله کتاب
لقمان حکیم
هر که با زر عاشق با این سه چیز نیکنام
لام او هرگز نه بیند روی صبا و رو دیم

هو تقتی

بسم الله الرحمن الرحیم وبه نستعین

الحمد لواهب النفس والعلم والعقل والصلوة على النبي والولي والآل وبعد فيقول الملتجي الى باب ربه الكريم محمد المشتهر بصدر بن ابرهيم الشيرازي اعلم ايها الطالب السالك الى الله بقدم المعرفة والتقوى ان الموجود اما موجود بذاته قيوم بنفسه واما موجود بغيره قايم بما عداه فالاول هو الله جل اسمه وله الاسماء الحسنى والصفات العلى وعنده مفاتيح الاشياء وبيده مقاليد السماء والثاني اما جوهر موجود لا في موضوع او عرض موجود فيه والجوهر اما جسماني او روحاني والروحاني اما كامل او ناقص و الكامل اما كامل بالفطرة الاولى او بالفطرة الثانية والناقص اما مستكف بذاته وبما يقوم ذاته اولا والناقص المستكف اما قابل للاستكمال ام غير قابل له فالاول هم الملئكة المهيمة والثاني هم النفوس الكاملة الانسانية والثالث هم الملائكة السماوية على طبقاتها والرابع النفوس الانسانية في اول تكونها واخس النفوس والصور الارضية المنكوسة مطلقا سواء كانت بحسب الفطرة كالحيوانات او بحسب التعلق والاكتساب كنفوس الاشرار من الفسقة والكفار وهي بمنزلة الشياطين المطرودة من عالم الرحمة والرضوان الى عالم النقمة والخسران فان النفوس الانسانية في اول الفطرة القوة والاستعداد لان يخرج اما الى الملكية او الى الشيطانية او الى السبعية او الى البهيمية ففيه قوة امور اربعة

الاعلياء المرسلون هم
السماويون هم
الشيطانية

احدها خير وسعادة والثلثة الاخيرة شر وشقاوة وخسران ووبال وانما يخرج من القوة الى الفعل اما الى ذلك واما الى هذا بسبب افعال وادراكات متكررة فالاعمال والعلوم على فنونها وشعبها اما مقربات من الحق تعالى واسباب لحصول المنزلة عنده والارتقاء الى اوج ملكوته الاعلى من حضيض البشرية الادنى كما اشير اليه في قوله تعالى اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه واما مبعدات منه تعالى واسباب للبعد عن عالم الالهية والوقوف في الهاوية السفلى والمرحلة الدنيا ومعدن البوار ودار الدثور وموطن اصحاب القبور كما اشار اليه تعالى بقوله وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا وقوله هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا الذين ضل سعيهم في الحيوة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا ولما كان الحال على هذا المنوال بعث الحق تعالى على عباده بمقتضى العناية الازلية والرحمة الربانية لطفا جديدا غير ما فطرهم الله عليها في الفطرة الاولى وايدهم باحسانه مددا ثانويا بعد ما فتشاهم الله في النشاة الدنيا فنصب لهم في علمه وعمله وارسل رسولا هاديا الى طريق الخير رادعا عن طريق الشر وانزل كتابا جامعا الهيا يهدي الى الرشد وصحيفة ملكوتية فيه اسرار علوم السابقين واللاحقين بحار معارف الاولين والاخرين وفيه تبيين الحلال و الحرام من الاعمال والافعال والحسن والقبيح من الصفات والاخلاق والصواب والخطاء من العقايد والعلوم لينتبه ويستيقظ الانسان عن نوم البهيمية ورقدة الطبيعة ويحيى بروح المعرفة والتقوى ويقوم الى العبودية ويسلك طريق الهداية والخير ويهتدي الى صراط الله العزيز الحميد وينزع عن طاعة الهوى وخدمة النفس وعبودية الشيطان

يهلك ظ

فالحق مقتضى رحمته الشاملة وعنايته البالغة لم يخل الانسان سدى كسائر الحيوانات
التي ليست في قوتها واستعدادها درجة الارتقاء الى العالم الاعلى والخلاص عن
القرية الظالم اهلها ومشاركة البهائم والحشرات الضالة عن المحجة البيضاء فاوضح له
السبيلين وهداه النجدين وبين طريقي الخير والشر وسبيلي الحق والباطل وبين
ان اي الافعال يوجب النعيم والغفران والجنة والرضوان وايها يوجب النقمة و
الخسران والدركة والخذلان قال الله تعالى يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك
اي افض على قلوب عبادي مما افضنا على قلبك وعلمهم ما علمناك وهذه الافاضة
والتعليم وان كانت عامة شاملة وهذه الهداية وان كانت تامة كاملة لم تنتفع
بها الا النفوس السليمة عن امراض الكفر والعدوان والقلوب السالمة عن افات
الحسد والطغيان الا من اتى الله بقلب سليم واما النفوس الشقية العنيدة التي
كفرت بانعم الله فلم يؤثر فيها الحكمة والقران بل اثرت فيها اضداد ما يؤثر
في اهل السلام والايمان كما ان نور الشمس مع اختلاف تاثيرها في تنوير بعض
الجواهر واظلام البعض وترويح المواد العطرية وتعفين المواد العفنة
وتبييض ثياب القصارين وتسويد وجوههم فكذا حكم تاثيرات انوار القران على
القلوب المختلفة في الصقالة والكدورة واللطافة والكثافة يوم تبيض وجوه
وتسود وجوه يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا وذلك لاختلاف القوابل و
الاستعدادات وتفاوت الغرائز والجبلات فالهادي بالذات القوم ربما يكون
مضلا للقوم الاخر من هذا الوجه فالانتفاع بالرسول والقران انما يختص

باهل

باهل الهداية والايقان لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا دون الكفار و
المنافقين سواء عليهم ءانذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون واما فايدة هذه البعثة و
الامر ونتيجة هذه الانذار والانزال اما بالنسبة الى القلوب السليمة فبان يتلو عليهم اياته
ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ويرشدهم الى سبيل الله ويهديهم الى رضوانه وجنته
ويبين لهم احوال الاخرة وتوزيع الدرجات وتفاوت الشقاوات والسعادات ويشرح
لهم الطاعات المنورات المقربات والمعاصي المكدرات المبعدات ويحل لهم الطيبات ويضع
عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم واما بالنسبة الى القلوب القاسية والنفوس
المؤفة العصوفة المنكرة احكام الله فبان يكون لله حجة بالغة عليهم يوم القيمة لئلا يكون
للناس على الله حجة بعد الرسل لئلا تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير فقد جاءكم
بشير ونذير وليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة فاذا تمهدت
هذه المقدمات فاعلم ان هذه السورة مشتملة على امهات المقاصد الايمانية واصول
الحقائق العرفانية من معرفة الله سبحانه وصنعة المبدأ والمعاد وكيفية البعث والارسال
والتعليم والانزال ومهية الكتاب والرسول فاردت ان ارفع حجاب الاجمال عن
اياتها وفصولها واكشف قناع الغموض عن وجه بيناتها واصولها مضيفا اليه
ما رفعت الحجاب عن الفاظها ومعانيها وكشفت القناع عن اصولها ومبانيها من السور
والايات والحجج والبينات وهذه المعاني والاسرار والامور التي سنذكرها قطرة من بحرها
الزاخر ولمعة من بدرها الزاهر وقد اوردتها في مطالع وشرحت فيه اصول مسائل
ربوبيتها ومباني قواعد الهيتها وها انا اشرع في الافاضة والتعليم بقوة العزيز الحكيم

بسم الله الرحمن الرحيم في قوله تعالى يسبح لله ما في
السموات وما في الارض الملك القدوس العزيز الحكيم
جر هذه النعوت لانها تابعة للاسم المجرور في الكشاف وقرئ صفات الله تعالى بالرفع
على المدح على انه خبر مبتدأ تقديره هو الملك القدوس اي تقدس وتنزه ويسبح
وتشهد له بالوحدانية والربوبية والتقديس والعزة والحكمة كل ما في العلو والسفل
والملكوت الاعلى والسفلي اشراق آخر انما قال مرة سبح بصيغة الماضي و
مرة يسبح بصيغة المضارع ليكون تنبيها للناظر الخبير على دوامه ولا ريب على دوام وقوع
تنزهه عن الموجودات المتغيرات في السوابق واللواحق وعن الثابتات فيما سبق وفيما
لحق اي سبح له سوابق الممكنات ويسبح له لواحق الكائنات مما في الارض والسموات
من جهة مباديها وعللها السابقة وعوارضها ونتائجها اللاحقة اشراقات
ربوبية مسلك قدم في تفسير الجلالة في تفسير آية الكرسي والملك الحق ما
له وجود كل شيء ويفتقر اليه كل شيء فاذن من لا يكون موجد الجميع ما سواه لم يكن له التصرف
في شيء من الاشياء حيث شاء ومتى شاء وبأي وجه شاء فلم يكن ملكا حقا بل مع
شركة من الغير وافتقار له الى الغير فكل ملك حق يجب ان يكون موجد الكل واله
الجميع والقدوس هو المجرد المستغني في وجوده وصفته عن التعلق والارتباط بغيره سواء
كان فاعلا له او غاية او مادة او صورة او محلا او عرضا او نحو ذلك مطلقا في
نفس الامر او بحسب مرتبة منها مثل تعلق وجود الشيء ذي الماهية بماهيته فالله سبحانه مقدس عن
التعلق بالاسباب والمبادي كالسبب المحصل له ولا سبب موجد له ولا منه ولا عنه ولا فيه ولا

معه لا لكن شيئا من هذه الامور يسقط اوليته ويصادم تقدمه وآليته وهو مبدأ الاشياء
ومنتهاها واولها وآخرها وظاهرها وباطنها والعزيز بالحقيقة هو المنزه عن كل نقص و
الممتنع عن كل ريب والمتجرد عن ان يصل الى نيل جلاله افهام العاقلين فضلا عن الغافلين
او ان يدرك كنه جماله انظار الموحدين المحصلين فضلا عن افكار الملحدين المبطلين
والحكيم العالم الذي يعلم نظام الخير في الاشياء ويصنع الاشياء على وجه يؤدي كل منها
الى غايته الاصلية ويترتب على مجموعها الخير المحض والكمال المطلق فالحكمة تتحصل
من علم تام وقدرة تامة اذ القدرة صفة تؤثر وفق العلم والارادة وهي فينا
في الكيفيات النفسانية مصححة للفعل وتركه وقوة على الشيء وضده وتعلقها بالطرفين
على السواء فلا تكون تامة فهي فينا محض القوة والنقص لان مبادي افعالنا الاختيارية
واردة علينا من خارج كالعلم بالفائدة ثم الشوق ثم الاجماع المسمى بالارادة و
الكراهة وهو تعالى هو الفعل فقط اذ لا جهة امكانية فيه سبحانه وليست قدرته مندرجة
تحت احدى المقولات الامكانية بل هي كون ذاته تعالى بحيث يصدر عنه الموجودات
لاجل علمه بنظام الخير الذي عين ذاته فاذا نسبت اليه الممكنات من حيث انها
صادرة عن علمه كان علمه بهذا الاعتبار قدرة واذا نسبت اليه من حيث
ان علمه كاف في صدورها كان علمه بهذا الاعتبار ارادة واذا كانت الاشياء الصادرة
عن علمه على غاية الاحكام والاتقان وخيرية النظام كان علمه بهذا الاعتبار حكمة ذكر
تقديسي ان في القرآن نصوصا قاطعة على سريان تسبيح الحق كسريان نور الوجود
والشهود في جميع الموجودات حتى الجماد والنبات وعليه دلائل وشواهد عقلية وكشفية و

امارات واشارات نقلية سمعية فمن الطريق الاول مسلكان ثم اولهما ان كل موجود من
الموجودات العالية دال لمن نظر وتامل فيها على وجود صانعه ووحدانيته وعلمه وارادته
وقدرته وحكمته دلالة عقلية واضحة فهي مسبحة مهللة ممجدة مكبرة وحقيقة التسبيح والتهليل و
التمجيد والتكبير الشهادة على وحدانية الصانع وتنزيهه عن النقايص واظهار عظمته وكبريائه و
الدلالة على الهيته وقدرته سواء كانت بالالفاظ او بالذوات او بالصفات وسواء كانت
الدلالة بوضع واضع وجعل جاعل او بكون وجود الدال عين كونه دالا بلا تخلل وضع و
جعل فكل موجود بمنزلة كلام ناطق دال على تنزيهه تعالى وتقدسه عن سمات النقص والزوال
واعلى المراتب في الشهادة عليه تعالى ذاته بذاته ثم دلالة الملئكة المقربين ثم اولى العلم من عباده
الصالحين ثم ساير الموجودات لقوله تعالى شهد الله انه لا اله الا هو والملئكة واولوا
العلم وقوله كل يسبح بحمده المسلك الثاني انه تعالى معية ثابتة له مع جميع الموجودات
وظهور خاص منه في كل الهويات وهذه المعية ليست كمعية جوهر مع جوهر او عرض ولا كمعية عرض
مع عرض او جوهر بل اشد من معية وجود مع الماهية من غير ممازجة ولا اتصال ولا اتحاد
موجود بموجود ولا كاتحاد ماهية متحصلة بماهية متحصلة لانه كما قال امام الموحدين ويعسوب الدين
عليه السلم مع كل شيء لا بممازجة وغير كل شيء لا بمزايلة فكل موجود من الموجودات مستغرق في
بحر وجوده ومتواصل في اشراق شهوده فاذا كان الحق بجميع صفاته الكمالية ونعوته
الجلالية متجليا على جميع الاشياء فكل من الموجودات عين شاهدة لاوصاف جماله ولسان
ملكوتي مسبح مقدس لنعوت كماله فكل ما في السموات وما في الارض يسبحه ويهلله ويمجده ويكبره
بجميع السنة ذواتها وقواها ومشاعرها وضمايرها واسرارها قولا وفعلا وضميرا واعتقادا

حكمة

المتعالية

حكمة سبحانية قد تقرر في انظارنا الحكمية واسفارنا الحكمية ان جميع الموجودات متوجهة نحو
الحق تعالى طبعا وارادة وعقلا وهذا المعنى مشاهد في اكثر المحسوسات الجوهرية مثل بذر النبات
في حركاته نحو الكمال ونطفة الحيوان في تطوراته وانتقالاته من حال الى حال حتى وصل الى
درجة الانسان واول مرتبة العقل الهيولاني المتهيئ للاستكمال شيئا فشيئا الى ان يصل الى درجة
المستفاد بل العقل الفعال ثم يرتقي الى ان يبلغ طور الولاية والقرب من الله النور المتعالي واذا
ثبت هذا وتقرر فقد علم ان كل موجود على حسب وجوده عارف بربه المتصف بصفات
الجمال المنزه من نقايص الحدوث والزوال ومن عرف الله فلا محالة يسبحه ويقدسه وينزهه
بلسان الحال والمقال والفعال فكل موجود يسبح بحمده الا من غلب عليه الوهم المغير لخلق
الله كما ستعرفه بعد واما الطريق الثاني فالايات والاحاديث الدالة على
تسبيح الموجودات حتى الجمادات كثيرة غير محصورة منها ما افصح الله تعالى عنه بقوله
ولله يسجد من في السموات ومن في الارض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب
وكثير من الناس وكثير حق عليه العذاب ومن يهن الله فما له من مكرم ومنها قوله
اولم يروا الى ما خلق الله من شيء يتفيؤا ظلاله عن اليمين وعن الشمايل سجدا لله وهم
داخرون فقد اشار سبحانه الى ذلك التفيؤ يمينا وشمالا سجوده لله وعبوديته و
صغاره وذله لجلاله وجماله ومنها قوله جل اسمه اهذا اللفظ ولله يسجد ما في السموات
وما في الارض من دابة اي من يدب عليها ثم قال وهم يعني اهل السموات والملئكة
يعني الذين ليست في سماء ولا ارض لا يستكبرون عن عبادة ربهم ثم وصفهم بالخوف
ليعلمنا انهم عالمون لمن يسجدون اليه ثم وصف المامورين منهم انهم يفعلون ما يؤمرون

ثم قال في حق الذين عند ربهم يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسأمون اي لا
بالملون ولا يفترون كل ذلك للدلالة على ان العالم كله في مقام الشهود والعبادة
الا ان كل مخلوق له قوة التفكر وليس الا النفوس الوهمانية الشيطانية والحيوانية خاصة من حيث
اعيان انفسهم لا من حيث هياكلهم وظلالهم فان هياكلهم وظلالهم كسائر اعيان
العالم في التسبيح والتقديس والسجود فاعضاء البدن كلها مسبحة الا ترى انها تشهد على النفوس
المسخرة لها يوم القيمة من الجلود والايدي والارجل والالسن والسمع والبصر وجميع القوى
فالحكم لله العلي الكبير واما النفوس الوهمانية فهي مغيرة خلق الله عما فطر عليه تبتكه اذان
الانعام ومنها ما في الادعية النبوية على الداعي بها وآله افضل الصلوة والتحية اللهم
انت الذي سجد لك السماء والارض وسواد الليل ونور النهار وضوء القمر وشعاع الشمس
وحفيف الشجر ودوي الماء وانما ذكر صلى الله عليه وآله هذه الامور الضعيفة الوجود
استظهارا لتحقق التسبيح والعبودية لمبادئها الجوهرية الصورية ومقوماتها النوعية النورية
فافهم واغتنم سرا اشرافي حقيقة التسبيح وروحها تجريد الذات الالهية عن علائق الاكوان
وشوائب الحدوث والامكان وهذا لا يتحصل الا ممن كان له نحو من التجرد والطهارة
فكل من كان حقيقته اشد تجردا واقوى تخلصا عن المواد الكونية واتم تنصلا عن الغواشي
الدنياوية فهو اتم تسبيحا لان كل احد لا يعتقد شيئا الا ما في جوهره وذاته وهذه الحقيقة
لها مراتب اعلاها ما في مرتبة الاحدية الحقة الالهية سبوح قدوس رب الملائكة والروح و
ثانيها تسبيح الملائكة المقربين المهيمين ولكل منهم تسبيح واحد مشتمل على اعداد التسبيحات
التي لما دونه هو عين ذاته وثالثها تسبيح الملائكة السماوية ولكل منهم تسبيحات متعددة حسب

اعداد

اعداد الدورات الاكرية الفلكية والكوكبية واعداد الارتباطات والانظار والقرانات
والاتصالات السماوية وبالجملة حسب تكرر الحوادث الماضية والآتية التي وقعت لكل كرة من
الكرات المتسلكة في سلك تمادي الازمنة والاوقات ورابعها تسبيح الملائكة الارضية والنفوس
المنطبعة مع طبايعها وقواها السفلية وخامسها ذكر الابدان والابعاد مع اعضائها
واجزائها وكل مسبح ذاكر ربه بلسان يخصه بل لكل واحد السن لذكر الحق وتسبيحه بوجوه
كما ذكره صاحب فصوص الحكم بقوله فالكل السنة الحق ناطقة بالثناء عليه بل لنا
نحن قلت لكل واحد تسبيح وذكر لربه فالعالم كله من جهة الوحدة الطبيعية كما
اثبتها المحققون تسبيح واحد وذكر موجز لوصف كماله تعالى ونعت ربوبيته و
شخص مسبح بوجه اولسان للحق ذاكر له بوجه هذا باعتبار وحدته واما باعتبار
كثرته وتفصيله فاثنينية وتسبيحات اومثنيات ومسبحات حسب تعدد الموجودات
وتكثر الممكنات فان كل طبيعة نوعية لها افراد غير متناهية فلها مثال عقلي هو رب
اصنامها الشخصية وافرادها المادية وهو الملك الهادي لها طريق الخير والكمال
والصارف عنها الشرور والآفات والوبال وذلك الملك المدبر المربي لها يسبح الحق
بالسنة تلك الافراد كلها كما اشير اليه في اشارات النبوية والرموز الولوية وبهذا
تتضح وينكشف تسبيح الجمادات والنباتات بل الامر حيث لكل نوع منها وجه الى الحق لا
هو طباعه التام وحقيقته الاصلية المقوم لافراده المتمم لاحاده بحيث يكون فعلها فعله وذاتها
ذاته لان نسبة الافراد لكل طبيعة متكثرة الاصنام لما هو ربها ومدبر اصنامها نسبة البدن بما فيه
من القوى والاجزاء الى النفس الناطقة الا انه لا ينفعل ولا يتأثر منها كما ينفعل نفوسنا

من ابدانها مادمنا في هذا العالم فكما ان وجود البدن وقواه متحد مع وجود النفس وافعاله
مستهلكة في افعالها فكذلك الحكم فيما اشرنا اليه وهذا الوجه في تسبيح هذه الموجودات اقرب
المآخذ مما ذكره بعض العارفين في تاويل هذه الآية وهو قوله المسبح هو الروح المنبث في
ساير الارواح والقائم بالصور والاشباح وهو وجه الوجه في الحق وهي الذوات
المتنوعة بتنوعات الخلق قال الله تعالى كل شيء هالك الا وجهه فالهاء في وجهه عائدة الى الشيء
الهالك الذي لا ينفي حقيقته بفنائه فالبدن الحسي وصورته الحسية والروح هي المسبح الطالعة والمشاهدة
السامعة مستمرة الحكم بذلك في الوجود فمنها التسبيح والسجود حين الصعق اللاحق بهما الا وجهه
حين يقول سبحانه لمن الملك اليوم فلا يجيبه احد لخمودهم بالصعق الاخروي فيجيب نفسه لله
الواحد القهار المطلع الثاني قوله تعالى هو الذي بعث في الاميين
رسولا منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة
وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين وفيه اشراقات المقدمة
في اللغة بعث في الاميين يعني العرب لانهم كانوا امة امية لا تكتب ولا تقرأ ولم يبعث اليهم
نبي عن مجاهد وقتادة وقيل يعني اهل مكة لان مكة شرفها الله يسمى ام القرى وعن بعض
المحققين من اهل الكشف انه الرسول يسمى بالامي لانه منسوب الى ام الكتاب اي اللوح المحفوظ
وبهذا الاعتبار يكون من الاميين فهو رسول مبعوث من الله في الاميين مع كونه من جنس
الآدميين متعلق بعالم البشرية المركبة من الماء والطين لتمكن الوصول اليه والملاقاة معه و
الاهتداء به والاستفادة من ذاته والاستضاءة من شعاع عقله المنور بنور الله بوسيلة
المشاركة الجنسية والمطالعة لنور ذاته الواقعة في سماء اللاهوت من تحت اصطكاك الحواس و

العقول

العقول والاستماع لتلاوة آيات القرآن منه في عالم المخاطبة الكلامية والمقارعة الصوتية
ثم اشراق الاول في معنى كونه صلى الله عليه وآله مبعوثا بعثه حتى كونه مامورا من
جانب الله باصلاح هذا النوع الآدمي بواسطة استجماعه لشرائط الالهية وخصائص السعادة
الربانية من اوصاف شريفة كثيرة ونعوت كريمة غفيرة يشملها خصائص ثلثة متعلقة بروحه
ونفسه وحسه اما الاولى وهو اشرف الجميع فكونه مطلعا على العلوم الالهية عالما بالحقائق
مكتسبا لكلها من المبدأ الاعلى وملكوته العلوي والسفلي وحقيقة النفس بكلا جزئيها العلم و
العمل وكلتا نشأتيها الآخرة والاولى واحوال الخلائق في تلك الدار ورجوع الكل
الى الواحد القهار على سبيل الاستفادة من الهام الله بطريق الكشف الروحي والوحي السمعي لا
بوسيلة التعلم البشري والتعمل الفكري واما الثانية فكونه ذا قوة باطنة يتمثل له
الحقائق بكسوة الاشباح المثالية في العالم المتوسط بين العالمين بل السير قوة الى
الحس الظاهري فيتشبح له في هذا العالم فيشاهد الملك الملقي عيانا ويسمع كلام الله منه
كفاحا بعبارات انيقة والفاظ فصيحة دقيقة في غاية الاعجاز والفصاحة ويطلع
على المغيبات الجزئية ويخبر عن الحوادث الماضية والآتية واما الثالثة فكونه ذا
قوة قوية وبسطة شديدة وقهر على الاعداء وتسلط على الخصماء وبكونه ذا تمكن
واقتدار على تجهيز الجيوش وتثبت في الحروب والمبارزات ومصابرة على المحن و
الشدائد والامتحانات ففي الاولى يكون بعقله ملكا من المقربين وفي الثانية بمرآة نفسه
فلكا مرفوعا عن ادناس العنصريين ولوحا محفوظا من الشياطين وفي الثالثة
ملكه بحسه ملكا من عظماء الملوك والسلاطين فان هذه النشآت ثلث نشأة

الحس وبه النفس وبه الروح والعوالم الثلثة عالم الدنيا وعالم الآخرة و
وعالم الربوبية وبه الانسان يحسب غلبة احكام كل من هذه دخل في احد العوالم
الثلثة فاما النبي صلى الله عليه وآله فلجامعيته النشآت الثلث لكونه كامل القوى الحسية و
المثالية والعقلية فله السيادة العظمى والرياسة الكبرى والخلافة الالهية في العوالم
كلها فهو شارع ورسول ومن يحكم بالاولى كالملك كما ونخبر بالثانية كالفلك ونعلم بالثالثة
كالملك فافهم واغتنم الاشراق الثاني في تحقيق امتنانه تعالى على الامة بان الرسول
منهم كما يدل عليه قوله رسولا منهم وقوله لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم
وذلك للاشعار بان هذه المرتبة الشريفة النبوية من المراتب التي قد بلغت اليها النفس
الانسانية وهي منها ما حصلت للنفس النبوية عليه وآله الصلوة والتحية بالاصالة ولخواص
امته واوليائه بالوراثة والتبعية لقوله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني
يحببكم الله وقوله ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من
النبيين والصديقين الآية وقوله ع العلماء ورثة الانبياء وقوله ع قلب المؤمن عرش
ربي فلست ايها العالم ما لم يكن علومك مقتبسة من مشكوة النبوة فلست بعالم بالحقيقة
بل بالتسمية المجازية لدلالة قوله تعالى ويعلمهم الكتاب والحكمة بحسب عكس النقيض على ذلك
فافهم ومن لم يكن عربيا هاشميا بان يكون ولادته المعنوية المعبر عند الصوفية بالفتح من
جهته صلى الله عليه وآله لها بالمعارف الحقيقية الايمانية فليس مؤمنا حقيقيا لان
المؤمن الحقيقي من يكون روحه وليد القدس ويكون الرسول صلى الله عليه وآله ابوه المقدس
بان يحصل من مادة عقلية هيولانية نطفة ايمانية حاصلة بتصديق رسالته قابلة للتربية و

التنمية باغذية المقاصد العلمية القرآنية واشربة المطالب العملية الاحكامية وقد بينا
شرح هذه الولادة في مقامه فالمؤمن الحقيقي من يكون من اهل بيت الرسالة الالهية متشبها
باخلاق اهله المقدس وقوله تعالى فاتبعوا ملة ابيكم ابرهيم وقوله في جواب نوح ع ابنه ليس
من اهلك بنور ما قرناه وقوله ع الولد سر ابيه وقوله ع واشوقاه للقاء الاشباه
يدل على ما ذكرناه الاشراق الثالث في فائدة بعثه ونتيجة رسالته وهي التي قد من
الله على الناس في هذه الآية وعدها منة عظيمة لقوله لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم
رسولا من انفسهم وهي انه ص يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ويبين لهم
احوال الآخرة ويشرح لهم الطاعات والمعاصي ويبين لهم الاوامر والنواهي ويوجب عليهم
الواجبات ويحرم عليهم المحظورات ويحل لهم الطيبات المباحات ويضع عنهم اصرهم والاغلال
التي كانت عليهم لاجل جهالة اليهودية وبلاهة النصرانية التي كانت مركوزة في كل
نفس بحسب افراطها وتفريطها في الصفات والاعمال وفي وجهي التشبيه والتنزيه حد
الحد الالهي في هذه الملة البيضاء ولهذا يعلو على الصادع بها الف تسليمات
الرب الاعلى كما يدل عليه قوله وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين وقوله ويزكيهم ويعلمهم
الكتاب والحكمة بمنزلة تفسير وشرح لقوله يتلو عليهم آياته وبيان نتيجة كلام في تلاوة الآيات
والاشارة الى ما فيها على سبيل الاجمال فان الوحي من بعثة الرسول وتلاوة الآيات سائق الخلق
الى رضوانه الاكبر وهدايتهم الى جوار الله وملكوته الاعلى وهي انما تنوط باصلاح الجزء
العملي للانسان بالتصفية والتهذيب وتكميل جزءه العلمي بالتصوير والتنوير فالقرآن
الذي انزل على قلب النبي صلعم اولا وعلى قلوب امته ثانيا يجب ان يكون مشتملا على امور ثلثة

الاول في الحكمة العملية المبينة للاخلاق والآداب المفيدة للعبد قطع التعلق عن الاسباب
وترك الدنيا ورفع الغفلة وآدابها الكلية وهذه الاحكام العملية والمعالم الادبية يثبت في
القرآن على اوجه واكده كما اشار اليه بقوله صلعم ادبني ربي فاحسن تاديبي الثاني في الحكمة
احسن م
العلمية والمعارف التي يبلغ اليها عقول الحكماء والعلماء بقوة نظرهم الفكرية بتعليم الانبياء و
الاولياء وهذان القسمان من العلوم والمعارف مما وقع فيه الاشتراك بين سائر الكتب السماوية
مع القرآن واليه الاشارة بقوله تعالى ويهديكم سنن الذين من قبلكم وقوله مصدقا لما
بين يديكم من التورية لكن يكون ما في القرآن اوثقها واتمها واظهارها وارفعها حدا
واشرفها غاية لقوله تعالى ان هذا القرآن يهدي للتي هي اقوم الثالث في الحكمة التي لا يبلغ
الى طورها الا الخلص من احباء الله واوليائه الصالحين ومن المشار اليها في قوله تعالى
سنريهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق اولم يكف بربك انه على كل
شيء شهيد وهذه الحكمة من خواص المحبوبين لله كما اشار اليه بقوله تعالى فسوف ياتي الله بقوم
يحبهم ويحبونه وفي الحديث الالهي لا يزال يتقرب العبد الي بالنوافل حتى احبه الحديث
واما الحكمتين الباقيتين فهما من خواص المحبين على تفاوتهما تاييد عرفاني لمن علم
مرتبة الايمان ثلث مرتبة العوام ومرتبة الخواص ومرتبة الاخصين ولكل من تلك المراتب
لابد له من علم وعمل اما مرتبة العوام في جهة العلم فهي ان يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله
وبالبعث بعد الموت وبالجنة والنار والقدر خيره وشره كما ورد في الحديث عليه
الصلوة
التسليم ايمانا بالغيب واما من جهة العمل فبان يفعل الصلوة والصيام والزكوة والحج
وصلة الارحام واعمال البر وفعل الحسنات وترك السيئات واما مرتبة الخواص فهم

حيث العلم لمن يعرف المعارف الايمانية ويدرك ان الاعتقاد به كلها بالبراهين النيرة
القدسية والمبادي الالهية واما من حيث العمل فان الله اذا تجلى لعبد بصفة من صفاته
خضع له جميع اجزاء وجوده وتبعه قواه ومشاعره وتمهد بالكلية بعد ما كان قلبه يؤمن
بالغيب ونفسه يكفر بما آمن به قلبه اذ كانت النفس عن تنسيم روائح الغيب بمعزل كما اشير
اليه في الكتاب الالهي فلما تجلى ربه للجبل القلب جعله دكا وخر موسى اي نفسه صعقا فلما افاق
بعد رفع الحجب قال تبت اليك وانا اول المؤمنين وفي قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم
شيطاني على يدي تنبيه على هذا فانتبه يا مسكين وانزعج من رقد النائمين ومهالك
الغفلة المعتدين واما مرتبة الاخصين فهي انما يكون بعد رفع حجب الانانية بتجلي الحق
للعبد بالصفات التمجيدية والنعوت التقديسية فاذا افناه عنه بصفة الجلال يبقيه بصفة
الجمال ويعد له عقله وسمعه وبصره فلم يبق له الاين والبين ويتحقق بشهود الحق
جميع الحقائق العينية وينفذ بصره في اعيان الملك والملكوت والخلق والامر والايمان في
المرتبة الاولى غيب وفي الثانية عين وفي الثالثة عيان وهذا كما كان حال النبي ص ليلة
المعراج فلما بلغ سدرة المنتهى كان بعد في حيز الاين فلما جذبته العناية من الاين الى
اليقين
العين فاوحى الى عبده ما اوحى وهو المشار اليه بقوله تعالى آمن الرسول بما انزل
اليه من ربه اي من صفات ربه فآمنت صفاته بصفاته وذاته بذاته فصار كل وجوده مؤمنا
بالله ايمانا عيانيا وفي هذا المقام اسرار عظيمة لا تحتملها العقول المفارقة المجردة فضلا
عن العقول الملابسة المغشاة بغشاوة الوهم والخيال اللهم لا تجعل هذه الكلمات فضلة
الجهال واجعلها سببا لزيادة بصيرة اهل الكمال وموجبا لانارة قلوب الرجال

الذين لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله العزيز المتعال الاشراق الرابع انك اذا علمت
ما ذكرناه من اشتمال القرآن على هذه المراتب الثلثة من الايمان وعلمت اشتراك ساير الكتب
السماوية معه في المرتبتين الاوليين واختصاصه بالمرتبة الاخيرة فقد ايقنت علما بان انزال
القرآن بما فيه اكمال الدين واتمام لنعمة الله على المؤمنين وتحققت معنى قوله تعالى اليوم اكملت لكم
دينكم واتممت عليكم نعمتي اي اليوم حصلت الكمالية في الدين الذي كان نصيبا لكم من جميع اهل الملل
والاديان واتممت عليكم نعمتي نعمة الايمان العياني باظهار دينكم على الاديان كلها من الظاهر
والخفية جميعا ورضيت لكم الاسلام دينا به تجازون وتثابون وتناكحون وتعاملون
فالاسلام في هذه الامة دين وطريق به يوصل الى الايمان الحقيقي وهو بمنزلة الايمان من ساير
الامم مع زيادة كمالية لم تكن من قبل ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وذلك لان حقيقة
الدين هي سلوك سبيل الله عز وجل بتقدم الخروج عن هذا الوجود المجازي للوجود الى الوصول
الحقيقي وكان ذلك مخصوصا بهم من ساير الموجودات اذ لهذه الامة اختصاص بالكمالية في سلوك من
ساير الامم فالدين من عهد آدم عم كان في التكامل بسلوك الانبياء عليهم السلم سبيل الحق الى
عهد نبينا صم فسلك النبي صم جميع المسالك التي سلكها الانبياء السابقون عليهم السلم باجمعهم وتحقق
له الخروج التام بتقدم السلوك بالحركات الباطنية من الوجود المجازي بالكلية حتى تداركته
العناية الازلية لاختصاصه من بينهم وبلغ في القرب الى الكمالية في الدين وهو سر او ادنى فاستعد
لسعادة الوصول الى الوجود الحقيقي بالايمان العياني بعد الايمان الغيبي والعيني جميعا وهو فاوحى
الى عبده ما اوحى وفي الحقيقة قيل له في تلك الحالة اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ولكن في
حجة الوداع عند دعوة اظهر على الامة عند اظهاره على الاديان كلها وظهور كمالية الدين

بنزول الفرايض والاحكام بالتمام وتعيين الخلافة ونصب الامام علي عليه السلم والتنصيص
عليه بامرة المؤمنين وامامة المسلمين ويدل على ذلك مشاهدة النبي صم ليلة المعراج فوق — المعراج
الانبياء عليهم السلم في مقامات السموات بحسب درجات قربهم الى الله تعالى وصعوده صم
عن مقاماتهم الى سدرة المنتهى ثم الى الغاية القصوى وكذا ما ورد في الحديث عنه صم
انه قال مثلي ومثل الانبياء من قبلي كمثل رجل ابتنى بيتا فاحسنها واجملها واكملها الا
موضع لبنة من زاوية من زواياها فجعل الناس يطوفون ويعجبهم البنيان فيقولون
الا وضعت ههنا لبنة فيتم بناؤه فقال صم فانا اللبنة فصح ما قررناه من مقامات
الانبياء عليهم السلم وتكامل بنيان الدين بهم وكماليته بالنبي صم وخروجه عن الوجود
المجازي بالكلية وبتبعيته خواص امته الذين هم اخص خواص هذا النوع ويدل على هذا
المعنى انه لم الانبياء كلهم يقولون نفسي نفسي والنبي صلى الله عليه وآله يقول امتي امتي
لفناء الوجود فافهم جدا الاشراق الخامس في تفسير الحكمة المراد من الحكمة اما العلم
الصحيح واما الفعل الصواب لكن الاطلاق من انسان اما على الروح واما على البدن
والروح انما ذو وجهين وجه الى القدس وعالم الآخرة ووجه الى البدن وعالم الدنيا
والعلم لتكميل الاول والعمل لتكميل الآخر على وجه يسري في تكميل الاول ويروى عن مقاتل
انه قال تفسير الحكمة في القرآن يقع على اربعة وجوه احدها مواعظ القرآن وفي النساء
انزل الله عليك الكتاب والحكمة ومثلها في آل عمران وثانيها الحكمة بمعنى الفهم والعلم
قوله تعالى واتيناه الحكم صبيا ولقد آتينا لقمان الحكمة بمعنى الفهم والعلم وفي الانعام اولئك
الذين آتيناهم الكتاب والحكمة وثالثها الحكمة بمعنى النبوة وفي ص واتيناه الحكمة يعني

النبوة وفي البقرة وآتاه الملك والحكمة وفي رابعها القرآن بما فيه من عجائب الاسرار وفي
النحل ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا
وانت اذا تاملت ايها المسكين في جميع هذه الوجوه الاربعة وجدت انه لم يخرج
مرجعها الى العلم بل اذا نظرت في جميع موارد استعمال لفظ الحكمة في القرآن والحديث
لم تجده خارجا عن العلم بحقائق الاشياء والتجرد عن الدنيا وما فيها ولذا قيل في حدها انها
التخلق باخلاق الله اي في الاحاطة بصور المجردات او التنزه عن الماديات وهي التزود عن
البرزخ الامر باقسامها وفي قوله تخلقوا باخلاق الله تعالى واعلم ان الحكمة لا يمكن
خروجها من هذين المعنيين وذلك لانها كمال الانسان بلا شبهة وكمال الانسان منحصر في
شيئين احدهما ان يعرف الحق لذاته والثاني ان يعرف الخير لاجل العمل فالمرجع بالاول
الى العلم والادراك المطابق وبالثاني الى الفعل العدل وغاية هذين الامرين مرتبة النبوة
والولاية وقد حكى الله تعالى عن ابرهيم وهو شيخ الانبياء عليهم السلام انه قال رب هب لي حكما
وهو الحكمة النظرية والحقني بالصالحين وهو الحكمة العملية ونادى موسى عليه السلام فقال انني
انا الله لا اله الا انا وهو الحكمة النظرية ثم قال فاعبدني وهو الحكمة العملية وقال عيسى عليه السلام
اني عبد الله آتاني الكتاب الاية كل ذلك الحكمة النظرية ثم قال واوصاني بالصلوة و
الزكوة ما دمت حيا وهو الحكمة العملية وقال تعالى في حق افضل الانبياء محمد صلى الله
عليه وآله فاعلم انه لا اله الا الله وهو الحكمة النظرية ثم قال واستغفر لذنبك وهو الحكمة
العملية لان علم التوحيد لا يحصل كمالا الا بعد الاطلاع على جميع ابواب الحكمة النظرية و
العمل الخالص من شوب اغراض النفس لا يتيسر لاحد الا بان يكون حكيما عارفا بانها

عند الله خير للانسان ولم النفس وهواها من اتباع الشيطان واصحاب النيران وقال في
حق جميع [illegible] ينزل الملائكة والروح على من يشاء من عباده ان انذروا انه لا اله الا انا
وهو الحكمة النظرية ثم قال فاتقون وهو الحكمة العملية والقرآن مملوء من الآيات الدالة على ان كمال
الانسان ليس الا في تكميل هاتين القوتين بهاتين الحكمتين وقال ابو مسلم الحكمة فعلة من الحكم كالنحلة
من النحل ورجل حكيم اذا كان ذا حجى ولب واصابة رأي وهو في هذا الموضع في معنى الفاعل
ويقال امر حكيم اي محكم وهو فعيل بمعنى مفعول كما قال الله تعالى فيها يفرق كل امر حكيم وهذا
الذي ذكره ابو مسلم في اشتقاق اللفظ مطابق لما ذكرناه من معناه الحقيقي الاشراق السادس
اعلم ان معلم الحكمة غير مفيضها وموجدها في النفس ومخرجها من القوة الى الفعل وذلك
لان القواطع البرهانية دالة على ان فياض المعارف على النفوس هو الله سبحانه بتوسط ضرب
من الملائكة المقدسين فالمعلم هو المرشد والله الهادي لمن يشاء الفياض على قلوب
عباده بصور الاشياء لقوله تعالى ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء وذلك لان
الحكمة لو فسرناها بالعلم لم تكن مفسرة بالعلوم الضرورية لانها حاصلة للبهائم والمجانين
والاطفال وهم لا يوصفون بانها حكماء فهي لا محالة مفسرة بالعلوم النظرية او بصفة تكون مبدأ
الافعال الحسنة نظرا الى قسميها فان الغاية في احد قسميها نفس تلك العلوم وفي الآخر تحصيل
الخلق الجيد والملكة الملكية وعلى التقديرين فيلزم ان يكون منشأ حصول العلوم النظرية و
منشأ الافعال الحسنة حادثة للانسان بتاثير مؤثر خارج عن ذاته اذ الشيء لا يتاثر عن نفسه
لانه يلزم ان يكون الشيء اشرف من نفسه واعلى وذلك الغير يجب ان يكون حكيما وعقلا بالفعل لا
بالقوة والا لافتقر الى ما يخرجه من القوة والنقص الى الفعل والكمال وهكذا يلزم التس

العلل والاسباب المترتبة المقتضية ومبدأ الكل هو الذات الالهية البريئة عن النقص من
كل الوجوه فدل على ان الحكمة نور فايض من الحق على قلب من يشاء من عباده واليه
الاشارة بقوله وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء وقوله والله ذو الفضل العظيم
يشير الله بما يفيض رشحة من بحار علمه ولمعة من انوار حكمته اللامتناهية تنبيه
قرآنية تأمل ايها المسكين انه تعالى ما اعطى لعباده من العلم الا القليل لقوله وما
اوتيتم من العلم الا قليلا وسمى الدنيا باسرها قليلا لقوله قل متاع الدنيا قليل ثم
قال وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم وقال ايضا
ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا فانظر كم مقدار هذا القليل حتى توقع عظمة
ذلك العظيم الكثير والبرهان العقلي ايضا يطابقه لان الدنيا باسرها متناهية المقدار
متناهية العدد ومتناهية المدة والعلم لا نهاية لمراتبه وعدده ومدة بقائه والسعادة
الحاصلة منه وذلك دال على فضيلة الحكمة واما استدلال الخطيب الرازي بقوله تعالى
ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا على ان افعال العباد مخلوقة لله تعالى فهو ظاهر
الفساد فان الحكمة نور من انوار الله وهي ليست من افعال العباد ولو كانت مما يتوقف
حصولها على الانظار والافكار التي هي من باب الحركات والافعال القلبية الا ان يفسر
الحكمة بنفس الافعال الحسنة وهو ليس بصحيح والا لكان كل فعل حسن يصدر عن فاعل
حكمة ولكان كل فاعل يفعل فعلا حسنا حكيما ولكان من المجانين والسفهاء بل المراد
من الحكمة اما نفس العلوم الحقيقية او مبدأها من العقل البسيط الفعال لتفاصيل العلوم كما
يبين في موضعه او الخلق الصادر منه الافعال على وجه الصواب وعلى اي وجه من هذه

الوجوه

الوجوه لم يكن الحكمة من الافعال البشرية بل يكون اما من باب الكيفيات او الجوهر المفارق
فهذه الآية ما دلت الا على ان العقل البسيط او الكيفية النفسانية الانفعالية ليست
الا مخلوقة للحق تعالى ولا نزاع لاحد من اهل الكلام فيه ولا دلالة فيها على ان الافعال
البشرية مخلوقة له تعالى وتحقيق هذه المسألة يحتاج الى بسط في الكلام ليس يليق بهذا المقام
وظن انه لا ثلمة في الاسلام ولا زيغ في عقائد المسلمين فيه من الاعتقاد بخلق الاعمال
واثبات الفاعل المختار على الوجه الذي اعتقده اصحاب ابي الحسن الاشعري وورد
وصدوره اذ بهما ينسد جميع ابواب المعرفة والحكمة ويبطل الغايات والنتايج العقلية
وينفسخ الاعتقادات البرهانية المبتنية كلها على اثبات الترتيب والعلية والمعلولية بين
الموجودات وسلسلة الاسباب المترتبة الى النهايات واما ما ذهب اليه المحققون
من الحكماء والمحققون من اتباع الانبياء من ان وجود كل موجود فايض عن الحق الاول
على ترتيب حكمي ونظم عقلي فهو الحق الذي لا محيد عنه وهو معنى توحيد الافعال مع اثبات
الحكم والمصالح من غير خلل وهو فوق ما وصل اليه اذهان الاشاعرة ولا المعتزلة ابلغ
والله يختص برحمته من يشاء وهو المنزه عن الفحشاء مع انه لا يجري في ملكه الا ما يشاء
بحث وتحصيل فان قيل لم لا يجوز ان يكون المراد من الحكمة المستعملة في عدة مواضع
من القرآن اما النبوة او القرآن او قوة الفهم او الخشية على ما هو قول الربيع بن انس قلنا
الدليل يدفع هذه الاحتمالات وذلك لانه بالنقل المتواتر ثبت انه يستعمل لفظ
الحكيم في غير الانبياء فيكون الحكمة مغايرة للنبوة والقرآن ولو كان بمعنى قوة الفهم
لكان كل قوي الفهم حكيما وكذا لو كان بمعنى الخشية واما الخشية بالمعنى الذي لا يحصل الا

في الحكماء كما يدل عليه قوله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء فهي من لوازم الحكمة وليست
نفسها فان ذلك المعنى ليس خشية العقاب بل خشية القرب وهي لا تحصل الا بالمعرفة التامة
في الحكمة بالحقيقة فكأنه اراد تفسيرها باللازم الاعم او المساوي المطلع الثاني
قوله سبحانه وآخرين منهم لما يلحقوا بهم وهو العزيز الحكيم وفيه ظلال و ظلال واشراقات
اشراقات ظل قرشي في الاعراب قوله وآخرين صفة المجرور معطوف على الاميين يعني آخرين
بعث في الاميين وفي من يجيء بعدهم وفي ذلك وقد يجوز ان ينتصب عطفا على المنصوب
في يعلمهم اي يعلمهم ويعلم آخرين وجه ذلك بان التعليم اذا تناسق الى اواخر كان
كلا مستندا الى اوله فكأنه هو الذي تولى كلما وجد منه واعلم ان الوجه الذي ذكره في كون النبي صلعم
معلما لكل من يجيء الى يوم القيمة بالمعنى الذي قرره وان كان موجها على طريقة اهل الحجاب
وارباب العلوم النظرية وحملة الكتاب كما يقول اصحاب الحكمة الرسمية ان ارسطو معلم اول
لمن يجيء بعده من اتباع المشائين الا ان ذوي العيون المكحلة بانوار الاهتداء العارفين
بحقيقة خاتم الانبياء لا يقفون على مجرد ما ذكره من التعليم والانباء بل يرون ان
امداد روحه وسره نافذ في تقويم ارواح من لحقه من الاولياء الى قيام المهدي عليه السلم
بل في ارواح من سبقه من الانبياء من لدن آدم عليهم السلم من جهة الباطن علما وعينا
وقد بينا ذلك في موضع آخر الاشراق الاول في تعيين المراد من الآخرين قيل
هم الذين لم يلحقوا بالاميين بعد وسيلحقون بهم وهم الذين بعد الصحابة من التابعين يأتون
وقيل هم الذين يلحقون من بعدهم الى يوم القيمة فان الله سبحانه بعث النبي اليهم و
شريعته يلزمهم وان لم يلحقوا بزمان الصحابة عن مجاهد وابن زيد وقيل هم الاعاجم

ومن لا يتكلم بلغة العرب فان النبي صلعم مبعوث الى من شاهده والى كل من بعدهم من العرب والعجم
عن ابن عمر وسعيد بن جبير وروي ذلك عن ابي جعفر عليه السلم وقيل لما نزلت هذه الآية قيل من هؤلاء يا رسول
الله فوضع يده على كتف سلمان وقال لو كان الايمان بالثريا لناله رجال من هؤلاء وعلى
هذين الوجهين فانما قال منهم لانهم اذا اسلموا صاروا منهم كما قال المسلمون كلهم يد واحدة
على من سواهم وامة واحدة وان اختلفت اجناسهم كما قال سبحانه والمؤمنون والمؤمنات
بعضهم اولياء بعض ومن لم يؤمن بالنبي فانهم ليسوا ممن عناهم الله بقوله وآخرين منهم وان كان
عليه وآله السلم مبعوثا على كافة الخلق بالدعوة بقوله ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة فان من
لم يؤمن لم يكن ممن زكاه وهداه وعلمه القرآن والحكمة وقيل ان قوله لما يلحقوا بهم يعني في الفضل التفضل
والسابقة فان التابعين لا يدركون شأو السابقين من الصحابة وخيار المؤمنين
الاشراق الثاني في تلخيص المرام وتحقيق الكلام في هذا السبق واللحوق واعلم ان الناس في
الايمان بالله واليوم الآخر والملائكة والنبيين والكتب والدنيا والآخرة وعالم القبر والبرزخ
وغير ذلك على ثلث طبقات لانهم اما الذين ينالون ذلك بالهام الله ووحيه من غير تعليم بشري
اما الاول فمرتبة الانبياء الاخيار وفي الثانية اما الذين يصلون الى المقام بالاستفاضة من
الله بحسب التابعية من غير تعمل فكر اما الاول فمرتبة الاولياء ذوي الاستبصار والثالث
مرتبة الحكماء والعلماء النظار واما اهل التقليد فهم نوع من الوصول الى حقيقة الايمان
انما يصلون الى حضرة من رحمة تقدم على سبيل التفضل لكم من تشبه بقوم فهو منهم فحيوتهم الاخروية
حيوة بالعرض كحيوة الشعر والظفر من الانسان اذا تقرر هذا فقول السابقية في الايمان
كما يستفاد في مواضع من القرآن كقوله والسابقون السابقون اولئك المقربون اشارة

لا مرتبة اولياء هذه الشريعة في الايمان والاخيرة فيه بشارة الى مرتبة حكماء هذه الشريعة
قبل وصولهم الى مرتبة الكشف والعيان وهم المنتسبون الى اصحاب اليمين واما مجرد التفضيل
بين اهل الايمان في الزمان فليس في كثرة تفاضل بحسب الامر وقد تعاظم وتقدس كتاب
الله عن ان يعتبر فيه تقادم الازمنة والاحوال بين الناس في تفاضلهم الى الرجال بل انما
يجعل لهم بكونهم ملاك الامر في ذلك تفاوت القرب والبعد من الحق المتعال وشدة علائق النفس و
ضعفها عن هذه الدنيا الفانية منزل الجهال والاراذل المطلع الرابع في قوله تعالى
ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم قال الزمخشري في الكشاف ذلك
الفضل الذي اعطاه محمدا صلى الله عليه وآله وهو ان يكون نبي ابناء عصره ونبي ابناء
العصور الغوابر هو فضل الله يؤتيه من يشاء اعطاه وتقتضيه حكمته وفي مجمع البيان
روى محمد بن ابي عمير عن هشام بن سالم يرفعه قال جاء الفقراء الى رسول الله صلى الله عليه وآله فقالوا
يا رسول الله ان للاغنياء ما يتصدقون وليس لنا ما نتصدق ولهم ما يحجون وليس لنا ما
نحج ولهم ما يعتقون وليس لنا ما نعتق فقال من كبر الله مائة مرة كان افضل من مائة
فرس في سبيل الله بسرجها ولجمها ومن هلل الله مائة مرة كان افضل الناس عملا في
ذلك اليوم الا من زاد فبلغ ذلك الاغنياء فقالوه فرجع الفقراء الى النبي صلى الله عليه وآله فقالوا
يا رسول الله قد بلغ الاغنياء ما قلت فصنعوه فقال رسول الله صلى الله عليه وآله
ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء نور عرشي ما بين آي من مواضع استعمال هذا اللفظ
في القرآن وغيره مع ضرب من الهام الله وتاييده هو ان الفضل عما يفضل به الانسان
على جميع ما في عالم الامكان من الجواهر والاعراض ويستحق بذلك مسجودية ملائكة الله

والجان وهو عبارة عن الايمان بالله ورسوله والعلم الحقاني بالاشياء كما هي والتجرد
عن العالم الحسي وهو انما حصل عيانا للنبي صلى الله عليه وآله بالاصالة ولاولياء الله من امته بتبعه و
حصل علما برهانيا للحكماء جهة وسماعا تقليديا بالعوام اهل الاسلام الكل ذلك بوسط نور
النبوة والولاية الا ان الاول مشاهدة النور والثاني مشاهدة شعاعه والثالث
مشاهدة ظله ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور بوجه من الوجوه حتى الظل فقوله ذلك
اشارة الى ما تضمنه قوله ويعلمهم الكتاب والحكمة اي العلم بهما فكل من كان او يكون من العلماء
الربانيين والحكماء الالهيين ويجيء في هذا العالم الى يوم الدين فهو من الذين يزكيهم الرسول
ويعلمهم الكتاب والحكمة وهو من الذين شاء ان يؤتيهم هذا الفضل وماخذ هذا التعليم
هو ما يدل عليه قوله تعالى وآتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما بل الاقتباس العلم
والحكمة على الحقيقة الا من معدن النبوة ولذا من يؤتيها فقد اوتي خيرا كثيرا ويشهد
بذلك ايضا قوله تعالى وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما فالتخلق باخلاقه
صلى الله عليه وآله مما يوجب استعداد قبول المعارف الالهية الفائضة على قلبه صلى الله عليه وآله على
سبيل الانعكاس على قلب هذا المؤمن المطيع لله ولرسوله لقوله ومن يطع الرسول
فقد اطاع الله واما من لم يكن منقادا باداته متخلقا باخلاقه سواء تكلف في ذلك ظاهرا
كاكثر المنتحلين بمذهبه من غير بصيرة باطنية ولا انقياد قلبي او كان من المنكرين الجاحدين
رسالته فلهم ما تنبئه تعالى بقوله سواء عليهم ءانذرتهم لا يؤمنون فالتزكية والتعليم لا
ام لم تنذرهم
ينجع معهم لان نفعه مختص بالمؤمنين ولئن كان نور الهداية والرحمة منتشرا على العالمين
وما ارسلناك الا رحمة للعالمين والدعوة عامة لسائر المكلفين الا ان نصيب النفوس الكدرة

وكاو لهم العقوق المعهودة منها ليس الا الوحشة والعمى والظلمة والضلال والحرمان
والوبال وعليه جرى القلم ونفذ فيه حكم القضاء الحتم والقدر المبرم ولذلك خلقهم و
تمت كلمة ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته لان نظام العالم لا يتمشى الا بنفوس غلاظ
شداد ولا تصلح العمارة الا بطبائع جسمانية يعملون اعمالا حسية بحسب ما يحملون عليها من
الدواعي الشهوية والغضبية للاغراض البهيمية والسبعية والكبر لدى نفس الزكية والتعليم كما
يوجب الفضل الجسيم للقلوب الصافية اللينة الهينة كذلك يوجب العذاب الاليم للنفوس المريضة
بداء الجهالة والغلظة والفظاظة وعلة الجحود والاستنكار ومرض العناد والاستكبار
وذلك كرائحة المسك بالقياس الى المزكوم ونور الشمس بالقياس الى الاخافش فتبصرة
كشفية ومن ههنا يتحقق وينكشف عند البصير المحدق ويتنور لدى العارف المحقق انه اذا
تجلت شمس عظم القرآن ورفعت اشعة انواره على صفائح بها كل الارواح الانسانية و
سطوح قوابل العقول الهيولانية فكلما يظهر منه بالارادة الالهية والمشية الربانية جوهر
النور المحمدي واكسير الخلاص السرمدي ومعدن السعادة الابدية ومولد النشأة الاخروية
فلذلك يبنيه من جوهر النار الابليسية وفي الحديث بعثت داعيا وليس الي من الهداية
شيء وخلق ابليس مضلا وليس اليه من الاضلال شيء فكما يبنيه من التعليم المحمدي في النفوس
السقيمة زيادة في الجهل والضلال فربما يبنيه من الاغواء الابليسي في القلوب الخالصة المخلصة
زيادة في العصمة والهداية لهم من الله لقوله تعالى حكاية عن اللعين فبعزتك لاغوينهم اجمعين
الا عبادك منهم المخلصين والله الهادي والمضل وههنا اسرار لحكمة الافهام
تركناها مخافة شنعة اللئام اشرنا الى شمة منها في قوله اوتيته مرتين واعلم يا مسكين لمن

لكل

لكل نور ظلمة ولكل كمال نقص ولكل ممكن زوج تركيبي كما اشارت اليه الحكماء وبهذا
جرت السنة الالهية والمشية الازلية وعلى هذه الحكمة مقتضى السلطنة الربانية بحسب ازدواج
صفتي القهر والمحبة والغضب والرحمة ومنها نشأة الهداية والضلال والتوفيق
والخذلان والسعادة والشقاوة والجنة والنار والدنيا والاخرة والارواح و
الاجرام هو الله البارئ المصور الغفار بهذا القوم وهو الله الواحد العزيز القهار
المتكبر بهذا القوم الآخر ثم اعلم ان لكل ما في الملك والملكوت له طباع خاص يصدر منه
اثار وافعال مخصوصة فلكل طبع مسخر لفعل خاص وله حد محدود ومقام معلوم من اعلى
شواهق عالم الامر الى ادنى منازل عالم الخلق الا الانسان فانه مسخر للاختيار فالاختيار
له بمنزلة الفعل الطبيعي لغيره وذلك لان ذاته ليست مما يقف على حد محدود في جوهره
وهويته بل ينقلب من طور الى طور ومن نشأة الى نشأة وسعة هذه التقلبات في الانسان
الكامل اكثر وتخالف اطواره اشد فلذلك قيل ان الانسان لمضطر في صورة مختار
فالمختارية مطبوعة فيه اضطرارية له وهو مجبول كما جبل طبع الماء والنار والحجر والثلج
على التبريد والتسخين والتعدية فهو من لدن اول تكونه من النطفة الى اوان تمام خلقه وبلوغ
الحلم لم يكن لاختياره مدخل في الترقيات والتطورات حتى بلغ الى مرتبة حيوان منتصب
القامة تام الحيوانية ثم من عند كونه عاقلا مكلفا ينتقل وينقلب باختياره ويتطور
باطواره فهو اما الذي يرتقي الى اعلى عليين واما الذي يرد الى اسفل دركات سافلين او
يقع في احد الاوساط حسب ما شاء الله فمنهم شقي وسعيد اما الذين شقوا ففي النار لهم فيها
زفير وشهيق الاية واما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها الاية اما السعيد فلا يختار الا

على اهل السعادة واما الشقى فلا يختار الا عمل اهل الشقاوة اما الذين آمنوا وعملوا الصالحات
فلهم جنات المأوى نزلا بما كانوا يعملون واما الذين فسقوا فمأويهم النار كلما ارادوا ان
يخرجوا منها اعيدوا فيها ومع ذلك لا اعتذار لاحد في الشريعة بل الجميع خوطبوا بالخطاب واحد
اعملوا فكل ميسر لما خلق له ومن ههنا نشأت تلك الشبهة قديما غير منحلة الا لمن ايده الله بكشف
الحقائق ومن لم الكلام اذا كان عند الله فما الفائدة في بعثة الرسول والتعليم والتأديب
والانذار والتهذيب فيقال لكن انزال الكتب وارسال الرسل هو بعينه سبب من اسباب سعادة
السعداء وشقاوة الاشقياء وهذا السبب يوقع السعداء ويهوي الشقي لا مهاوي الاشقياء السعيد لا منازع
كما وقعت اليه الاشارة واعلم ان شهوات الدنيا ولذاتها محفوفة بالآفات العظيمة وحلاوتها
ممزوج بالسموم المهلكة القتالة وفايدة البعثة وانزال الاعلام للخلائق وانذارهم عن
التناول والتشاغل بها فمن كان ذا فطرة صحيحة صدق الرسول وسمع القرآن بقلبه فاتقاهم
عنها ولهاهم ومن لم يصدق الرسول ويصم عن سماع الكتاب ويعمى عن رؤية الآيات وكان
مريض النفس عليل القلب اخلد الى الارض واتبع هواه فوقع في الهلاك ويئس عن الآخرة
كما يئس الكفار من اصحاب القبور وقالوا يريدون ان تصدونا عما كان يعبد اباؤنا فكما ان
الملك والنبي والقرآن رسل الله الى هولاء فالهوى والنفس والشيطان رسل الى هولاء
فاقرأ قوله الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور والذين كفروا اولياؤهم
الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات وفي الحديث الالهي خلقت هولاء للجنة ولا ابالي
وخلقت هولاء للنار ولا ابالي واقرأ قوله ومنكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة
وقوله ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها وسنجزي الشاكرين

وقوله فالهمها فجورها وتقويها وقوله الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله
يعدكم مغفرة منه وفضلا والله واسع عليم يختص برحمته من يشاء وقوله وما يعدهم الشيطان
الا غرورا اولئك مأويهم جهنم ولا يجدون عنها محيصا وقوله ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من
الجن والانس لهم قلوب لا يفقهون بها الآية فالمؤمن الحقيقي يقبل دعوة الله ويرد دعوة
الشيطان وغروره وحبائله وشركه ويقول له المبلغ دعوة الحق دعوت شهوة ساعة اورث
حزنا طويلا ويقول له الرسول الهادي الى الدنيا جيفة فاتقوها والقرآن يقول له اعلموا انما
الحيوة الدنيا لعب ولهو وتفاخر بينكم وتكاثر في الاموال والمنافق يرد دعوة الله و
يقبل دعوة الشيطان ولا يفتح لهم ابواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم
الخياط وكذلك نجزي المجرمين لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش وكذلك نجزي الظالمين
قال بعض اصحاب القلوب ان الله تعالى عامل العباد في الابد على ما عاملهم في الازل وقال
ليس الخوف من سوء العاقبة انما الخوف من سوء السابقة فطرة الله التي فطر الناس عليها
لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ومن قوله المطلع الخامس قوله سبحانه
مثل الذين حملوا التورية ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل اسفارا بئس
مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله والله لا يهدي القوم الظالمين
وفيه اشراقات الاول في الغرض المسوق اليه هذا التمثيل ان الله قد مثل
الذين حملوا الكتب السماوية وكلفوا القيام بها والعمل بموجبها وهم لم يحملوا حق
حملها من اداء حقها ولم يتدبروا فيها بعين الاستبصار بل حفظوها بالتكرار ودونوها
في الاسفار لاغراض عاجلة لهم في هذه الدار ثم لم يعملوا بما فيها مثل الحمار يحمل اسفارا

لان الحمار الذي يحمل كتب الحكمة على ظهره لا يشعر بما فيها فمثل من يحفظ الكتاب ولا
يعمل بموجبه كمثل دابة لا يعلم فيما يحمله قال ابن عباس فسواء حمل على ظهره او جحده
اذا لم يعمل به وعلى هذا المعنى تلاوة القرآن ولم يفهم معناه واعرض عنه اعراض من لا حاجة له
اليه فكان حريا بهذا المثل وكذا من تدبر في اعراب الالفاظ ودقايق عربيته ونكات البديع
وهو بمعزل عن اسرار حكمته ومقاصده الاصلية من المعارف الالهية واسرار المبدا و
المعاد وعلم الروحانيين والملائكة والشياطين وكيفية الوحي والتنزيل وعلم النفس وورودها
الى عالم السافلين ثم عودها ورجوعها الى الباري القيوم اما راضية مرضية لمن آمنت
وعملت الصالحات او ناكسة منكوسة محجوبة مظلمة لمن جحدت وعملت السيئات وكيفية نشو
الآخرة من الدنيا واحوال القبر والبعث والحشر والنشر الى غير ذلك من المعارف التي
هي المقاصد الاصلية من انزال الوحي والكتاب لا مجرد تفسير الالفاظ فيها بل الاطلاع على
اسرارها واغوارها فمن لم يطلع في القرآن الا على مجرد تفسير الالفاظ وتبيين اللغات ودقايق
العربية وفنون الادبية وصنايع البديعية وهو عند نفسه امام التفسير في شي ولكن القرآن
انما نزل لتحصيل هذه المعارف الجزئية فهو احرى بهذا التمثيل ممن لا خبر له اصلا الا من اعراب
الالفاظ ولا من حقايق المعاني اعترافه بقصوره وانشد في هذا المعنى ابو سعيد الضرير
زوامل للاشعار لا علم عندهم بجيدها الا كعلم الاباعر لعمرك ما يدري المطي اذا غدا
باوساقه او راح ما في الغراير وفي قوله تعالى بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله
تنبيه بليغ على كلية هذه القضية وحكم هذا المثل من غير اختصاصها باليهود الذين كذبوا
بالآيات الدالة على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وآله بل كل من جحد ما وراء فهمه وانكر ما لم

اخذه

اخذه من معلميه واشياخه على غير بصيرة وكشف او وصل اليه من ظواهر المنقول والروايات
فهو حقيق بهذا التمثيل بالعكس لما جحد وانكر عند ارباب البصيرة الاشراق الثاني
في قوله بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله معناه بئس القوم قوم هذا مثلهم لان اليهود انما
صاروا مذمومين مطرودين عن باب احدية الله لانكارهم حقية الرسول واعراضهم عن مطالعة
آيات الله وجحودهم لما سمعوا من الحقايق الايمانية والمعارف الربانية التي لم تبلغ افهامهم اليه
من قبل ولم يسمعوا من شيوخهم ومعلميهم وآبائهم كما حكى الله عنهم بقوله تعالى ما سمعنا بهذا في آبائنا
الاولين اولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون وكل من هذه صفته بالنسبة الى اهل
الحق واصحاب الحكمة القرآنية في ما وراء معلومه وفوق مفهومه من الاعراض والانكار عن اسرار
بطون الآثار واعجبا بما سمعه او تلقفه من شيوخه ومعلميه الذين هم له بمنزلة الآباء فهو داخل
في هذا الحكم ومكذب لآيات الله بالحقيقة وان لم يكن يهودي النحلة فكما ان القدرية مجوس
هذه الامة فالظاهرية والمشبهة يهود هذه الامة والباطنية نصارى هذه الامة فان جميع الفرق
من ارباب المذاهب العقدية يوجد فرقة تناسبه بواحدة تزيد عليها وهي الفرقة الناجية كما
دل عليه الحديث المشهور وهذه الفرق في غاية الجمود والجفاء والقلة والانزواء الاشراق
الثالث في ان القوم الحقيق بكونهم من الحكماء الالهيين والاولياء الربانيين ولكن غيرهم من اهل
الاغترار وحملة الاسفار ومتحملي الاوزار او المسلوبين عن الفطرة الانسانية كالحمار المقيدين
بسلاسل تعلقات هذه الدار لا يهديهم الله لظلمهم وفساد دينهم سبل الارتقاء الى دار
القرار ولا يوفقهم للنجاة من منزل الاشرار ومهوى الفجار الى عالم الابرار انما استفاد من هذه
الآيات على ابلغ وجه واكده فان ما ذكره تعالى في علة البعثة وغاية الرسالة من قوله يتلو عليهم

آياته ويعلمهم الكتاب والحكمة يدل دلالة واضحة على ان نتيجة البعثة دعوة الخلق الى العلم والحكمة لكن
الايمان بالله ورسوله عبارة عن تعلم الكتاب والحكمة بالحقيقة لا بالمجاز والتشبيه والا لكان الايمان
ايمانا بالمجاز لا بالحقيقة ويكون المؤمن به مؤمنا بالمجاز فيلزم ان يكون مثل هذا المؤمن مسلوبا عنه الايمان الحقيقي
بالضرورة كما هو قاعدة اطلاق المجازات فثبت ان الايمان الذي هو فايدة بعثة النبي
صلى الله عليه وآله وثمرة انزال القرآن عبارة عن صيرورة العبد المسلم حكيما عارفا بحقايق
ما في الكتاب لا مجرد حفظ الالفاظ وتكرارها ولا مجرد تفسير العربية ونكاتها البديعية فان معرفة
الفاظ العرب ودقايق البيان ليس من مقصود القرآن في شيء بل المقصود منه سياقة الخلق
الى جوار الله بالعلم بحقايق الاشياء والتجرد عن علايق الدنيا وهي لا تحصل بمجرد الاطلاع على علم
العربية والقرآن انما نزل بلغة العرب لكونها اوضح دلالة وافصح بيانا اذ لا يكون في دقة الالفاظ
وغرابة الابنية فايدة يعتد بها كما دلت عليه كثير من الآيات كقوله تعالى انا جعلناه عربيا
لعلكم تعقلون وقوله وهذا لسان عربي مبين ثم قرأ الرابع ثم لما بين فايدة البعثة
وثمرة الرسالة وتزكية الامة وتعليمهم الكتاب والحكمة ليكونوا علماء حكماء اشار الى ان
طهارة القلب عن رذايل الصفات واستكماله بمعارف الايمان فضل الله يؤتيه من يشاء
اي لا بد فيه من العناية الازلية والهداية الالهية والجذبة الربانية لا بواسطة الكسب والعمل و
هي من الحكمة التي من يؤتها فقد اوتي خيرا كثيرا يعني ان ذلك من نتايج تنويره ونعم روحانية
لا منوط بكثرة التكرار آناء الليل واطراف النهار ولا بحمل الكتب والاسفار ولا بطول
المراجعة الى اهل الاشتهار وطلب لحطام هذه الدار كما هو عادة اكثر المشتغلين بكسب
الشيوخ ورياسة المذهب وطلب الافتخار بقصد الجمع والاكثار مع اشتباه واغترار بما

ما فهموه

ما فهموه من علم الدين واسرار اليقين ومنشأ هذه المغلطة وبذر هذا النفاق هو
حب الجاه الذي يعمي القلب عن رؤية الحقايق ويصم السمع عن الشعور بغير ما يتوسل به
الى تحصيل المنزلة عند الناس فان من غلب على قلبه حب الجاه وميل المروة صار مقصورا
الهم على مراعاة الخلق ولا يزال في اقواله وافعاله وتحصيله ظواهر العلوم واتيانه بصور العبادات
والحجرات ملتفتا الى ما يعظم منزلته عندهم وربما يتهم وتشتهي ان يجمع الدنيا مع الدين ويراعي
الخلق مع الحق بظنه الفاسد وطمعه الكاسد ولا يدري انه من اهل الجحود وان ذلك بذر النفاق و
مادة الفساد والمؤدي الى الجحود والعناد في العلوم والى المراياة في النسك والعبادات
للتوصل الى اقتناص القلوب وطلب خواطر الخلق ثم لا يدري السفيه ان من اراد ان يجمع بين الدين والدنيا الدين و
صار في آخر امره بحيث لا دين له ولا دنيا على ان الدنيا لا حقيقة لها اصلا عند العقلاء بل هي من
قبيل الاوهام والاحلام وصور المرايا وقد شبه رسول الله صلى الله عليه وآله حب الجاه والشرف وفسادهما
للدين بذئبين ضاريين وقال صلى الله عليه وآله انه ينبت النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل فعلم
ان حب الجاه والشهرة من المهلكات التي لا يمكن النجاة لاحد منها واهلاكه وفساده للمغترين
بظواهر العلوم اشد واكثر من اهلاكه للمغترين بظواهر الاعمال بقدر التفاوت بين الكفر الذي
ضرب من فساد العلم والفسق الذي هو ضرب من فساد العمل ومن الامور الواضحة البينة عند
ارباب الاطلاع على كيفية تحصيل المعارف اليقينية ان حب الجاه والتكبر يحجب العقل عن مطالعة
الآيات ومشاهدة الحقايق كما قال الله تعالى ساصرف عن آياتي الذين يتكبرون بغير الحق
ثم انظر انه كيف شبه تعالى الذين المؤمنين بهم اولياء الله والحكماء الالهيين والمغترين
بظواهر الآثار من الفقهاء المنافقين حيث ضرب الحمار مثلا لليهود وحملة الاسفار وكل من

جرى على طريقهم من انكار ما ورد من آيات الله على السنة انبيائه وجحود ما قذف من
انواره في قلوب احبائه ثم اشار بعد ذلك الى بطلان زعمهم وفساد ادعائهم انهم
من اولياء الله واحبائه انهم لو كانوا كذلك لكانوا يعرضون عن الدنيا وطيباتها و
يحبوا الموت لكونه وسيلة الى لقاء الله ولما كانوا احرص الناس على حيوة بهذه النشأة
فقد علم انهم من اعداء الله المنكرين للدار الآخرة الكارهين المستكبرين عن لقاء الله تعالى
لانهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون وقد ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون من اشراق
الخامس كلام من اكتفى بظاهر العربية وبادر الى تفسير القرآن بمجرد نقل الكتب وحمل
الاسفار من دون الارتقاء الى علم الانوار وفقه الاسرار ولا انقطاع عن شوائب
هذه الدار فهو حري بهذا التمثيل فان الاطلاع على ظاهر العربية وحفظ النقل عن
ائمة التفسير في ترجمة الالفاظ لا يكفي في فهم حقائق المعاني ومن اراد ان ينكشف له ان هذه
المرتبة ليست من مرتبة ادراك المعاني القرآنية فليتأمل في مثال واحد نذكره ليقيس عليه
غيره وهو قول الله تعالى قال وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى وظاهر تفسيره واضح
وحقيقة معناه في غاية الغموض فانه اثبات للرمي ونفي له وهما متضادان في الظاهر ما لم
يفهم انه رمى من وجه ولم يرم من وجه ومن الوجه الذي لم يرم رماه الله تعالى وكذلك قال
قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم فاذا كانوا هم المقاتلين كيف يكون الله هو المعذب وان
كان الله هو المعذب بتحريك ايديهم فما معنى امرهم بالقتال فالتحقيق في مثل هذا المقام يحتاج
الى العلوم المتعالية عن علوم المعاملات ولا يغني عنه علم العربية وتفسير الالفاظ ولعل العمر
لو انفق في كشف اسرار هذا المعنى وما يرتبط بمقدماته ولواحقه لانقطع العمر قبل

الوصول الى الاحاطة بجميع لواحقه والقرآن مشحون بامثاله بل ما من كلمة في القرآن الا و
تحقيقها محوج الى مثل ذلك وانما ينكشف للعلماء الراسخين في العلم من اسراره وانواره
بقدر غزارة علومهم وصفاء قلوبهم وتوفر دواعيهم على التدبر وتجردهم للطلب ويكون
لكل واحد حد في الترقي الى درجة منه فاما الاستيفاء التام فلا مطمع لاحد فيه ولو كان
البحر مدادا او الاشجار اقلاما لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات الله فاسرار كلماته وانوار
آياته مما لا نهاية لها ولا بداية فمن هذا الوجه تتفاصل الخلق في الفهم بعد الاشتراك في
معرفة ظاهر التفسير فقس على هذا المثال جميع ما ورد في الكتاب والسنة ولا تغتر بما سمعته او
تلقفته من معلميك في اوان الجاهلية وزمان المحجوبية فانها تماثيل واشباح بلا حيوة
وقوالب وصور بلا معنى وظواهر آثار واعمال بلا ثمرة تجري وحبال وعصي تخيل من سحرهم
انها حية تسعى وهم الذين ضل سعيهم في الحيوة الدنيا ويحسبون انهم يحسنون صنعا
اولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت اعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيمة وزنا و
من امثلة فهم الاسرار ما فهمه بعض اصحاب القلوب من قوله صلعم في سجوده اعوذ بعفوك
من عقابك واعوذ برضاك من سخطك واعوذ بك منك لا احصي ثناء عليك انت كما
اثنيت على نفسك انه لما قيل له واسجد واقترب فوجد القرب في سجوده فنظر الى
الافعال فاستعاذ من بعضها ببعض ثم زاد في قربه فنظر الى الصفات فاستعاذ ببعضها
من بعض فان الرضا والسخط صفتان ثم زاد قربه واندرج القرب الاول فيه فرقي
الى الذات فقال اعوذ بك منك ثم زاد قربه فاستحيى عن الاستعاذة على بساط القرب
فالتجأ الى الثناء فاثنى بقوله لا احصي ثناء عليك ثم علم ان ذلك قصور فقال انت كما

انغيث على نفسك فهذه وامثالها خواطر تنفتح لارباب القلوب ثم لها اغوار واسرار
وراء هذا اللفظ وهو معنى فهم العرب واختصاصه بالبعد ومعنى الاستعاذة من صفة الى صفة و
منه به واسرار ذلك كثيرة ولا بد لتفسير ظاهر اللفظ عليها ومع ذلك فليس هو مناقض
لظاهر التفسير بل هو استكماله ووصول الى لبابه عن قشره فان للقرآن حقيقة كالانسان وله
مراتب كثيرة بحسب كل نشأة من النشآت فكما ان الانسان الحي واقع في اول درجات
من انسانية ومعارجه ومراتبه واعلاها مرتبة انسان المثالي ثم الانسان النفسي ثم العقلي الالهي
كالمشاهدين من العرفاء فهكذا الحي لنعلم مراتب فهم القرآن فكل احد لا يفهم الا بما يحقق
فيه والقرآن بحسب حقيقته الاصلية خلق البرزخية وكل ما يفهم المفسرون ويصل اليه
ادراكهم ظل من ظلاله القريبة والبعيدة وشبح من اشباحه العالية والدانية فافهم هذا
واغتنم **المطلع السادس** في قوله سبحانه قل يا ايها الذين هادوا
ان زعمتم انكم اولياء لله من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم
صادقين وفيه ظلال واشراقات من اول في اللغة هاد يهود اذا تهود
اي انتحل دينهم ورايهم في ذات الله وصفاته وافعاله وكتبه ورسله واليوم الآخر
اما في الذات فكفرهم لانه ذا ولد وصاحبة واما في صفاته فبالاتحاد والتشبيه واما
في الافعال فبانكارهم النسخ والتغير وقولهم يد الله مغلولة واما في الكتب والرسل
فبانكارهم حقية القرآن وحقية الرسول المنذر به واما في اليوم الآخر فلما قالوا لن
تمسنا النار الا اياما معدودة والزعم قول عن ظن والاولياء جمع ولي وهو الحقيق
بالنصرة عند الحاجة والله ولي المؤمنين لانه يوليهم النصرة عند حاجتهم والمؤمن ولي الله

لهذه

لهذه العلة لانه ينصر دينه ويجوز ان يكون لانه يولي المطيع وينصره عند حاجته و
التمني قول القائل لما كان ليته لم يكن ولما لم يكن ليته كان فهو يتعلق بالماضي والمستقبل
وهو من جنس الكلام عند الجبائي والقاضي وقول ابي هاشم ثم هو معنى في النفس يوافق
هذا القول وهو ليس شيئا اذ جميع اقسام الكلام خبرا كان او انشاء من هذا القبيل
حيث ان لها معاني في النفس وضعت بازاء الفاظ تطابقها وتوازيها وقرئ فتمنوا
الموت بكسر الواو تشبيها بلو استطعنا ولا الكن لنفي المستقبل ولا فرق بينهما الا ان
في لن زيادة تاكيد وتابيد ليس في لا فاتى مرة مؤكدا ولن يتمنوه ومرة بدونه ولا يتمنونه
ظل لما تقدم ذكر اليهود في الكلام من تحريف التورية من المعاني التي يستنبط منها او يتضح فيها و
تحريفهم الكلمات عن مواضعها كما هو عادة الراغبين في الدنيا واغراضهم النفسانية من
صرفهم الفاظ الكتاب الى المعاني التي توافق طباعهم وتناسب مقاصدهم الخسيسة وادعائهم مع
ذلك انهم من اولياء الله وانصار دينه امر سبحانه نبيه ان يخاطبهم بما يفحمهم قل يا محمد يا ايها
الذين هادوا اي انتحلوا دين اليهود واتصفوا باوصافهم لئن زعمتم انكم اولياء الله ان
كنتم تظنون على زعمكم انكم انصار الله ولذا الله هو ينصركم من دون الناس فتمنوا الموت
ان كنتم صادقين فاتحدوا في دعويكم انكم اولياء الله واحباؤه فان الموت من ابواب الوصل
اليه تعالى ثم اخبر عن حالهم وكذب مقالهم وفساد زعمهم وقبح سيرتهم ودغل سرائرهم وشكوكهم
واضطراب رايهم وتزلزل دعواهم ووخامة عاقبتهم واخوفهم وانهم غير واثقين بما يقولون
اذ ليس شيء منه على اصل صحيح وبرهان مبين بل على مجرد ظن فاسد واغترار بما ينتحله اهل
الظاهر فقال ولا يتمنونه ابدا بما قدمت ايديهم من الكفر والمعاصي معناه ولا يتمنون الموت

لما اكتسبت نفوسهم من ملكة محبة الدنيا وشهواتها وملكة الانجذاب الى ترفعاتها وزينتها
فصارت النفوس اليفة بها محبوسة فيها التفكر لافاعيل الشهوية والغضبية وتكثير عمارات
الحيوانية البهيمية والسبعية والركون الى نعيم الدنيا والاخلاد الى الارض والشهوات والاستغراق
في بحر اللذات ومبدء الكل جميعا هو الفساد في الاعتقاد والخلل في معرفة المبدء والمعاد
فصار هذه الاخلاق الردية والملكات الدنية حسابير حوكده في القلب واوتاد مستحكمة في
النفس بحيث لا فرق عندهم بين تركها ونزع الروح حتى انهم لا يمكنهم تصور بقاء النفس من دون
اشتغالها بالمحسوسات فلو فرضوا انه اراد ان تقوم بنفسها ابدا من غير مباشرة للاكل والشرب و
الوقاع والاحتصاد والاقرباء والعشاير والديار والعقار والضياع والمواشي وغيرها
بل يكتفي بذكر الله وعالم ملكوته لاستحالوا ذلك او عدوا حاله من اسوء الحالات وشبهوه بحالة
الاموات او الجمادات جهلا بان غاية ما سموه لذة وغبطة بالنسبة الى ما يجده اولياء الله من ملاحظة
حضرة الربوبية ومشاهدة العاكفين بجنابه اشبه بان يسمى بالعذاب والالم لا ان يسمى باللذة
والراحة كيف ولو كان ما زعموه حقا لكان البغال والحمار اوفر سعادة واجل غبطة من
ملئكة الله الذين غذاوة التمجيد وشرابهم التقديس طل آخر اعلم ان الاخبار بعدم تمنيهم
الموت من احدى معجزات رسول الله صلعم لما روي انه قال لهم والذي نفسي بيده لا يقولها
احد منكم الا غص بريقه فلولا انهم كانوا موقنين بصدق رسول الله لتمنوا ذلك
ولكنهم علموا انهم لو تمنوا لماتوا من ساعتهم ولحقهم الوعيد فما تمالك احد لتمني اشراق
لنفي الآية اشعار بان طبيعة اكثر الناس متنفرة عن حقيقة الدين معرضة عن لقاء الآخرة مجبولة
على حب الدنيا وزينتها وشهواتها والجمود او ضاغي الذي جبل على فطرة الله وفطر عليها

قبول

قبول الاسلام ودين التوحيد مودع في الانسان بالقوة كالجوهر في المعدن فلا يستخرج الى
الفعل الا بجهد جهيد وسعي تام واعمال على قانون الشريعة ومتابعة النبي صلعم وبعده بارشاد
ورثة علمه وقرآن كتابه وهم الائمة المعصومين من اهل بيته والعلماء الربانيون الراسخون في
العلم من امته وفي زمان كل واحد منهم الخلق مع دعوى اسلامهم ينكرون على سيرتهم في الرغب
ويستبعدون من ترك الدنيا والعزلة والانقطاع عن الخلق والتبتل الى الله بالموت الارادي وطلب
الحق وتحصيل الحيوة المعنوية الذين كتب الله في قلوبهم الايمان وايدهم بروح منه وهو الصدق
في الطلب وحسن الارادة المنتجة من بذر محبتهم ومحبوبه وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء
والاقرب خصوصية ان لمن لم يمرق عن الدين كما تمرق السهم من الرمية ولم كانوا يصلون
ويصومون ويزعمون انهم متدينون ولكن بالتقليد لا بالتحقيق اللهم الا من شرح الله صدره
للاسلام فهو على نور من ربه اشراق آخر قد نبه الله في هذه الآية على كذب اليهود في دعواهم
ولاية الله وقربه وكشف عن ذلك بتكليفهم بتمني الموت ثم اخبر انهم لا يتمنونه لسبق اعمالهم و
افعالهم المؤدية الى الطرد عن باب الله والحرمان عن مجاورة الرحمن ونبه في موضع آخر على
كذب قولهم وفي دعويهم ان الآخرة خير لهم من الاولى ولهم الدار الآخرة خالصة لهم و
كشف عن ذلك بهذا الطريق ايضا فقال قل ان كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من
دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين فاخبر بانهم لن يتمنوا الموت ابدا بما قدمت مومنين
ايديهم من سوء الاعمال وقبح الافعال المؤدية الى النار كما قال ههنا ولن يتمنوه ابدا بما قدمت
ايديهم تنبيها على انهم ليسوا من اهل المحبة فان لمحبة الله علامات كلها من باب الترك والاعدام اعني
ترك سائر المحبوبات والموت متضمن لها والمحبوبات من غير الله هي النفس والاهل والولد والمال

والجاه والشهرة وكل محبة لمحبوب مجازي يمنعه عن لزوم العبودية والمحبة لله فمن غلبت عليه
محبة المال يمنعه عن الزكوة ومحبة الوطن يمنعه عن الحج ومحبة البدن بالاكل والشرب يمنعه عن
الصوم ومحبة النفس يمنعه عن الجهاد ومحبة الجاه والشهرة يمنعه عن الاعتراف بقصوره و
جهله وطلب العلم عن غيره والاقرار بفضيلة من هو اعلم منه كثيرا فترك كل منها علامة
محبة الله من جهة امتثال امره ونهيه فيما هو محبته بحسبه فمهما ترك الجميع فحصل علامة الاستعداد
للقاء الله فهو حينئذ عند ذلك علامة الموت لان محبة كل شيء سوى الله فرع محبة النفس فمهما
ترك لمحبة الله محبة النفس فالمتعة عنه محبة كل شيء سوى الله فصار وليا من اولياء الله
عارفا به فتمني الموت لهذا الوجه صار علامة ولاية الله وعرفانه ولهذا قال فتمنوا
الموت ان كنتم صادقين ومن كان حاله على مضادة هذا الحال حيث يحب النفس والولد
والاهل والمال والعشيرة والجاه يكون من اعدى اعداء الله كما قال قل ان كان اباؤكم
وابناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم واموال اقترفتموها وتجارة تخشون
كسادها ومساكن ترضونها احب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا
حتى ياتي الله بامره اشراق اخر لما ان اهل السعادة الاخروية اما ان يكونوا من المقربين الذين
كانوا كاملين في العلم او من اصحاب اليمين الذين كانوا كاملين في العلم او من اصحاب اليمين
لم يكونوا من الكاملين في العمل والمتوسطين فيهما وجزاء المقربين مجاورة الحق الاول و
مشاهدة لقائه وجزاء اصحاب اليمين السعادة في روضات الجنان وهاتان المرتبتان
مسلوبتان عنهم رسالة فساد اعتقادهم وبطلان علمهم لفقدهما يؤدي الى الكمال العلمي
والعملي عنهم بالكلية من العلوم الحقة والاعمال الحسنة فتمني الموت ممتنع عنهم وانما تمني الموت

من كان عارفا بالله مشتاقا الى جنابه او عاملا عمل الاخرة من الزهد في الدنيا وترك مستلذاتها و
مشتهياتها حاضر بكون الموت موصلا له الى محبوبه الاصلي ومطلقا له عن اسر الطبيعة وحبس الظلمات
وصحبة الاضداد والموذيات وقاطعا عنه كلفة العبادات وشدة الرياضات والمحن والالام
والامراض اشراق اخر لما في كل واحدة من هذه الاية والتي تليها اشارة الى الذين
ارباب العلوم الظاهرة المنكرين لارباب العلوم الباطنة يزعمون انهم من اهل النجاة و اهل
الدرجات دون هؤلاء المحققين المعرضين عن المناصب والاشتهار والتعلق في البلاد
والديار والتعرض للشيخوخة وتولية الاوقاف فجعل الله تعالى امارة اهل النجاة السالمة
من حيوة هذه الدنيا وتمني الموت وشاهد لما الى هذا حال السالك الصادق والمحقق
العاشق كما قال بعضهم اقتلوني يا ثقاتي ان في قتلي حيوتي ومماتي في حيوتي وحيوتي
في مماتي وحال المنكرين من اهل البدع والاهواء والعلماء الحريصين على الدنيا كحال
هذا كما قال ولتجدنهم احرص الناس على حيوة ومن الذين اشركوا الان المشرك وان كان
حريصا على الحيوة لكن لم يكن له خوف العذاب لانكاره البعث واما المغرور المكور
فيكون له حرص الحيوة وخوف العقاب فيكون احرص على الحيوة من المشرك وبالجملة حب الدنيا
نتيجة الغفلة من الله فاشدهم منه غفلة احبهم للبقاء في الدنيا وحال المؤمن الخاشع على
ضد هذا فان العبد المطيع يحب الرجوع الى مولاه والعبد الابق يكره الرجوع الى مولاه
وفي الحديث من احب لقاء الله احب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه اي
محبة العبد للقاء الله نتيجة محبة الله للقاء العبد بحسب الجذبة الالهية التي لا يوازيها عمل الثقلين
ولذا قال يحبهم ويحبونه اشراق اخر قوله والله عليم بالظالمين اشارة الى

لان ايمان المؤمنين وشرك المشركين ونفاق المنافقين امور قضائية مرتبط بالعلم الازلي
بحسب مقتضيات الاسماء الالهية الموجبة لان يكون وجود هذا العالم السفلي ممتزجا انواره
بالظلمات ومركبا من الشرور والخيرات لان نظامه حاصل من تركيب الاضداد وطبايع
كثايف الاجساد ولا تصلح لتعميره الا نفوس فظاظ غلاظ شداد وقلوب قاسية
كالحجارة متطلخة بالظلمة والسواد لا يليقها الا النار كما في قوله وقودها الناس و
الحجارة اعدت للكافرين ولا يؤثر فيها الوعظ والنصيحة والانذار ولا ينجع لها تلاوة
الكتاب والسنة بالدرس والتكرار لعدم اهتدائهم بعالم الاخرة اليه يرجع النفوس من
الاخيار ومعدن الانوار وعن بعضهم ان الله قد ابطل قول اليهود واظهر كذبهم
في هذه السورة في ثلاثة امور افتخروا بانهم اولياء الله واحباؤه فكذبهم بقوله
فتمنوا الموت ان كنتم صادقين وبانهم اهل الكتاب والعرب لا كتاب لهم فشبههم
بالحمار يحمل اسفارا وبالسبت وانه ليس للمسلمين مثله فشرع الله لهم الجمعة المطلع
السابع في قوله تعالى قل ان الموت الذي تفرون منه فانه ملاقيكم ثم
تردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون
وفيه اشراقات الاول في القراءة قرأ زيد بن علي عليه السلام انه ملاقيكم بدون
الفاء وفي قراءة ابن مسعود تفرون منه ملاقيكم وهي ظاهرة واما الفاء فلتضمن
الذي معنى الشرط وقيل التقدير قل ان الموت هو الذي تفرون منه فجعل الذي في
موضع الخبر لا صفة للموت ويكون فانه مستأنفا وكذا في قراءة زيد ظل قرئ
قل يا محمد ان الموت الذي تفرون منه لاعتيادكم بصحبة الدنيا وابنائها وشهواتها

ونسائها

ونسائها واموالها واسبابها وبنائها فانه ملاقيكم اي انكم ولو فررتم من الموت او القتل
بتقوية المزاج واكل الاغذية الجيدة والترياقات لدفع السموم والافاعي وتحصيل
الوقايات من الاسلحة الدافعة والابنية والدروع الواقية والحصون والقلاع العالية
الحارسة عن العدو والى غير ذلك من التدابير البشرية والحيل الانسانية لمدافعة الموت فانه لا بد من
نزوله بكم ويلاقيكم ويدرككم ولا ينفعكم الهرب منه اينما تولوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج
مشيدة وانما قال فانه ملاقيكم بالفاء وحرف التاكيد والجملة الاسمية مبالغة في الدلالة على انه لا
ينفع الفرار فسواء فروا او لم يفروا فانه يلاقيهم بل ربما كان نفس الفرار من اسباب الموت
كما يشهد في مواضع الاحترازات والاستعلاجات الطبية حيث يصير عين الاحتراز من اسباب
الوقوع في القتل او الموت فاذا كان بمنزلة السبب في ملاقاته فلا معنى للتعرض للفرار لانه لا
يباعدهم عما اريد بهم ولهذا المعنى اشار امير المؤمنين عليه السلام في قوله كل امرئ لاق ما يفر منه
والاجل مساق النفس والهرب منه موافاته وقال زهير ومن هاب اسباب المنايا ينلنه ولو نال
اسباب السماء بسلم ولا شك انما تناله هابها او لم يهبها ولكنه اذا كانت بمنزلة السبب
فالهيبة لا معنى لها اشراق حكمي واعلم انه قد تقرر في العلوم الحكمية بيان حكمة الموت وحكمة
نفرة النفوس وفرارها عنه اما حكمة الموت فلان كون النفس في هذه الدنيا حال نقص ودون التمام
وكونها في الاخرة حال تمام فالبقاء على حال التمام والكمال افضل واكمل والذوق اعرف
كما ان حال الجنين في الارحام حال نقص عن التمام والكمال وحالها بعد الولادة حال تمام
كمال كما لا يخفى على ذوي النهى وكانه لا يمكن الوصول الى تمام الخلقة البدنية في الدنيا الا بعد تقدم
حال النقص في الرحم وبجوازه عليه ثم الخروج عنه فهكذا حال النفوس بعد الموت ليس شيء سوى

مفارقة الروح الجسد والدنيا كالم الولادة ليست سوى مفارقة الجسد المشيمة والرحم فالدنيا
كالرحم والبدن كالمشيمة والروح كالجنين والم النزع كالم الولادة وملك الموت كالقابلة والقبر
كالمهد وفضاء الآخرة وانوارها بالنسبة الى ضيق الدنيا وظلماتها الثلث التي بعضها فوق
بعض ظلمة الهيولى وظلمة الطبيعة وظلمة النفس بدواعيها الشهوية والغضبية والوهمية كفضاء
الدنيا وانوارها بالنسبة الى ضيق الجوف وظلماته الثلث ظلمة المشيمة وظلمة الرحم وظلمة البطن او
ظلمة الجمادية والنباتية والحيوانية واما حكمة كراهة النفوس الموت وفرارها منه فان الله جل ثناؤه
جعل لواجب حكمته في طبع النفوس محبة الوجود والبقاء ابدا سرمدا وجعل في جبلتها كراهة العدم
والفناء لان الوجود خير محض مؤثر عند الكل ولهذا يحبه كل احد ويبغض زواله ولتحرص النفوس بطبعها
على حفظ البقاء والهرب عن الاضداد والمفسدات قبل بلوغها الى درجة الكمال وفيها وجه
آخر منها ان الباري جل ثناؤه لما كان علة الموجودات ومتمم الكائنات وممسك
الارض والسموات وهو باق ابدا صارت الموجودات كلها تحب البقاء وتشتاق اليه لانه
علة موجدها وعلتها والكل تحب علته وصفاتها وتشتاق اليها فمحبة البقاء وكراهة
الموت فرع من فروع محبة الباري جل ذكره فمن اجل هذا قالت الحكماء والمحققون من العرفاء
ان الباري جل ثناؤه هو المعشوق الاول المشتاق في ساير الخلايق جبلة وفطرة ويدور عليه
طبعا وارادة ومنها ان اكثر النفوس لا تدري بان لها وجودا خلوا عن الاجسام فان
قيل لم لا يعلم نفوسها بان لها وجودا مستقلا قلنا لانه لا يصلح لها ان تعلم هذه المعاني اذ لو
علمت لفارقت اجسادها قبل ان يتم ويكمل او تهاونت في تدبيرها كما ينبغي فادت
الاجساد الى الفساد قبل استعداد النفوس للمعاد اذا فارقت اجسادها قبل ذلك

بقيت

بقيت فارغة معطلة بلا شغل وهذا ايضا في الحكمة الالهية فان الباري جل ذكره لم يخل من تدبيره
صنعه حتى يكون فارغا بلا تدبير وافاضة بل كل يوم هو في شأن فعند علم الله في الموت
ام حيلة للنفوس ان يكون في طباعها تحت التدبير الالهي والحكمة الربانية ولذلك سلط الله
عليها دواعي من اسباب دواعيها الدنيوية وهي بعينها اسباب عطب ابدانها وهلاك
هياكلها وشقاوة نفوسها وهذا امر عجيب حكمه الله في هذا العالم حب البقاء بعينه سبب
الهلاك وسبب الشقاوة وتلك الاسباب المسلطة هي الجوع والعطش والشهوات المختلفة
واللذات الزائلة اما قصد الباري في تسليطها على النفوس لكيما تدعوها الى الاكل
والشرب لتخلف على ابدانها الكيموس بدلا عما يتحلل منها ساعة فساعة اذ كانت
اجسادها دايما في الذوبان والسيلان وقد بينا في تفسير قوله تعالى الله خلق السموات
والارض في ستة ايام ان عالم الطبيعة واقع تحت جنس الحركة بالذات واما الشهوات المستولية
فلان تدعوها الى المأكولات المختلفة الموافقة لامزجة ابدانها وما تحتاج اليه طباعها مدة
الكون واما اللذة فلان يأكل بقدر الحاجة ولا يزيد ولا ينقص واما الذي يعرض لها من الالام
والاوجاع عند الامراض والآفات العارضة لاجسادها فلان تحرص النفوس على حفظ اجسادها
من الآفات ليبقى الى وقت معلوم ولا تفنى قبل بلوغ النفس الى كمالها اللايق فان استكمالها انما هو
بالعلم والعمل وبلوغها الى درجة العقل بالفعل انما يحصل بالآلات البدنية وحواسها الظاهرة
والباطنة ممن فقدها فقد علما اشرف واخر اعلم انا قد بينا في تفاسيرنا على لحوق الموت
الطبيعي لكل نفس بوجه تحقيقي غير ما اشتهر في الكتب الطبيعية والطبية وانما استنبطنا ذلك من بعض
الآيات القرآنية حسبما الهمنا الله به واثبتناه بالبيان البرهاني على نهج الحكماء الالهيين لا

بالبيانات التي هي منهج الاطباء والطبيعيين وحكاية القوى فيه لم وجبلة النفوس التي
من حال الى حال والتدرج الى كمال بعد كمال والتوجه والسير الحثيث الى المبدأ الفعال و
هذا الوجه بدء في النبات والحيوان فضلا عن الانسان وقد اقيم البرهان عليه في موضعه
او لا ترى ان النفس الانسانية من اول تكونها كان لها قوة قابلة هيولانية شبيهة
بالعدم كما قال تعالى هل اتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا ثم دخلت
في دائرة النبات ثم في دائرة الحيوان ثم ظهر منها آثار البشرية حتى بلغ غاية النمو وكمال
الخلقة حين اشتد بها الصورة فصارت قوية القوى الشهوية والغضبية ثم اذا جاوز عن وقت
غاية النمو فشرع في الذبول الخلقي والفتور البدني ولم يكن منشأ ذلك الا في امر خارجي
وردت عليها او قصور عرض لها في عين حركتها نحو الكمال وقد علمت ان الفائض من
المبدأ الحق ليس الا خيرا وكمالا لا عدما وشرا واستدعاء القابل منه ليس الا البقاء و
الدوام لا الذبول والفساد وانما حدث ذلك من جهة القوة الجسمانية وقصور المزاج الغذاء
الذي يصير بدلا عما يتحلل بحسب الكيفية عن مزاج اصل البدن من جهة نقصان مراتب الهضم
التعديل فيه عن مراتبها في مادة البدن بمرتبة واحدة فان النطفة وردت عليها خمسة
هضوم وتعديلات اربعة غذائية وواحدة منوية عند كونها في اوعية المني بخلاف الغذاء
فلا يكافي ما يرد منه على البدن لما ينتقص من الاعضاء عنه فلهذا يعرض الفناء فهو امر
تخميني مبناه على الظنون والتخيلات لا على مقدمات حكمية برهانية وكذا حكاية النجوم واحكامها
لكون اكثرها مبني على تخمينات لا تغني من الحق شيئا ثم ان الطبيعة اذا جاوزت النوع الاخس
وقد بقيت بعد فلا بد ان تحفظ النوع الاشرف والا لكانت معطلة ولا معطل في الوجود

وقد

وقد تقرر في الحكمة ايضا ان الطبيعة ما لم توف النوع الاخس لم تتجاوز عنه الى ما هو اشرف منه ولا
شبهة في ان الانسان بحسب كمال خلقته البدنية اشرف من جميع الحيوانات لكونه تام الحواس مع القوة النطقية
والعقلية المختصتان به فعلم ان طبيعته قد تجاوزت عن جميع الحدود والمراتب التي في سائر الحيوانات وهي
بعد في الحركة المعنوية ولم يتم الصور والانواع الممكنة في عالم الطبيعة ونشأة الدنيا فلا بد
من توجهها ورجوعها الى عالم الآخرة وعند الله سواء كانت سعيدة مسرورة او شقية
معذبة لان هذه الحركة من النفس ليست اختيارية بل اضطرارية جبلية فهذا هو السبب اللمي للعروض
الموت كما ان ما ذكرناه اولا هو السبب الغائي له فافهم واغتنم تذكرة تمثيلية ان
معنى الموت في الحقيقة ليس شيئا سوى ترك النفس استعمال الجسد لان البدن للنفس بمنزلة
الدكان للصانع والاعضاء بمنزلة الآلات فاذا اخلقت الآلات الصانع وانهدم فان
الصانع لا يقدر على عمل شيء من صنعته الا بتجدد دكان اخرى وادوات مجددة فكل صانع حكيم
اذا افكر في امره ونظر في عواقب عمره علم انه لا بد وان يخرب يوما دكانه ويكل ادواته و
يضعف قوة بدنه ويذهب ايام شبابه فهم بادروا واجتهد قبل خراب الدكان وكل الآلات
وذهاب القوة واكتسب ما يغنيه عن الدكان ويستغني عن السعي فانه لا يحتاج بعد ذلك الى دكان
اخرى ولا ادوات مجددة بل يستريح من العمل ويشتغل بالتمتع واللذات بما كسب فهذه بعينه
حال النفوس الفاضلة بعد خراب ابدانها وعطب اجسامها فتفكر يا مسكين وبادر واجتهد
وتزود قبل خراب هذا الدكان وفساد هذه الآلات فان خير الزاد التقوى شك و
تحقيق فان قلت ما العلة في بقاء النفوس الكاملة المجردة بذاتها المستغنية عن البدن و
قواه مدة في هذه الدار مع ما يعتريهم من المحن والآلام وما يلحقهم من عداوة الجهال وفتنة

كالاسرار فلنا الحكم في ذلك كون تلك النفوس مشغولة بتدبير النفوس الناقصة المتجددة لتكميلاتهم هذه
ويكمل بذلك ويصير فوق التمام وبالغة الى الكمال بعد كماله والى حال اشرف واعلى وانه الى ربك
المنتهى والمثال في ذلك كالاب الشفيق والاستاد الرفيق في تعليم التلامذة والاولاد واخراجهم
من ظلمات الجهالات الى فسحة العلوم والمعارف ليتموا ما هم فيه ويكملون اولئك الآباء والاستاد
ما في قوة نفوسهم من العلوم والصنايع والحكم الى الفعل والظهور اقتداء بالباري سبحانه و
تشبها في حكمته اذ هو العلة والسبب في اخراج الموجودات من القوة والبطون الى الفعل والظهور
فكل نفس هي اكثر علوما واحكم صنعا واجود عملا واعطى لغيره اكثر فيضانا وافادة فهي الى الله
اقرب نسبة واشد تشبها وهذه هي مرتبة الملئكة الذين لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون
فيبتغون الى ربهم الوسيلة ايهم اقرب ولهذا قالت ائمة الحكمة القديمة في تعريفها انها هي التشبه
بالاله بقدر الطاقة البشرية وفي الحكمة المحمدية على الصادع بها وآله افضل التحيات والتسليمات
تخلقوا باخلاق الله تعالى لزم ان يكون علوم حقيقية وصنايع محكمة واعمال صالحة واخلاق جميلة
وارادة صحيحة وفيضه على غيره متصلا فهو من اولياء الله المقربين منه واحبائه المرتضين
لديه اشراق آخر في قوله ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة اعلم انه قد وقعت نسبة
قبض الارواح وجذب النفوس تارة الى الله كما في قوله الله يتوفى الانفس حين موتها وتارة
الى بعض ملئكة المقربين كما في قوله قل يتوفيكم ملك الموت الذي وكل بكم وتارة الى رسل الله
كما في قوله توفته رسلنا وهم لا يفرطون وتارة نفس النفس كما في قوله يا ايتها النفس المطمئنة
ارجعي الى ربك راضية مرضية وتارة لم ينسب الى فاعل معلوم ولم يذكر اسم القابض
كما في هذه الآية فلا بد من نكتة في بيان ذلك وقد ذكرنا في تفسير ما يمكن ان يستفاد منه

بهذه النكتة بوجه لا مزيد عليه فليراجع هناك واعلم ههنا انه بين الذات الاحدية وبين
كل موجود طبيعي امور متوسطة هي اسباب تحققه ومبادي تكوينه ومن جملة تلك الاسباب
هي اسباب جذب الارواح من اسفل سافلين الى اعلى عليين فاولها اسم الله القابض في
العالم الالهية ثم الملك المقرب الذي جذب الارواح في عالم القدس ثم النفس المطهرة في عالم
النفوس ثم الطبيعة الجزئية في عالم الطبيعة فان لكل نفس قوة محركة توجهت بطبيعتها
من مرتبة الحيوانية الى مرتبة الانسانية كما اشرنا اليه فلك اشارة الى هذه المراتب المقتضية
لقبض الارواح وجذب النفوس وقعت نسبة التوفي تارة الى الله وتارة الى الملك الروحاني الارواح
وتارة الى النفس وتارة الى الطبيعة كما في هذه الآية تنبيها على اختلاف النشأت وتعدد
مراتب الانسان روحا ونفسا وطبيعة لكن يجب ان يعلم مما اشرنا اليه وكررنا اثباته في
توضيح اسرار بعض الآيات ان كل فعل اذا نسب الى الباري القيوم يكون بالحقيقة لا بالمجاز و
اذا نسب الى غيره يكون بالمجاز لان الاسباب متهالكة عند مسببها فقوله الله يتوفى الانفس حين
موتها صحيحة في الجذب وقوله قل يتوفيكم ملك الموت مجاز للكامل في العرفان ومن لا
يطلع نور توحيده نور حكمته في ترتيب الاشياء وكثرة صور المهيات التي هي مظاهر الكمالات و
اكثر الناس منهم يشغلهم شان عن شان اذ فمنهم من راعى جانب التوحيد في الافعال فاهمل
رعاية الحكمة والترتيب كالاشاعرة فانكروا القول بالعلة والحكم وترتيب الاسباب ولم
يتدبروا في خلق السموات والارض وما بينهما من عجائب الفطرة وبدايع الحكمة وقد قال
سبحانه وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين ومنهم من راعى جانب الحكمة في
اثبات الوسايط كالمعتزلة لكن اهملوا جانب التوحيد الافعالي فصارت الاسباب

الوتية حجابا له عن رؤيته حسب الاسباب واما الذي تميز به محققوا الاسلام وحكماء
الشريعة والراسخون في العلم والعارفون بتاويل الاحاديث فهو الجمع بين التوحيد
والشرع ولاجل هذا الجمع والتوفيق نسب الله تعالى الافعال في القرآن مرة الى الملائكة و
مرة الى العباد ومرة الى نفسه كما علمت في القبض وقال في نفخ الارواح في الاجساد
فارسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا ثم قال فنفخنا فيها من روحنا ثم قال
فانفخ فيه فيكون طيرا باذني وقال في الحراثة افرايتم ما تحرثون ثم قال انا صببنا الماء صبا
ثم شققنا الارض شقا فانبتنا فيها حبا وعنبا وفي الحديث في وصف ملك الارحام انه
يدخل الرحم فياخذ النطفة في يده ثم يصورها جسدا فيقول يا رب اذكر او انثى اسوي ام معوج
فيقول الله ما شاء ويخلق الملك وفي لفظ او يصور الملك فيها الروح بالسعادة و
الشقاوة وقال بعض السلف ان الملك الذي يقال له الروح هو الذي يولج الارواح في الاجسام
وانه يتنفس بوصفه فيكون كل نفس من انفاسه روحا يلج في جسم ولذلك سمي روحا وما ذكر
من مثل هذا الملك وصفته فهو حق يشاهده اصحاب القلوب ببصائرهم وهذا بعينه كحال المتكلم
بالكلام الحكمي حيث ان كل نفس من انفاسه يفيد معنى عقليا يليق في تشكل كلامي وكذا ذكر في القرآن
كما يات في خلق الارض فنسب الدلالة على ذاته ووحدانيته الى الآيات قال اولم يكف بربك انه على كل
شيء شهيد وقال ايضا شهد الله انه لا اله الا هو فبين انه الدليل على نفسه وليس ذلك
بمتناقض بل طرق المعرفة مختلفة فكم من سالك طالب عرف ذاته بالنظر الى الموجودات وكم من
طالب عرف بالنظر اليه كل الموجودات فقال عرفت ربي بربي ولولا ربي لما عرفت ربي و
هذا بعينه مسلك الصديقين وما ذكرناه اولا مسلك ذوي الانظار وايضا قد وصف الله

نفسه بانه المحيي والمميت ثم فوض الموت والحيوة الى ملكين ففي الخبر ان ملك الموت وملك
الحيوة تناظرا فقال ملك الموت انا اميت وقال ملك الحيوة انا احيي فاوحى الله
اليهما كونا على عملكما وما سخرتما له من الصنع وانا المحيي والمميت لا محيي سواي وبالجملة
المحقق من لا قوام للاشياء عنده بانفسها وانما قوامها بغيرها فهي باعتبار انفسها
باطلة الذوات هالكات المهيات وانما حقيقتها وحييتها بغيرها لا بانفسها فاذن لا حق
بالحقيقة عند المحقق الا الحي القيوم الذي ليس كمثله شيء فانه قائم بذاته وكل ما سواه قائم
بقدرته فهو الحق وما سواه باطل وما جرى حقيقة هذا المعنى على لسان بعض الاعراب قصدا
او اتفاقا فاصدقه رسول الله صلعم فقال اصدق بيت قاله الشاعر قول لبيد الا كل
شيء ما خلا الله باطل **اشراق آخر** لما علمت ان للانسان مراتب مختلفة ولتحصيل كل
مرتبة اسباب وعلل خلقها الله تعالى فاعلم انه تحصيل كل مرتبة عالية للانسان بالذات
مستتبع لبطلان مرتبة ادنى فيحيى الانسان في كل نشأة هو مميته في النشأة المتقدمة
عليها ولهذا قيل لقابض الروح انه ملك الموت نظرا الى هذين الوجهين ويسمى
بالمحيي على الاسم لانه من باب تسمية الشيء باسم ضده اشراق آخر ان من الحكم البالغة
والنعم السابغة ان الله قد جمع في طينة الانسان ما افرد به الملائكة المقربين والحيوانات
المبعدين فضلا عما خص به العالمين اجمعين فبين ذلك ان الله تعالى افرد الملائكة بروح
نوراني علوي باق ابدي وافرد الحيوانات بروح سفلي فاني فافرد للانسان بالتركيب الروحين
فيه فان فافرد للانسان حيواني وباق ملكي فالحكمة في ذلك ان الروح الملكي غير متغذ ولا نام
وانما بقاؤه بالتسبيح والتقديس وهو بمثابة النفس للحيوان ولهذا ليس للملك الترقي من

مقامه لقوله كل له مقام معلوم والروح الحيواني قابل للترقي لانه متغذ فجعل الله الانسان
مركبا من الروحين ليستطبع روح الملكي بطبع روح الحيواني في التغذي وقبول الفناء الذي
يعبر عنه بالموت ليصير مترقيا كالحيوان قابلا للنقل من هذه الدار الى دار البقاء
مترقيا الى العالم الاعلى وينطبع روح الحيواني بطبع روح الملكي ليصير مسبحا ومقدسا
كالملك باقيا بعد المفارقة عارفا بالله بخلاف الحيوانات ولكن من اختصاص الروح
الحيواني بالتغذي لم يجعل الغذاء جنس المتغذي وبلونه وصفته ومن اختصاص الروح
الانساني لم يكن متلونا بلون الغذاء ومتصفا بصفته وذلك لان غذاء الروح الحيواني
الطعام والشراب وهما من الجماد والنبات او الحيوان المذبوح المطبوخ وفيهما
الرطوبة واليبوسة والحرارة والبرودة مركوزة الطبع والروح الحيواني غالب عليهما و
متصرف فيهما بالطبع فيجعلهما جنس المتغذي وغذاء الروح الانساني ذكر الله وطاعته
والشوق الى جنابه والمحبة الى لقائه كما قال الله تعالى في آخر هذه السورة فاذكروا الله لعلكم
تفلحون وقوله الا بذكر الله تطمئن القلوب وفيه النور والجذبة الالهية وهما غالبان
على الروح بتجوهر بجوهرهما في تجوهره بجوهر الروح الانساني نوع من الفناء عن وجوده و
البقاء بنور ربه فهو بمثابة ميت ذاق الموت ثم احيي بنور ربه كما قال أَوَمَن كان
ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس فهذا الموت الذي تحيى به الروح
الاحياء الاخروي بنور الله انما سعادة من النفس الحيوانية التي هي ذائقة الموت وقابلة
الفناء فافهم واغتنم اشراق آخر اما قوله فينبئكم بما كنتم تعملون نعم
يحشر الناس على صور نياتهم وضمائرهم واشكال اخلاقهم وصفاتهم الحاصلة من

تكرر

تكرار افاعيلهم والاعمال والمعاملات المؤثرة في القلوب امارة واطلاما فالاعمال
بمنزلة الحراثة والزراعة وطرح البذور في اراضي القلوب والنيات المستورة فيها
بمنزلة البذور ومدة الكون في الدنيا كمدة الشتاء التي تحجب الارض فيها عن الشمس لاجل
السحب المظلمة ويحصل البرودة والجمود لميلان الشمس عن سمت رؤوس اهلها فاذا ارتفع
النهار واشتد حرارة الشمس وقت الربيع يظهر ما كمن في باطن الارض من البذور ويحصل
الازهار والثمار وانكشف ما استتر في بواطن الاشجار من الانواع المختلفة فيكون كل ثمر
مناسبا لحبه وبذره ويكون بعضها حلوا وبعضها مرا وبعضها حامضا وبعضها
ترياقا نافعا وبعضها سما ناقعا فهكذا يكون الحال يوم قيام الساعة وطلوع شمس
الحقيقة من مغربها عند حشر الخلائق وحشرناهم فلم نغادر منهم احدا وبروزهم للحق تعالى
وبرزوا لله الواحد القهار يوم تبلى السرائر ويكون الحشر لهم على انحاء مختلفة فلقوم على
سبيل الوفد يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا ولقوم على سبيل التعذيب ويوم يحشر
اعداء الله الى النار ونسوق المجرمين الى جهنم وردا ولقوم يسحبون على وجوههم
كالحيوانات المؤذية وبالجملة الحشر لكل احد الى ما يعمل لاجله ويحبه لقوله كل يعمل على شاكلته
واحشروا الذين ظلموا وازواجهم وقوله فوربك لنحشرنهم والشياطين حتى انه لو احب
احدكم حجرا لحشر معه كما ورد في الحديث ولا شك ان افاعيل الاشقياء المدبرين
المتوغلين بحب بهيمتهم القاصرة عن الارتقاء الى عالم الملكوت في البرازخ الحيوانية و
الاعمال الشهوية والغضبية البهيمية والسبعية فلا جرم يكون تصوراتهم مقصورة على اغراض
حيوانية تغلب على نفوسهم فيحشرون على صور تلك الحيوانات في الدار الآخرة كما في قوله

تعالى واذا الوحوش حشرت وقوله صلى الله عليه وآله وسلم يحشر الناس بعض الناس على صورة
يحسن عندها القردة والخنازير وهكذا يتصورون بصورهم الحقيقية لا فروية لاهل الشهود
واصحاب الكشف لان في ذلك لآيات لقوم يعقلون اعاذنا الله من شرور نفسنا ومن سيئات
اعمالنا المطلع الثامن في قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا اذا نودي
للصلوة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع
ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون وفيه اشراقات سمية الاول في اللغة و
القراءة في مجمع البيان الجمعة والجمعة لغتان وجمعها جمع وجمعات قال الفراء وفيها لغة
ثالثة جمعة بفتح الميم كضحكة وهمزة وفي الكشاف يوم الجمعة يوم الفوج المجموع كقولهم ضحكة
للمضحوك منه ويوم الجمعة بفتح الميم يوم الوقت الجامع كقولهم ضحكة ولعنة ويوم الجمعة
تثقيل للجمعة كما قيل عشرة في عشرة وقرئ بالوجوه الثلثة ومن بيانية مفسرة لاذا
والنداء الاذان وقد كان لرسول الله صلى الله عليه وآله مؤذن واحد وكان اذا جلس على
المنبر اذن على باب المسجد فاذا نزل اقام للصلوة وكان ذلك مستمرا الى زمان
عثمن فكثر الناس وتباعدت المنازل فاحدث الاذان الثالث فامر مؤذنا ان
فامر بالتاذين الاول على داره التي تسمى زوراء فاذا جلس على المنبر اذن المؤذن
الثاني فاذا نزل اقام للصلوة وانما سميت جمعة لان الله تعالى فرغ فيه من خلق الاشياء
فاجتمعت فيه المخلوقات وفيه سر سنشير اليه وقيل لانه يجتمع فيه الجماعات وقيل ان اول
من سماها جمعة كعب بن لوي وهو اول من قال اما بعد وكان يقال لها العروبة عن
ابي سلمة وقيل اول من سماها جمعة الانصار وذكر ابن سيرين جمع اهل المدينة قبل

قدوم النبي صلعم ونزول هذه السورة فقالت الانصار لليهود يوم يجتمعون
فيه كل سبعة ايام وللنصارى مثل ذلك فهلموا نجعل لنا يوما نجتمع فيه فنذكر الله فيه ونصلي
فقالوا يوم السبت لليهود ويوم الاحد للنصارى فاجعلوه يوم العروبة فاجتمعوا
الى سعد بن زرارة فصلى بهم يومئذ ركعتين وذكرهم فسموه يوم الجمعة لاجتماعهم فيه فانزل
الله الجمعة فهي اول جمعة كانت في الاسلام واما اول جمعة جمعها رسول الله صلى الله عليه وآله
فهي انه لما قدم المدينة مهاجرا نزل قباء على بني عمرو بن عوف واقام بها يوم الاثنين
والثلثا والاربعا والخميس واسس مسجدهم ثم خرج يوم الجمعة عامدا المدينة فادركته
صلوة الجمعة في بني سالم بن عوف في بطن واد لهم فخطب وصلى الجمعة اما القراءة فقرأ عمر وابن
عباس وابن مسعود وغيرهم فامضوا الى ذكر الله وروي ذلك عن علي بن ابي طالب عليه السلام
وابن عباس وهو المروي عن ابي جعفر وابي عبد الله عليهما السلام وقيل ان عمر سمع رجلا
يقرأ فاسعوا فقال من اقرأك هذا قال ابي بن كعب فقال لا يزال يقرأ بالمنسوخ
لو كانت فاسعوا لسعيت حتى يسقط ردائي عن قتادة معنى فاسعوا فامضوا لسعيت
الى الصلوة مسارعين غير متثاقلين وقيل المراد بالسعي القصد دون العدو ومنه
قوله تعالى فلما بلغ معه السعي وله السعي لان ليس للانسان الا ما سعى وان سعيه سوف يرى وعن الحسن
ليس السعي على الاقدام لكنه على النيات والقلوب بالشرع وقد نهوا ان يقوموا بالخشوع
الى الصلوة الا وعليهم السكينة والوقار وذكر محمد بن الحسن في موطئه ان ابن عمر سمع الاقامة
وهو بالبقيع فاسرع المشي قال محمد وهذا لا بأس به ما لم يجهد نفسه اشراق في فضل
يوم الجمعة عن النبي صلعم خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة خلق آدم وفيه ادخل الجنة وفيه

اهبط الى الارض وفيه تقوم الساعة وعنه عليه وآله الصلوة اتاني جبرئيل وفي كفه مرآة
بيضاء وقال هذه الجمعة يعرضها عليك ربك لتكون لك عيدا ولامتك من بعدك وهو سيد
الايام عندنا ونحن ندعوه في الآخرة يوم المزيد وعنه صلعم ان لله في كل جمعة ستمائة الف
عتيق من النار وفي الحديث اذا كان يوم الجمعة قعدت الملائكة على ابواب المسجد بايديهم
صحف من فضة واقلام من ذهب يكتبون الاول فالاول على مراتبهم قيل كانت الطرقات
في ايام السلف وقت السحر وبعد الفجر مغتصة بالمبكرين الى الجمعة يمشون بالسرج وقيل
اول بدعة احدثت في الاسلام ترك البكور الى الجمعة وعن ابي جعفر ع ما طلعت الشمس
بيوم افضل من يوم الجمعة وروى سهل بن زياد عن ابي بصير عن ابي الحسن الرضا ع قال
قال رسول الله صلى الله عليه وآله ان يوم الجمعة سيد الايام يضاعف فيه الحسنات ويمحو فيه
السيئات ويرفع فيه الدرجات ويستجاب فيه الدعوات وتكشف فيه الكربات وتقضى فيه الحاجات
العظام وهو يوم المزيد لله عتقاء وطلقاء من النار ما دعى الله فيه احد وعرف حقه
وحرمته الا كان حقا على الله ان يجعله من عتقائه وطلقائه من النار ومن مات في يومه او ليلته
مات شهيدا وبعث آمنا وما استخف احد بحرمته وضيع حقه الا كان حقا على الله عز وجل ان
يصليه نار جهنم الا ان يتوب وفي فضله احاديث كثيرة وفيما نقلناه كفاية للمستبصر اشراق
شمسي اذا نودي اي اذا اذن لصلوة الجمعة وذلك اذا جلس الامام على المنبر اعلم
انه لما كان كل واحد من الاوضاع الشرعية مشتملا على سر الهي نوري كاشتمال الانسان المكلف
به على لطيفة نورية ربانية ليكون له قربة الى جناب الحق ووصلة الى رضوانه ومناجاته ومن جملة
تلك الاوضاع الاذان فشرع قبل الصلوة لينتبه ويعرض عن غير الله ويتوجه بشراشر قلبه و

سره الى جناب القدس ليتاهل لمناجاة الحق لان الانسان متغير عما هو عليه حالا بعد حال
متعرض للانتقال والزوال ليس له قوة الثبات على امر ولهذا كان النبي صلعم مع جلالة
قدره وعلو سره يؤمر بالثبات والاستقامة ويسال الثبات على الدين والطاعة
فكان شرع الاذان موجبا لانتباه النفوس الراقدة لان يتاهل النفس لذكر الله
لا نهاية بعده ومعراج للمؤمن وذكر للعبد وذكر العبد لله مستلزم لذكر الله العبد كما
قال تعالى فاذكروني اذكركم وقد علمت ان من ذكر الحق فقد جالس معه لقوله انا جليس من ذكرني
ومن جالس من ذكره وهو ذو بصيرة ادرك جليسه وشاهده ومن شاهده فقد ادركه و
هذا غاية مطلب الصديقين ومآل حاصل الذكر وبذكر الله تطمئن القلوب ثم الاذان
مجمع صفات الجلال والاكرام واول اجزائه الله اكبر وهو ايذان بان الله اكبر من
جميع الاشياء بل هو اكبر من ان ينسب اليه هذه النسبة فان الكبرياء رداؤه والعظمة
ازاره ووظيفة السامع من استماع هذه الكلمة الرجوع الى الله ورفض ما سواه الذي
هو ظل لانه الوجود وكله لله من حيث ذاته ومن حيث اسمائه الحسنى ومن حيث افعاله
الوجودية واكوانها ولما كانت الاولى لم تتنبه النفوس المشغولة المادية غالبا شرع
التكرار لاثبات معنى الالوهية الجامعة لجملة الاسماء والصفات في مرآة النفس الناطقة ثم
كلمة الشهادة الزكية كالعنوان لما حصل في النفس من معنى الجزء الاول من التصديق
الذي هو عمل القلب والجزء الاول اشارة الى اثبات الواحد الحق والثاني اشارة الى نفي شريكه
وقد علمت مما سبق معك في التعاليم ان الايمان بالله يجعل للنفس استعداد القبول
الفيض الالهي الموجب للقربة والزلفى وتعري النفس عن المضار الدنيوية والاخروية على ما مر

فيما سبق من تفسير آية النور لان كلمة التوحيد بمنزلة المصقلة في ازالة ظلمة الرين والطبع عن مرآة
القلب ثم عقب الكلمة الثالثة المشيرة الى الاعتراف برسالة محمد صلعم ليحصل لهم بذلك الزام
اوامره ونواهيه وقد علمت الاحتياج الى وجود النبي لما مرت الاشارة اليه من ان الناس صنفان
صنف يستوي عندهم المعقول والمحسوس وهم الانبياء عليهم السلام وصنف لا تتعدى نظرهم عن
المحسوس وهم اكثر الخلق فلا بد لهم من مرشد يرشدهم الى ما لا يهتدي اليه بالحس بل العقل فان
للنبوة طورا وراء طور العقل لا يدرك الا بالكشف الشهودي وليس لكل عبد ان ينال درجة
النبوة بل رتبة الولاية فان جناب الحق جل وعلا لم يكن شريعة لكل وارد او يطلع عليه الا
واحدا بعد واحد على ان النبوة قد ختمت بنبينا محمد صلى الله عليه وآله ثم بعد ذكر كلمتي
الشهادة دعوا الخلق الى مناجاة الحق وطلب الوقوف بين يدي الرب تعالى للدعاء والصلوة
الموجبة للفلاح وهو ادراك المنية والبغية اما في الدنيا كالسعادة التي بها يطلب حيوتهم
في دنياهم واما في العقبى وهو بقاء بلا فناء وغنى بلا فقر وعز بلا ذل وعلم بلا جهل و
لان الدار الاخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون ثم انه ختم بما بدأ اشارة الى استغنائه عن
الجميع فان الله غني عن العالمين فالامر كله منه ابتداؤه واليه انتهاؤه واليه يرجع الامر كله
وهو المقصد والمرجع واليه الرجعى ومحرك الكلمات القصد والغرض وغاية ما لها من لا
غرض له كان في قلبه شغل عن ذلك سوى جلالك فاعلم انه مرض ٭ واعلم ان سر الاقامة
قد علم مما سبق ونذكر فيها نكتتين الاولى كالافراد لكونه اسرع الى المقصد الذي هو الصلوة
وهي اشارة الى طلب زيادة الاخلاص والخشوع والتواضع لقربه من الوقوف بين يدي الله
فليحسن الادب والثانية زيادة لفظ قد قامت الصلوة للدلالة على ان ذكر الله قائم على

باطن

باطن كل احد فيجب ان يكون الظاهر موافقا للباطن والعلانية حاكية عن السر اشراق
اعلم انه لما اقتضت الاسماء الحسنى الالهية ظهور آثارها جميعا في المظاهر الكونية لئلا تتعطل
طرف من الالوهية ظهر في نوع الانسان الذي اوجده لاجل العبادة كما اشار اليه
بقوله وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وطباع اكثر الناس مجبولة على العدول
عن منهج الحق والانحراف عن طريق العدل كما اشار اليه بقوله وقليل من عبادي الشكور
وقوله وما اكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين وقوله واكثرهم للحق كارهون الى غير
ذلك من الآيات وقد تقرر هذا البيان بعنايته في الاحاديث القدسية وهو كلكم ضال
الا من هديته فاسئلوني الهدى اهدكم وكلكم فقير الا من اغنيته فاسئلوني ارزقكم
وكلكم مذنب الا من غفرته فمن علم منكم اني ذو قدرة على المغفرة فاستغفرني غفرت
له ولا ابالي فلولا ان الناس اهملوا وطباعهم وتركوا سدى وخلي بينهم وبين طبايعهم
لتوغلوا في الدنيا وانهمكوا في اللذات الجسمانية والقوى الظلمانية لضروا انهم بها
وعتيادهم من الطفولية والصبا حتى زالت استعداداتهم واخطؤا عن تدبير كلها
فمسخوا وشبهوا بالبهائم والسباع كما قال تعالى وجعل منهم القردة والخنازير ولذا حفظوا
ودعوا بالسياسات الشرعية والعقلية والحكم والآداب والمواعظ الوعدية والوعيدية
ترقوا من مرتبة البهيمية وتنورت بواطنهم بنور الملكية كما قال الشاعر بيت النفس ان تهمل
تلازم خساسة ولن تنبعث نحو الفضائل تلج فلهذا وضعت العبادات وفرض عليهم
تكرارها في الاوقات المعينة لتزول عنهم بها درن الطباع المتراكمة في اوقات الغفلات
وظلمة الشواغل العارضة في ازمنة اتخاذ اللذات وارتكاب الشهوات فيتنور طبعهم

در عافيته

بنور الحضور وينتقش قلوبهم بالتوجه الى الحق عن السقوط في هاوية النفس والعثور ويستريح
بروح الروح وحب الوحدة عن الوحشة وتعلق الكثرة كما قال صلى الله عليه وآله الصلوة الى الصلوة
كفارة ما بينهما من الصغاير اذا اجتنبت الكباير الا ترى كيف امرهم عند الحدث الاكبر
مباشرة الشهوة بتطهير البدن بالغسل وعند الحدث الاصغر بالوضوء وعند الاشتغال
بالاشغال الدنيوية في ساعات اليوم والليلة بالصلوات الخمس المزيلة لكدورات الحواس الخمس
المزيلة الحاصلة في النفس بينها كل بما يناسبه ولذلك وضعوا بازاء وحشة تفرقة
الاسبوع وظلمة انوارهم بذنوب الاشغال والمكاسب والملابس البدنية والملاذ النفسانية
اجتماع قوم على العبادة والتوجه لزوال وحشة التفرقة بانس الاجتماع ويحصل
بينهم المحبة والانس وزوال ظلمة الاشتغال بالامور الدنيوية والاعراض عن الحق بنور
العبادة والتوجه فيحصل لهم التنور فوضعوا لليهود اول الاسابيع لكونهم اهل المبدا
والظاهر وللنصارى ما بعده لانهم اهل المعاد والوحدة واهل الباطن المتاخرين عن
المبدا والظاهر وللمسلمين اخرها الذي هو يوم الجمعة لكونهم في آخر الزمان اهل النبوة الختمية
واهل الوحدة الجمعية للكل ولم يجعل السبت اخر الايام على ما نقل انه السابع فبنسبة
الى الحق تعالى لان عالم الحس الذي اليه دعوة اليهود هو اخر العوالم واول العوالم عالم
العقل الذي اليه دعوة النصارى والجمعة هي يوم الجمع والختم استشهاد قرآني
او لا ترى لنبي موسى على ما كان من اهل المبدا او صاحب التنزيل كان من جانب الغرب وهو
اول النور وما كنت بجانب الغربي اذ قضينا الى موسى الامر وعيسى عليه السلام لما كان من
المعاد وصاحب التاويل كان مكانه في الشرق وهو موضع طلوع النور واذكر

في الكتاب

في الكتاب مريم اذ انتبذت من اهلها مكانا شرقيا ونبينا صلى الله عليه وآله كان جامع المرتبتين المبدا
والمعاد والبرزخ المتوسط بين الجانبين المشرق والمغرب والمبرا عن العالمين الاولى و
الاخرة بوجه اما كونه جامعا لهما فلانه منزله في المبدا كنت نبيا وآدم بين الماء والطين
وكان اشرف جوهر وجوهر الخلق محمد صلى الله عليه وآله ومنزله في المعاد اذ هو شفيع
يوم المحشر لقوله ادخرت شفاعتي لاهل الكباير من امتي واما كونه متوسطا فلان قبلة موسى الى
المغرب من وسط العالم وقبلة عيسى منه الى المشرق وقبلة نبينا ما بينهما ما بين المشرق
والمغرب قبلة واما كونه مبرءا عنهما فلقوله تعالى لا شرقية ولا غربية وهما اوان على اهل البعد
اشراق في سر يوم الجمعة اعلم انه كل وضع من الاوضاع اذا لم يطلع على سره العقول
البشرية فلا بد من ادراك سببه من طور وراء طور العقل المشوب بالوهم لامتناع
التخصيص من غير مخصص كحروف التهجي وايام الاسبوع فما ثبت للعقول الكشفية من اصحاب
الذوق والعرفان في ايام الاسبوع انها وضعت بازاء الايام الالهية التي هي مدة عمر
الدنيا وهي سبعة آلاف كما هو المشهور من الجمهور وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله انه قال
عمر الدنيا سبعة آلاف سنة بعثت في اخرها الفا وقال صلى الله عليه وآله لا نبي بعدي على هذه الامة يوم
القيمة وهو يوم العرض الاكبر كما ان يوم العرض الاول لما اشار اليه بقوله واذ اخذ
ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم الست بربكم قالوا بلى شهدنا ان تقولوا يوم القيمة
انا كنا عن هذا غافلين وبين اليومين مدة سبعة ايام كل يوم كالف سنة كقوله
وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون والدنيا كمدينة جامعة ومصر جامع فيها
من كل الخلايق والرجال والنسوان والمشايخ والصبيان فمنهم اخيار واشرار

وصلحاء وفجار وعلماء وجهال مختلفة الطبايع والاخلاق والاراء والاعمال و
العبادات فهكذا في العالم الكبير نفوس كثيرة بسيط ونفوس بسيط ونفوس جزوية مختلفة
الحالات فمنها نفوس علامة خيرة فاضلة ومنها نفوس دراكة شريرة وبهيمة ومنها جاهلة
شريرة ومنها جاهلة غير شريرة فالاولى من اجناس الملائكة وصالحي المؤمنين
والعلماء الربانيين والثانية مردة الشياطين وسحرة الجن والانس والفراعنة و
الدجالون والثالثة نفوس السباع الضارية والجهلة من اشرار الناس والرابعة
النفوس بعض الحيوانات السليمة كالغنم والحمام من الحيوان والنفوس البلهاء السليمة من
الانسان وكما ان لاهل تلك المدينة فيها مساجد وبيع وصلوات ولاهل الدين
فيها مجالس وجماعات واعياد وجمعات واذكار وصلوات فهكذا في فضاء القدس
وفسحة الجنان وسعة العرش والسموات جموع من الملائكة وارواح الانبياء والاولياء
والعلماء فلهم تسبيحات ودعوات مستجابات كما ذكر الله بقوله يسبحون الليل و
النهار لا يفترون قال وترى الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم الآية
وكما ان لاهل المدينة فيها حبوس ومطامير عليها شرط واعوان فهكذا في العالم
الكبير للنفوس الشريرة جهنم ونيران وهاوية عليها زبانية ومالك غضبان وكما ان
تلك المدينة فيها لاهلها صناع وعمال لهم اجرة وارزاق وفيها باعة وتجارة
يتعاملون بموازين ومكاييل ولهم مظالم وخصومات ولهم فيها قضاة وعدول
ولهم فقه واحكام وفصول ولهم سنة القضاة والحكام البروز والجلوس لفصل
القضاء في كل سبعة ايام يوم واحد فهكذا اجرى حكم الله وحكم النفوس الكلية يوم القيمة

يوم العرض الاكبر مثل في الانفس الجزئية في كل سبعة ايام يوم واحد لعرض النفوس
الجزئية لدى النفوس الكلية لفصل القضاء بينها لقوله واشرقت الارض بنور ربها
ووضع الكتاب وجيء بالنبيين والشهداء وقضي بينهم بالحق وهم لا يظلمون و
وفيت كل نفس ما عملت وهو اعلم بما يفعلون وقوله فلا تظلم نفس شيئا وان كان
مثقال حبة من خردل اتينا بها وكفى بنا حاسبين تبصرة اعلم ان اليوم السابع
من الايام الربانية الاسبوعية الذي وقع فيه ظهور النور المحمدي واكمال الدين و
ارتقاء النفوس الى عالم المبدا الذي هبطت منه وقطعها القوس العروجية
الى غايتها هو يوم الجمعة وهو اخر يوم من ايام الدنيا واول يوم من ايام الاخرة
يوجب القيام الساعة فيه والظهور التام للحق ووقوع القيمة الكبرى وعند ذلك
يظهر فناء الخلق والبعث والنشور والحساب ويتميز عند عرفاء امته اهل الجنة و
اهل النار ويرى فيه عرش الله بارزا كما حكينا في حديث حارثة رضه عن شهود
وقد مر في تفسير سورة الحديد عند قوله الله خلق السموات والارض في ستة ايام ان
الايام الستة الماضية من مدة احتجاب الحق بالخلق لان الخلق حجاب على الحق فمن خلق اختفى
وقد بينا هناك بوجه حكمي ان بقاء الدنيا وعالم الطبيعة عين حدوثها وتغيرها و
اليوم السابع هو يوم الجمعة وزمان الاستواء على العرش بالظهور في جميع الصفات
وهذا يوم القيمة الذي طلع فجره ببعثة نبينا صلعم فالمحمديون اهل الجمعة ومحمد
صاحبها وخاتم النبيين وبه اكمال الدين تذكرة اتفق اهل الملل كلها
من اليهود وغيرهم ان الله فرغ من خلق السموات والارض في اليوم السابع الا ان اليهود

قالوا انه السبت وابتداء الخلق من الاحد وعلى التاويل المذكور يكون يوم الجمعة ويكون
الاحد اول الايام ووقت ابتداء الخلق كان جميع دور النبوة دور الاختفاء و
في السادس ابتداء الظهور وازداد في الخواص كما ذكر انه يوم خلق آدم اي الحقيقي
ويوم الساعة ويوم المزيد ويوم دخول الجنة وسيد الايام كما مر ذكره في الاحاديث
المروية في فضل يوم الجمعة حتى ينتهي الى تمام الظهور وارتفاع الخفاء في اواخره عند
خروج المهدي عج وبعد الظهور في السابع الذي هو السبت ولما كان هذا اليوم
اي الجمعة موضوعا بازاء هذا المعنى ندب الناس فيه الى الفراغ من الاشغال الدنيوية
التي هي حجب كلها والى الحضور والاجتماع في الصلوة واوجب السعي الى ذكر الله وترك
البيع في الدنيا لكي يتظاهر النفوس بهيئة الاجتماع في صلوة الحضور المعد للوصول
الى حضرة الجمع عسى ان يتذكر احدهم بالفراغ عن الاشغال الدنيوية التي هي من الحجب الخلقية وبالسعي
الى ذكر الله السلوك في طريقه وبالصلوة مع الاجتماع الوصول الى حضرة الجمع فيفلح ذلكم خير
لكم ان كنتم تعلمون سر ذلك وحقيقته ظلال قمرية لانوار شمسية ظل قوله
الى ذكر الله اي الى الخطبة والصلوة وتسمية الخطبة ذكرا ذهب ابو حنيفة الى انه لو اقتصر الخطيب
على مقدار يسمى ذكر الله كقوله الحمد لله سبحان الله وقيل ان عثمن صعد المنبر فقال الحمد لله وارتج
عليه وقال ان ابابكر وعمر كانا يعدان لهذا المقام مقالا وانتم الى امام فعال احوج منكم
الى امام قوال وستأتيكم الخطب ثم نزل وكان ذلك بحضور الصحابة فلم ينكر عليه وعندهما لا
ان في وصاحبه لابد كلام يسمى خطبة وعند فقهائنا رضوان الله عليهم يجب الخطبتان و
يجب في كل واحد منهما الحمد لله والصلوة على النبي وآله ع والوعظ وقراءة سورة خفيفة

وقيل

وقيل يجزي ولو آية مما يتم بها فايدتها وفي رواية سماعة يحمد الله ويثني عليه ثم يوصي
بتقوى الله ويقرأ سورة خفيفة من القرآن ثم يجلس ثم يقوم ويحمد الله ويثني عليه و
يصلي على النبي وآله وعلى ائمة المسلمين ويستغفر للمؤمنين والمؤمنات فان سئل
كيف يفسر ذكر الله بالخطبة وفيها ذكر غير الله اجيب بان ما كان من ذكر رسول الله
والثناء عليه وعلى ائمة المسلمين واهل بيته وتقياء المؤمنين والموعظة والتذكير
فهو في حكم ذكر الله واما ما عدا ذلك من ذكر الظلمة والقاء الالقاب والثناء عليهم والدعاء
لهم وهم احقاء بعكس ذلك فمن ذكر الشيطان نعوذ بالله من غربة الاسلام ونكد الايام
ظل آخر قوله تعالى وذروا البيع اي دعوا المبايعة قال الحسن كل بيع يتفق فيه وقت
الصلوة يوم الجمعة فانه بيع حرام لا يجوز وهذا هو الذي يقتضيه ظاهر الآية لان النهي يدل
على فساد المنهي عنه مطلقا عبادة كان او غيرها واكثر فقهائنا الاماميين رضوان
الله عليهم على ان البيع حرام الا انه غير فاسد بل منعقد لان النهي في العبادات و
ان كان مستلزما للفساد لكنه لا يخفى الجمع بين المامور به في الجملة والمنهي عنه فيه واما في
غيره فلا وقيل ان النهي في العبادة ايضا غير مستلزم للفساد الا انه يكون المنهي عنه منافيا
لها او لبعض اركانها كالصلوة في الدار المغصوبة لان المكلف مامور بالخروج عنها و
تنقيح هذه المسئلة موكول الى علم اصول الفقه فليطلب من هناك ظل آخر قوله تعالى
ذلكم اي ما امرتكم من حضور الجمعة واستماع الذكر واداء الفريضة وترك البيع خير لكم
وانفع لكم عاقبة ان كنتم تعلمون منافع الامور ومضارها ومصالح انفسكم ومفاسدها
وفيه دليل على ان ملاك الامر في العبادات على العلم الصحيح والنيات الخالصة وقيل معناه

ما علموا ذلك عن الجبائي وفي هذه الآية دلالة على وجوب الجمعة وتحريم جميع التصرفات عند سماع
اذان الجمعة لان البيع انما خص بالنهي عنه لكونه اعم التصرفات في اسباب المعاش وفي الكشاف لان
يوم الجمعة يوم يهبط الناس من قراهم وبواديهم وينصبون الى المصر من كل اوب ووقت
هبوطهم واجتماعهم واغتصاص الاسواق بهم اذا انتفخ النهار وتعالى الضحى ودنا وقت
الظهيرة وحينئذ تحر التجارة ويتكاثر البيع والشرى قيل لهم بادروا تجارة الآخرة واتركوا
تجارة الدنيا واسعوا الى ذكر الله الذي لا شيء انفع منه واربح وذروا البيع الذي نفعه
يسير وربحه مقارب وهذا يدل على تحريم شواغل الدنيا عن حضور الجمعة عند النداء لان الله
سماه خيرا او ترك الخير الكثير من العاقل لاجل النفع الحقير العاجل حرام عقلا فيكون حراما
شرعا كما هو عند اصحابنا القائلين بالحسن والقبح العقليين وفي هذه الآية دلالة على امور
أولها ان الخطاب للاحرار لان العبد لا يملك البيع والثاني اختصاص الجمعة بمكان معين لذلك
اوجب السعي اليه الثالث اختصاص وجوبها على من يقدر على الحركة والسعي فخرج من المكلفين
اصحاب الاعذار من السفر والمرض او العمى او العرج او لم يكن امرأة او خنثى لا حرا كبيرا او عبدا
او يكون على راس اكثر من فرسخين من الجامع وعند حضور هذه الشروط ونفي الاعذار لا يجب الا
عند حضور السلطان العادل او من نصبه للصلوة والعدد يتكامل عند اهل البيت عليهم السلم
بسبعة لما رواه محمد بن مسلم عن ابي جعفر عم قال تجب الجمعة على سبعة نفر من المسلمين ولا تجب على
اقل منهم الامام وقاضيه والمدعي حقا والذي عليه الحق وشاهدان والذي يضرب الحدود
بين يدي الامام وتنعقد بثلثة سوى الامام عند ابي حنيفة والثوري وقيل انما تنعقد باربعين
رجلا احرارا بالغين مقيمين عند الشافعي وقيل باثنين سوى الامام عند ابي يوسف وقيل تنعقد

بواحد

بواحد غير الامام كسائر الجماعات عن الحسن وداود وقال صاحب الكشاف ولا
يقام الجمعة عند ابي حنيفة الا في مصر جامع لما روي عن حذيفة لا جمعة ولا تشريق ولا فطر ولا
اضحى الا في مصر جامع والمصر الجامع ما اقيمت فيه الحدود ونفذت فيه الاحكام ومن
شروطها الامام او من يقوم مقامه لقوله عم فمن تركها وله امام عادل الحديث وقوله
اربع الى الولاة الفيء والصدقات والحدود والجمعات فان ام رجل بغير اذن
الامام او من ولاه من قاض او صاحب شرطة لم يجز فان لم يمكن الاستيذان فاجتمعوا
على واحد فصلى بهم جاز وهي تنعقد بثلثة سوى الامام انتهى ولا اختلاف بين الفقهاء في
مسائل الجمعة كثير موضعه كتب الفقه من اراد فليراجع هناك والله اعلم المطلع
التاسع في قوله تعالى فاذا قضيت الصلوة فانتشروا في الارض
وابتغوا من فضل الله وفيه اشراقات مروك اعلم ان الصلوة كالانسان
لها ظاهر جلي وباطن خفي فلها صورة مشهودة وحقيقة مستورة هي قلبه وسره وهي
تشبه النفس الناطقة الانسانية بالاشخاص الفلكية بارواحها الملكية في تعبدها الدائم وركوعها
وسجودها وقيامها وقعودها طلبا للثواب السرمدي وتقربا الى المعبود الصمدي فقال النبي ص
الصلوة معراج عماد الدين واصل الدين تصفية الروح عن الكدورات الشيطانية و
الهواجس البشرية والاعراض النفسانية والصلوة هي التعبد للعلة الاولى والمعبود
الاعظم والخير الاعلى والتعبد في الحقيقة عرفان الباري جل مجده والعلم به بالسر الصافي
والقلب النقي والنفس الفارغ فمن الصلوة التي هي عماد الدين هو العلم بوحدانية
الله ووجوب وجوده وتنزه ذاته وتقدس صفاته واحكام آياته والبصيرة

وملكوته وموفا امره وخلقه وعنايته وحكمته وارادته وقدرته ويده وقضائه وقدره و
قلمه ولوحه وكتابه وكتبه ورسله واليوم الآخر والمعاد عباده اليه ورجوع الخلائق لديه
ومثول الارواح والنفوس بين يديه مع الاخلاص له في العبودية والعزم بالاخلاص لئن
يعبد الله بلا شركة غرض نفسي ولئن يعلم ذاته وصفاته بحيث لا يغني للكثرة فيه شرعا و
للاضافة شرعا ومن فعل هذا فقد اخلص وصلى وما ضل وما غوى ومن لم يفعل فقد افترى
وعصى والله اجل من ذلك واعلى الاشراق الثاني للماديات لنا موجودات العالم الطبيعي و
النشأة الدنيوية مثنوية والانسان من جملتها منقسم الى ظاهر متغير وباطن ثابت فالصلوة
منقسمة الى ظاهر وهو الرياضي المتعلق بالظاهر وباطن وهو الحقيقي الملتزم به الباطن والاولى
يجري مجرى رياضات القوى وسياسات الابدان وآداب الصورة لانتظام العالم
وكلتاهما واجبتان شرعا وعقلا فالاولى كلف بها الشارع بالغا عاقلا لتشبه
بما يختص به روحه من التضرع والخشوع الى الجنبة العالية ليفارق البهائم بهذه الهيئة الشريفة
فان البهائم متروكة عن الخطاب مسلم عن الحي فاما الانسان فانه مخاطب مثاب معاقب
لامتثال الاوامر الشرعية والعقلية والشرع يطابق العقل فلان الشارع لنور العقل
المنور بنور معرفة الله الزم المتنفس بالصلوة الحقيقية المجردة وهي عرفان الله وملكوته و
الصلوة على بديه اثرا على تلك الصلوة وعنوانا لها وركب اعداده ونظم على ابلغ
نظام في حسن صورة واتم هيئة ليتابع الاشباح الارواح في التعبد ولئن لم يوافقه في
المرتبة وتابعه في التكرار ولئن يوافقه في الدوام وكالاتصال بسر آخر لما علم الشارع
ان جميع افراد الانسان لا يرتقون في مدارج العقل الى درجة العرفان فلا جرم سوى لهم

رياضة بدنية وسياسة تكليفية يخالف اهواءهم الطبيعية ويحافظ لهم الصورة الانسانية
ودرءا عن فهمهم حكاية النسك العقلية فمهد لهم قاعدة في الاذكار والاوراد والزمهم ترك
النسيان بتكرير الاعداد وهي اعم وفي الحس اعظم لترتبط بظواهر الانسان ويمنعهم
عن التشبه بساير افراد الحيوان واوقع هذا الظاهر على كل عاقل فقال صلعم صلوا
كما رأيتموني اصلي ولو قال صلوا كصلوتي فهم الذي صلى مثله لانه صلعم كان يصلي وفي
صدره ازيز كازيز المرجل من البكاء وكان في صلوته يرى من خلفه فهو صلوة القلب
مصلحة كثيرة لا يخفى على القلب اللبيب العاقل ولا يتوبه لسان الجاهل الاشراق
الثالث ان الله تعالى قد بعث النبيين معلمين الكتاب والحكمة مقيمين للعدل و
القسط لقوله تعالى وانزل معهم الكتاب ليقوم الناس بالقسط فوضعوا للناس النواميس
الالهية ليخرجوهم عن حضيض البرزخ الظلماني ويبلغوهم الى اوج العالم النوراني لينخرطوا
في سلك الملائكة المقربين ويتنعموا في جوار القدس مع النبيين والصديقين رحمة منه
وفضلا ونعمة منه واحسانا فشرع كل منهم لامته حسب ما اعطته العناية الالهية واقتضته
الحكمة الازلية في ذلك الوقت والزمان من الاعمال القلبية والبدنية ما يكمل به قوتاهم
العلمية والعملية ولما كانت الحكمة المحمدية حكمة فردة لانه اكمل موجود في هذا النوع كما
بل هو اكمل الموجودات علويها وسفليها وروحانيها وجسمانيها وكان بأثر قوة نبوته
في تكميل نوع الانسان ابلغ واتم وكلامه اقوى وحكمته احكم وكتابه وشريعته ابلغ
واتم كانت امته خير الامم واعدلها واشرفها فوق واكملها كما قال تعالى كنتم خير امة
اخرجت للناس واليه اشار بقوله عم علماء امتي كانبياء بني اسرائيل فخص المحمديون

بوجوب الصلوة الخمس المكتوبة عليهم وامروا بالمواظبة عليها والمحافظة وتكريرها في كل يوم
بهيئة مخصوصة مشتملة على اسرار الهية في اوقات معينة وهي ذكر له تعالى وقربة الى جانب الحق و
مناجاة معه وروح الصلوة اشد وجوبا على بواطن العقلاء الكاملين من صورتها
على ابدان العوام الناقصين وقد قال سبحانه ومن اعرض عن ذكري فان له معيشة
ضنكا ونحشره يوم القيمة اعمى الاشراق الرابع قد بان لك ان في كل انسان شيئا
من العالم الاسفل وشيئا من العالم الاعلى وان لكل عمل قشرا ظاهرا ولبا باطنا فالقشر
متعلق بالدنيا واللب متعلق بالاخرة فكما ان مقصود الشارع من طهارة الثوب
وهو القشر الخارج ثم من طهارة البدن وهو القشر القريب طهارة القلب وهو اللب
الباطن وطهارة القلب عن نجاسات الاخلاق كالكبر والحسد والبخل وغيرها ثم لا
يبعد ان يكون لطهارة الظاهر ايضا تاثير في اشراق نورها على القلب فانك اذا اسبغت
الوضوء واستشعرت نظافة ظاهرك صادفت في القلب انشراحا وصفاء لا تصادفه
قبله وذلك لسر العلاقة بين عالم الشهادة وعالم الملكوت فان البدن من عالم الشهادة
والقلب باصل فطرته وانما هبوطه في هذا القالب كالغريب عن حلته ونزوله في ارض عالم
الشهادة عن الجنة لجناية صدرت عن ابيه المقدس وكما يتحدر من معارف القلب اثار الى
الجوارح فكذلك تقع من احوال الجوارح انوار في القلب ولذلك امر بالصلوة مع انها
حركات للجوارح وهي من عالم الشهادة وبهذا الوجه جعلها رسول الله صلعم من الدنيا
فقال حبب اليكم من دنياكم ثلث الحديث ومن ههنا قد اشممتك شيئا يسيرا من روائح
اسرار الطهارة فان كنت لا تصادف بعد الطهارة واسباغ الوضوء شيئا من

الصفاء الذي وصفناه فاعلم ان الخبث الذي عرض على قلبك من كدورة شهوات
الدنيا وشواغلها قد ضعف وكلال حس قلبك فصار لا يحس باللطائف والاشياء الخفية
اللطيفة كاكثر الناس فاشتغل بجلاء قلبك فذلك اوجب عليك من كل ما انت فيه
فقد ثبت واتضح لك فيما قدمناه اليك ان الصلوة منقسمة الى رياضة جسمانية والى
صنعة روحانية فاذا علمت هذا التقسيم فيها وفي جميع العبادات فاعلم ان نفوس الناس
متفاوتة بحسب اثار القوى والارواح والدواعي المركبة فيه فمن غلب عليه الروح الطبيعي
والحيواني فانه عاشق البدن يحب نظامه وتزيينه واكله وشربه ولبسه وطالب لجذب
منفعته ودفع مضرته وهذا الطالب من عداد الحيوانات ومن زمرة البهائم فاذا هو
مستغرق باهتمام بدنه واوقات عمره موقوفة على مصالح جثته وشخصه فهو غافل
عن الحق جاهل بامره فلا يجوز له التهاون بهذا الامر الشرعي اللازم الواجب على كل شخص
ولا يقعد عنه فبالرياضات والزواجر يكره عليه ويجبر حتى لا يفوت عنه بالكلية حق
التضرع والاشتياق الى الله ليفيض عليه بجوده وينجيه من عذاب وجوده ويخلصه من
امال بدنه ويوصله الى منتهى امله فانه لو انقطع عنه قليلا خرج لسابع البهيمية فيصير
وكان ادنى من البهائم واضل سبيلا من الانعام ومن غلب عليه قواه الروحانية
وتسلط على هواه قوته الناطقة وتجردت نفسه عن محبة الدنيا وعلائق هذا العالم
الادنى فهذا الامر الجسماني والتعبد الروحاني وذكر الله بالقلب ومناجاته وقربه واجب
عليه اشد وجوبا واقوى الزاما كما قيل الحكم اشد حكومة على باطن العاقل من السيف
على ظاهر الاحمق لانه يسعد بطهارة نفسه واشراق عقله ليفيض عليه ربه فلو

اقبل بشغفه واجتهد في تعبده لتسارع اليه جميع الخيرات العلوية والسعادات الاخروية حتى
اذا انفصل عن جسمه وفارق الدنيا يدخل عليه الملائكة من كل باب وبات بد مغبطة وموخذ
ومكرم رب الارباب في مجاور حضرته ويلتذ بمجاورته وهم سكان الملكوت وقطان
عالم الجبروت الاشراق الخامس وهذه الصلوة قد وجب على سيدنا محمد صلى الله
عليه وآله في ليلة قد صعد الى العالم الاعلى وتجرد من بدنه وتنزه من اهله ولم يبق معه من آثار
الحيوانية شهوة ولا من لوازم الطبيعة قوة ولا من الدواعي النفسانية بقية فناجى ربه بقلبه
وروحه فقال كان ورعنه وجدت لذة غريبة في ليلتي هذه فاعطني ويسر على طريقا يوصلني
كل وقت الى الذي فامره بالصلوة فقال المصلي مناج ربه ولا يخفى على المتامل العاقل
ان مناجاة الرب لا يكون بالاعضاء الحيوانية ولا بالالسن الجسمانية لان هذه المكالمة والمناجاة
لا يصلح الا لمن يحويه مكان اما الواحد المقدس الذي لا يحيط مكان ولا يدركه زمان
ولا يشار اليه بجهة من الجهات ولا يختلف حكم من الصفات ولا يتغير ذاته في وقت من بصفة من
الاوقات فكيف يعاينه الانسان المشكل المجسم المحدد بجسمه وقوله وحسه وكيف يناجي
في هذا العالم المركب المحجوب من لا يعرف حدود جهاته ولا يرى جناب صفاته فان الوجود
المطلق عن عالم المثل والمحسوسات بل المرتفع عن العقول المقدسات غايب عن الحواس
غير مرئي ولا مدرك بالاحساس ومن عادة الجسم ان لا يناجي ولا يجالس الا من يراه ويحس
بالحس ويدركه باحدى الحواس واذا لم ينظر اليه بعده غايبا ويكون بفقده عن المشاعر خائبا
فمن كان خارجا عن هذا الاثبات والنفي جميعا وعن الداخلة في زمان ومكان والمزايلة
عنهما رفيعا فمناجاته باحدى الظواهر المحال المحالات وفحش المظنونات والموهومات

فاذن قوله المصلي يناجي ربه محمول على عرفان النفس المجردة العوالم العلا المجردة
عن جهات الجسم والمكان وحوادث الحركة والزمان فهم يشهدون الحق مشاهدة عقلية
ويبصرون الآله ببصيرة نورية ويسمع كلامه سماعا روحانيا فتبين ان الصلوة الحقيقية
التي نهى عن فحشاء القوة الشهوية البهيمية ومنكر القوة الغضبية السبعية وبغي القوة الوهمية
الابليسية هي المعارف الربانية والمشاهدة الالهية والمكالمة العقلية والتضرع بالنفس
الناطقة نحو الاله الحق والموجود المطلق ولاصحاب العلوم الظاهرة من هذه حظ ناقص و
لمن ارتفعوا من منزل العوام قليلا وللمحققين قسم وافر ونصيب كامل من هذا النحو الزاجر
ولهم قرة عين في الصلوة ومن كان حظه اكمل فثوابه اجزل فالعاقل يتامل سلوك
طريق التعبد والمداومة على الصلوة ويلتذ بمناجاة ربه لا بشخصه وينطقه لا بقوله و
بصيره لا ببصره ويحبه لا بحبه فاما الجاهل المغرور فيطلب ربه بهيكله وشخصه ويطمع
في رؤيته بعينه وفي تعبده بمناجاته وكذا حكم العالم المكور المشغوف بما عنده من
القشور الطالب للذات عالم الشرور المنوط لتحصيل الجاه والشهرة عند صحى
القشور وايثار الهوى واتباع الشهوات ولهذا قد حرم الله عليه لذيذ المناجاة كما
ورد في اخبار داود ان ادنى ما اصنع بالعالم اذا آثر شهوته على محبتي ان احرم عليه لذيذ
مناجاتي وقال مالك بن دينار قرأت في بعض الكتب ان الله عز وجل يقول ان
اهون ما اصنع بالعالم اذا احب الدنيا ان اخرج مناجاتي من قلبه ومن لم يجعل الله
له نورا فما له من نور الاشراق السادس في قوله فانتشروا والامر بالانتشار
في الارض وابتغاء الفضل بعد قضاء الصلوة اشارة الى الرجوع الى التفصيل

والمعاشرة مع الخلق بالارشاد والتعليم بعد العزلة عنهم والتوحش عن صحبتهم و
الانزعاج عنهم الى الله والوقوف مع الحق فان السالك الى الله في اوقات انزعاجه
عن الخلق كان لا يحتمل الانس بالخلق واما بعد الوصول فاما باستغراقه في الحق واشتغاله
به عن كل شيء وسيره فيه ووقوفه مع الجمع فيكون محجوبا بالحق عن الخلق بل بالذات عن
الصفات واما بسعة للجانبين وانشراح صدره للطرفين فالانتشار في الارض هو
السياحة في ارض الحقايق وايفاء حقوق الخلايق بالجمعية لا يغفل به الناشية من علم الذات
وعلم الصفات والاسماء فهو فيري في ذاته في مرايا الصفات وصفاته في مظاهر الاسماء
فيقول بلسان حاله ومقاله ما رايت شيئا الا ورايت الله فيه او معه فيحب الخلايق
بمحبة خلاق الحقايق ويبتغي من فضل الله بطلب حظوظ التجليات الصفاتية والاسمائية
ويرجع من سماء القدس الى ارض النفس لتوفية حظوظها بالحق ويهبط من جنة المعارف
الالهية الى عالم البدن لتوفية حظوظ النفس التي تحرم له زوج العقل في جنة الصفات
هو الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها ليسكن اليها كالام حواء زوجة آدم في
جنة الافعال يا آدم اسكن انت وزوجك الجنة فكذلك الرجال البالغون لم لا يتصرفوا
في الدنيا وزينتها والشهوات النفسانية ولذاتها عند بلوغهم بنور المعرفة والتقوى
الى مرتبة لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله بقوة ربانية وبصيرة روحانية لا بشهوة
حيوانية ولذة نفسانية قد علم كل اناس مشربهم ويكون لهم ذلك مجدا في العبودية و
مجدا في سلوك طريق الربوبية قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات
من الرزق ظلال قرنية كاشفة لانوار معرفته قيل ان الانتشار في الارض

في قوله فانتشروا في الارض ليس لطلب دنيا ولكن عيادة مريض وحضور جنازة و
زيارة اخ في الله وقال الحسن وسعيد بن جبير ومكحول المراد من قوله ابتغوا من فضل الله
طلب العلم وروي عن ابي عبد الله ع انه قال الصلوة يوم الجمعة والانتشار يوم السبت
وروي عمر بن زيد عن ابي عبد الله ع انه قال اني لاركب في الحاجة التي كفاها الله ما اركب
فيها الا التماس ان يراني الله اضحى في طلب الحلال اما تسمع قول الله عز وجل فاذا قضيت
الصلوة فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله ارايت لو ان رجلا دخل
بيتا وطين عليه بابه ثم قال رزقي ينزل علي اكان يكون هذا اما انه احد الثلثة الذين
لا يستجاب لهم قال قلت من هولاء الثلثة قال رجل يكون عنده المراة فيدعو عليها فلا
يستجاب له لان عصمتها في يده لو شاء ان يخلي سبيلها والرجل يكون له
الحق على الرجل ولا يشهد عليه فيجحده حقه فيدعو فلا يستجاب له لانه ترك ما امر به والرجل
يكون عنده الشيء فيجلس في بيته فلا ينتشر ولا يطلب ولا يلتمس حتى ياكله ثم يدعو فلا يستجاب
له وعن بعض السلف انه كان يشغل نفسه بعد الجمعة بشيء من امور الدنيا نظرا في هذه الآية

المطلع العاشر قوله تعالى واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون وفيه

اشراقات الاول انما امر الله عباده ووصاهم باكثار الذكر حتى لا يلهيهم
شيء من تجارة ولا بيع ولا اكل ولا شرب عن معرفة الله وعبوديته ولا يكون همهم
مصروفة عن الترقي الى عالم الربوبية ونفوسهم مستغرقة في طلب الاغراض الحيوانية
لان فلاحهم في الخلاص عن النشأة السافلة الدنياوية وفوزهم منوط بالارتقاء
الى النشأة العالية الاخروية ولذلك قيل معناه اذكروا في تجارتكم وسوقكم

كما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من ذكر الله في السوق مخلصا عند غفلة الناس وشغلهم بما
فيه كتب الله له الف حسنة ويغفر له يوم القيمة مغفرة لم تخطر على قلب بشر واعلم ان المداومة على
تذكر شيء ومعاودة اسمه يوجب وصاله ولهذا قيل السعادة باعثة للمحبة والمحبة باعثة للارادة
وعن ابي عبد الله عليه السلام ان العبد يرفع رغبته الى مخلوق فلو خلص نيته لله لاتاه الذي يريد
في اسرع من ذلك ومن علامة المحبة ذكر المحبوب من احب شيئا اكثر ذكره وقيل المراد بالذكر ههنا
الفكر كما قال عليه السلام تفكر ساعة خير من عبادة سنة وذلك كما قيل فان الفكر بالحقيقة هو الذكر
الحقيقي القلبي لان حقيقة الانسان باطنه وسره لا بدنه وهيكله المحسوس فذكر الحقيقي ما يقع من
قلبه واحضاره صورة المذكور في باله ولهذا ورد في الحديث الالهي انا جليس من ذكرني
والله سبحانه اجل وارفع من ان يكون جليس الذين حاضرا عنده ولكن مع تجرده وتقدسه مما
يحضر في قلب العارف ويقع عليه نوره واعلم اني لا اظن احدا من الناس اوفى بعهد الله وعمل
بمقتضى هذه الوصية في باب اكثار ذكر الله والمداومة عليه بالحقيقة الا الحكماء العارفون
بالله لانهم هم الذاكرون الله كثيرا وهم الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم
ويتفكرون في خلق السموات وهم كالمشعوفين والذين آمنوا اشد حبا لله وذلك لان
كل احد سواهم له دوام شغل بغير الله وآياته وافعاله من صنايعهم العلمية والعملية مثلا النحوي
اكثر اهتمامه بحفظ قوانين النحو لانه الغالب على طبعه وكذا اللغوي والشاعر وما يجري مجراهم
وهمة المنجم مصروفة اكثر الاوقات في ضبط حركات الافلاك والكواكب واستنباط
الاحكام من حركاتها واوضاعها وانتقالاتها وارتباطاتها وان لم يكن منجما بارعا فائقا
على الاقران وكذا الطبيب لو لم يكن مشعوفا بعلمه مستفرغا جهده في طلبه ثم في حفظه وضبط

قوانين

قوانين العلاج ومعرفة الادوية المفردة والمركبة على ابلغ وجه واكده لم يكن من البارعين
في فنه بل يكون لم يجد اجتيازا فيه وعبورا عليه وكذا الفقيه الحاوي لفروع الفقه المستحضر
لمسائله المدقق في وجوه الاستنباطات الدقيقة وتفريع الاحتمالات البعيدة مع جلوسه
في مسند الفتوى والحكومات لا بد له من استغراق القلب وصرف العمر واستيعاب الخاطر و
بذل الوسع والطاقة حتى يكون فائقا على الاقران مشارا اليه بالانامل والبنان وكذا المحدث
في استعمال اوقاته في علم الحديث اعني في سماعه وجمع الروايات الكثيرة وطلب الاسانيد العالية
فهمته لن يدور في البلاد ويرى الشيوخ ليقول انا اروي عن فلان ولقد لقيت فلانا
ومعه من الاسانيد ما ليس مع غيره وكذلك ساير العلوم والصناعات الا الحكيم الالهي
والعالم الرباني فان موضوع علمه ومادة صناعته هو الموجود المطلق ولا كذا الحق
فتمام عمره مشغول بالحق وجميع همه مصروف بالكشف عن توحيده وتقديس صفاته و
احكام افعاله ومعرفة نعوته واسمائه ومظاهر نعمائه فلا شغل له الا ذكر الله وذكر الائه
وله علمان شريفان نوريان علم المبدأ او علم المعاد وفي الاول بابان احدهما اشرف
وانور من الاخر وهو العلم بوجوده ووحدانيته وتقدس صفاته واسمائه وسكان حرمه
من المعارفات والربوبيات والاخر العلم بافعاله من السموات والارضين والبسايط و
المركبات والى الاول اشير بقوله الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم
والى الثاني بقوله ويتفكرون في خلق السموات والارض ربنا ما خلقت هذا باطلا والى
المعاد اشير بقوله ربنا فقنا عذاب النار وكذا اشير الى احد المنهجين في معرفة المبدأ
بقوله سنريهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق والى الاخر بقوله

اولم يكف بربك انه على كل شيء شهيد والقران مشحون بذكر هذه العلوم الثلثة على ما عليه
الترتيب بينها فان للانسان اياما ثلثة الامس والبحث عنه يسمى معرفة المبدا واليوم الحاضر
والبحث عنه يسمى بالعلم الاوسط والآخر والبحث عنه يسمى علم المعاد وقد وقعت في
اخر سورة البقرة اشارة الى العلوم الثلثة فقوله آمن الرسول بما انزل اليه من ربه
والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين احد من رسله اشارة
الى علم المبدا وقوله وقالوا سمعنا واطعنا اشارة الى علم الوسط وقوله غفرانك
ربنا واليك المصير الى علم المعاد وكذا قوله ربنا اشارة الى الاول وقوله لا تؤاخذنا
ان نسينا او اخطانا الى قوله ما لا طاقة لنا به اشارة الى الاوسط وقوله واعف عنا
واغفر لنا الى آخره اشارة الى علم المعاد وقال في اخر سورة هود اشارة الى هذه
المعارف الثلثة ولله غيب السموات والارض واليه يرجع الامر اشارة الى الاول واما
علم الوسط وهو علم كيف اليوم لمن اشتغل به فله ايضا مرتبتان البداية والنهاية اما
البداية فعلم النفس والاشتغال بالعبودية واما النهاية فقطع التعلق عن المواد و
الاسباب والتجرد التام والاتصال بالمبدا الفعال وتفويض الامور الى مبدا
المبادي ومسبب الاسباب وذلك هو التوكل فذكرهما في المقامين فقال واعبده و
توكل عليه واما علم المعاد فهو اشار اليه بقوله وما ربك بغافل عما تعملون اي لن
ليومكم غدا يستفصل اليك فيه نتايج اعمالك وثمرات افعالك فقد اشتملت هذه
الآية على العلوم الثلثة ونظيرها ايضا قوله سبحان ربك رب العزة عما يصفون
اشارة الى علم المبدا وقوله وسلام على المرسلين اشارة الى علم الوسط وقوله و

اليوم م

الحمد

الحمد لله رب العالمين اشارة الى علم المعاد ولهذا قال في صفة اهل المعاد وآخر دعويهم
ان الحمد لله رب العالمين وهذه العلوم الثلثة مع اجزائها وابوابها وفصولها من علم
الكليات واحكام الماهيات والعلم بالعلل الاربع الفاعلية والغائية والمادية والصورية
للموجودات ومبادي الحركات الكلية وغاياتها وعلم المفارقات وعلم النبوات وعلم السماء
والعالم وعلم الروحانيات وعلم النفس واحوالها بعد الموت وعلم انبعاث الرسل و
كيفية الوحي والتنزيل والكتاب والتاويل وعلم النبوة والرسالة وعلم الامامة والسياسة
كلها ذكر الله وذكر صفاته واسمائه وآلائه ونعمائه فالحكماء الافاضل سيما الانبياء و
الاولياء منهم كلهم مشغولون بذكره مشغوفون بمناجاته ومخاطباته فهم الذاكرون الله
كثيرا دون غيرهم اذ ليس عشق المبدا الاعلى ومعرفة ذاته داخلا في موضوعات علومهم
وصنايعهم ولا مقوما لمحمولات مسائلهم وصورة مقاصدهم ولا غاية لانظارهم و
افكارهم وثمرة لافعالهم واعمالهم الا بوجه من التكلف والتجوز والتمحل الشديد فاولئك
تحروا رشدا وهم احقاء بان يكونوا عباد الله الصالحين واولياءه المقربين وبان
يكون الحق بدالهم انا عند المنكسرة قلوبهم انا عند المندرسة قبورهم اذ لهم القلوب
المنكسرة وابدان كالقبور المندرسة لتوحشهم عن الناس وتفردهم عن الخلق بالموت
الارادي وتضررهم بها للمنافاة والتضاد بين سلوكهم وسلوك غيرهم فان الرجل
بقدر امعانه في العلوم الباطنية يتاذى عن صحبة اهل الظاهر وبمبلغ عرفانه بالحق
يتوحش عن صحبة الخلق ولهذا قال النبي صلعم ما اوذي نبي مثل ما اوذيت واما غير العارف
الرباني فليس له هذه الخشية والخوف والموت الارادي عن المرغوبات والرياضة البدنية

والنفس لنيل الغايات لاشتغالهم بما يوجب تقوية القوى وتمنية الهوى والركون الى اهل الدنيا
والاخلاد الى الارض السفلى والانسراح الى مراتب الحظوظ النفسانية بالحكومة والفتور
والاغترار بظواهر الحظ الشعيه حيث لم يقع الامكان فرعون الشارع بحسب الغاية
القصوى فاكثر الخلق كما اخبر الله عنهم بقوله واذا راوا تجارة او لهوا انفضوا اليها
ولذلك لم يتخذوا مع الرسول سبيلا ولم يبق منهم معه الا قليلا واهل الله في غاية القلة
والقلة وهم العارفون بان ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة ومن الدنيا ومستلذاتها و
من الجنة ومشتهياتها وهم الذين لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلوة ويعرفون
لذا ما عند الله خير لاولي الالباب ثم اشتراق النشاة قال الله سبحانه لنبيه واذكر اسم
ربك وتبتل اليه تبتيلا وقال نبيه صلعم الا انبئكم بخير اعمالكم وازكاها عند مليككم وارفعها في
درجاتكم وخير لكم من اعطاء الورق والذهب وخير لكم من ان تلقوا اعداءكم فتضربوا اعناقهم
قالوا وما ذلك يا رسول الله قال ذكر الله عز وجل وقال صلعم سبق المفردون قيل ومن
هم يا رسول الله قال المستهترون بذكر الله وضع الذكر عنهم اوزارهم فوردوا القيامة
خفافا واعلم انه قد انكشف لارباب البصائر المستنيرة بنور المعرفة ان الذكر افضل الاعمال
الروحية والقلبية والنفسية والبدنية ولكن له مراتب بعضها قشور وبعضها لبوب وللذاكر
ايضا مراتب ولكل ذكر نتيجة فان نتيجة ذكر العبد بعد ذكر الله له كما قال تعالى فاذكروني اذكركم و
قيل في العبارة تقديم وتاخير لان الله امرهم بالذكر مع فاء التعقيب كقوله يحبهم ويحبونه
وقوله رضي الله عنهم ورضوا عنه فان محبتهم له ورضاهم عنه نتيجة محبته تعالى ورضوانه
عنهم ولكل من القولين وجه وجيه فان سعادة المرء ومحبته لله وذكره وعرفانه و

رضاه

رضاه وتوكله كلها لما في العلم الازلي تابعة لقضاء الله وارادته في الازل ثم بعد الصفات
والاعمال مودية له الى الوصول الى هذه النتايج فان لكل شيء مبدا وغاية والمبادي الاولى
هي نفس الغايات بالذات وغيرها بالاعتبار فان تصور كل فاعل لنتيجة فعله وكماله علما متقدم
علما على وجود تلك الغاية وهي متاخرة عنه عينا والله تعالى مبدا لكل شيء وغاية واول لكل
فكر وصنع واخره وظاهر كل موجود وباطنه والاول فيه عين الاخر والباطن فيه عين
الظاهر والعلم هناك عين العين ولكن رجع الى المقصود من بيان مراتب الذكر والذاكر
ونتيجة كل ذكر اما مراتب الذكر والذاكر فذكر اللسان وذكر الاركان وذكر النفس وذكر
القلب وذكر الروح وذكر السر واما تعينها وتعين نتايجها فذكر اللسان بالاقرار
ونتيجته احقان الدم والمال بالامان فاذكروني بالاقرار اذكركم بالامان وذكر
الاركان باستعمال الطاعات والعبادات للوصول الى المثوبات فاذكروني بالطاعات
اذكركم بالمثوبات وذكر النفس بالاستسلام للاوامر والنواهي للفوز بنور الاسلام
فاذكروني بالاستسلام اذكركم بنور الاسلام وذكر القلب بتبديل الاخلاق الذميمة بالاخلاق
الكريمة للتشبه بالحق والوصول الى جنابه فاذكروني بالاخلاق اذكركم بالاستغراق في
ذكر الروح بالتوحيد والمحبة لحصول المعرفة والحكمة فاذكروني بالتوحيد والمحبة اذكركم بالتوحيد
والقربة وذكر السر ببذل الوجود لوجدان المعبود فاذكروني ببذل الوجود والفناء
اذكركم بنيل الشهود والبقاء وهذا حقيقة قوله في الحديث القدسي ولئن ذكرني في نفسه
ذكرته في نفسي وهذا هو لب اللباب وهو الذكر الحقيقي المفضي الى الخطاب وهو جعل الذاكر
مذكورا والمذكور ذاكرا بل يكون الذاكر والذكر والمذكور واحدا كما قال تعالى لمن الملك

اليوم لله الواحد القهار وكما قال قائلهم رق الزجاج ورقت الخمر فتشابها وتشاكل
الامر فكأنما خمر ولا قدح وكأنما قدح ولا خمر دقيقة عرشية واعلم ان ذكر الذات
فضيلة مختصة بفضلاء هذه الامة دون غيرهم وكذا اجزاء الذكر بالذكر فضيلة مختصة
بهذه الامة دون سائر الامم كما قال تعالى يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت
عليكم وقال لهذه الامة فاذكروني اذكركم فان معارج الفكر والذكر والشهود لم
تتجاوز في الامم السابقة عن طبقات الافلاك وما فيها ومثوباتهم اقتصرت على نيل
درجات الجنان واما فضلاء هذه الامة فلما لم يتخذوا مع الرسول سبيلا وتجاوزوا
بمتابعته عن عالم الخلق والامر اذا كان له هاديا ودليلا فافهم ٢ اشراق الثالث
لا تزع سمعك عن مراتب الذكر ودرجات الذاكر ونتيجة كل مرتبة ولكن بعضها فوق بعض الى
حيث يصير الذكر والذاكر والمذكور شيئا واحدا فاعلم ان ذلك بان يتمكن في القلب
بحيث يمحي الذاكر ويخفى ولا يلتفت القلب الى الذكر ولا الى القلب بل يستغرق جملته في
المذكور وما يظهر له في اثنائه فذلك الالتفات الى الذكر فهو حجاب عن المقصود ومنه بالنسبة
الى الغاية وذلك بان يغيب عن نفسه حتى لا يحس بشيء من ظواهر جوارحه ولا من الاسباب الخارجة
عنه ولا من العوارض الباطنة فيه بل يغيب عن جميع ذلك ذاهبا الى ربه اولا كما قال الخليل
اني ذاهب الى ربي سيهدين ثم ذاهبا فيه آخرا فان خطر له في اثنائه ذلك انه فني عن
نفسه وغاب عن ذاته فذلك شوب وكدورة بل الكمال ان يفنى عن نفسه ويفنى عن الفناء
ايضا فالفناء عن الفناء غاية الفناء ونتيجة البقاء والغيبة عن الغيبة غاية الغيبة وثمرة الحضور
وبهذا انما ظهر الغفلة السر انه مجرد الفاظ بلا طائل او طامات غير معقولة وليس

لك

لك بل هذه الحالة للعرفاء بالاضافة الى محبوبهم كالحالة في الكثرة احوالهم بالاضافة الى
ما يحبه من جاه او مال او تقرب الى سلطان او معشوق فانه قد يصير مستغرقا لشدة
الغضب بالفكر في عدو او منازع له في علم او جاه ولشدة الشهوة بالفكر في معشوقه
حتى لا يكلمه فيه متبع لشيء اصم مخاطب ولا نفهم وتمر بين يديه غيره فلا يراه وعيناه
مفتوحتان ويكلم عنده ولا يسمع وما باذنه صمم وهو في هذا الاستغراق غافل عن
كل شيء وعن الاستغراق ايضا فان الملتفت عن الاستغراق غافل عن المستغرق فيه وانما
سموا هذه الحالة فناء ولئن كان الشخص والظل باقيا لان الاشخاص والاظلال بل
سائر المحسوسات ليس لها حقيقة الوجود بل الوجود الحقيقي لعالم الامر والملكوت والقلب من
عالم الامر قال الله تعالى قل الروح من امر ربي والقوالب من عالم الخلق وليس هذا اشارة
الى قدم الروح وحدوث القالب بل هما جميعا حادثان وانما تقع بالخلق ما تقع عليه
المساحة والتقدير وهي الاجسام وصفاتها وبعالم الامر ما لا يتطرق اليه التقدير و
نحن قد برهنا ان المقدار الاتصالي جوهرا كان او عرضا غير موجود في نفسه وعلى
انه مناط الجهل والنسيان اذ ان الكل في عين جزء وفقد كل بعض عن كل بعض وعن
الكل ايضا فالعالم الجسماني ليس وجوده الا كوجود الظل فهو من العالم العقلي كالظل
من الاجسام وكما ليس لظل الانسان فليس للشخص حقيقة الوجود بل هو ظل الحقيقة والكل
من صنع الله ولله يسجد من في السموات والارض طوعا وكرها وظلالهم بالغدو والاصال
وسجود عالم الامر لله طوع وسجود الظلال كره وتحته سر من اسرار الحكمة اوله سلسلة
المجانين والجمع فضلا عن اواخره ٣ الاشراق الرابع اذا فهمت ما ارادوا بالفناء

في المذكور فدع عنك الغيبة والتكذيب بما لم يحط بعلمه كما قال تعالى بل كذبوا بما لم يحيطوا
به وقال ايضا واذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا افك قديم واعلم ان اول الامر هو الذهاب
الى الله وانما الهدى بعده اعني بالهدى هدى الله كما حكاه الله تعالى عن الخليل عليه السلام انه قال
اني ذاهب الى ربي سيهدين فاوله اول الامر ذهاب العبد الى الله ثم ذهابه في الله تعالى و
ذلك هو الفناء والاستغراق ولكن هذا الاستغراق اولا يكون كالبرق الخاطف قليلا يدوم
ويثبت فان دام ذلك صارت عادة راسخة وهيئة ثابتة عرج به الى العالم الاعلى
وطالع الوجود الحقيقي للمولى وانطبع فيه نقش الملكوت وتجلى له اسرار قدس اللاهوت
واول ما يتمثل له من ذلك العالم جواهر الملائكة وارواح الانبياء في صور جميلة يفيض
اليه بواسطتها بعض الحقائق وذلك في البداية الى ان يعلو درجته عن المثال فيكافح
بصريح الحق في كل شيء فاذا رد الى هذا العالم المجازي الذي هو كالظلال ينظر الى
الخلق نظر مترحم عليهم لحرمانهم عن مطالعة جمال حضرة القدس ويتعجب من اصحاب العلوم الفكرية
وارباب العلوم الجزئية وقناعتهم بالظلال وانخداعهم بعالم الغرور والخيال مع
ما كان لهم او لامر ان يستعد الارتقاء الى العالم الاعلى فافسدوه بانكبابهم الى
اغراض هذا الادنى وانحرافهم عن الطريق المثلى واعراضهم عن مطالعة آيات الله
الكبرى ومع ذلك فيعاشرهم ويخالطهم بالظاهر ويكون البعد بينه وبينهم بحسب الباطن كما بين
المشرق والمغرب فيكون معهم حاضر الشخص غائبا بقلبه يتعجبون من حضوره ويتعجب هو من
غيبته فهذه ثمرة لباب الذكر وانما مبدؤها ذكر اللسان ثم ذكر النفس تكلفا ثم ذكر القلب
طبعا ثم استيلاء المذكور على الروح ثم انمحاء الذكر عن السر وهذا سر قوله تعالى واذكروا

الله

الله كثيرا لعلكم تفلحون وسر قوله عليه السلام من احب ان يرتع في رياض الجنان فليكثر ذكر
الله بل سر قوله عليه السلام يفضل الذكر الخفي على الذكر الذي يسمعه الحفظة سبعين ضعفا فان
فان كل ذكر تشعر به قلبك فيسمعه الحفظة لان شعورهم يقارن شعورك وفيه سر حتى اذا
غاب في ذكرك عن شعورك بذاتك في المذكور بالكلية فيغيب ذكرك عن شعور الحفظة وما دام
القلب يشعر بالذكر ويلتفت اليه فهو معرض عن الله وغير منفك عن شرك خفي حتى تصير مستغرقا
بالواحد الحق فذلك هو التوحيد وكذلك القول في المعرفة فمن آثر المعرفة فقد قال بالثاني
ومن وجدها كانه لم يجدها بل يجد المعروف به فهو الذي استمكن من حقيقة الوصال وخلا في
بحبوحة حظيرة القدس فهذه امور نبهناك عليها لتكون مشتاقا الا ان تصير من اهل الذوق
بها فان لم تكن من اهل العلم بها فان لم تكن من اهل الايمان بها يرفع الله الذين
آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات واياك ولن تكون من المنكرين لها فتلقى العذاب
الشديد اذا كوشفت بالحق عند ملاقات سكرات الموت الذي تفر منه وكنت
منه تحيد وقيل لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد لكم

**المطلع الحادي عشر في قوله تعالى واذا راوا تجارة او لهوا انفضوا
اليها وتركوك قائما وفيه ظلال قمرية واشراقات نورية ظل قمري**

قد اخبر الله سبحانه عن جماعة عازبي الفهم قابلوا اكرم الكرم بالام اللؤم وباعوا
انفس النفيس باخس الخسيس فقال واذا راوا تجارة او لهوا اي اذا عاينوا ذلك او
علموه بعلامة وهي الطبل عن مجاهد وقيل المزامير عن جابر انفضوا اليها اي تفرقوا
عنك خارجين اليها وعن الفراء مالوا اليها والضمير للتجارة وانما خصت بارجاع

الضمير اليها لانها كانت اهم اليهم وهم بها اسر من الطبل لان الطبل انما دل على التجارة
وقيل عاد الضمير الى احدهما اكتفاء به وكانه على حذف والمعنى واذا راوا تجارة انفضوا
اليها واذا راوا لهوا انفضوا اليه فحذف اليه لان اليها دال روي ان اهل المدينة اصابهم
جوع وغلاء شديد فقدم دحية بن خليفة بتجارة من زيت الشام والنبي ص يخطب يوم الجمعة
فقاموا اليه خشوا ان يسبقوا اليه فما بقي معه الا يسير قيل ثمانية عن الكلبي وقيل احد عشر
عن ابن كيسان وقيل اثنا عشر عن جابر بن عبد الله قال اقبلت عير ونحن نصلي مع
رسول الله ص الجمعة فانفض الناس اليها فما بقي غير اثنا عشر رجلا انا فيهم وقيل
اربعون فقال ص والذي نفس محمد بيده لو خرجوا جميعا لاضرم الله عليهم الوادي
نارا وكانوا اذا اقبلت العير استقبلوها بالطبل والتصفيق فهو المراد باللهو
فعلى هذا يعني ارجاع الضمير الى التجارة لانها كانت مقصودهم لا اصلا وكان الطبل
طريق اطلاعهم عليها وعن قتادة ومقاتل فعلوا ذلك ثلث مرات في كل يوم مرة
لعير تقدم من الشام فكل ذلك وافق يوم الجمعة وقال المقاتلان بينا رسول الله ص يخطب
يوم الجمعة اذ قدم دحية بن خليفة بن فروة الكلبي ثم احد بني الخزرج ثم احد بني زيد بن مناة من الشام
بتجارة وكان اذا قدم لم يبق بالمدينة عاتق الا اتته وكان اذا قدم بكل ما يحتاج اليه من دقيق
او بر او غيره فينزل عند احجار الزيت وهو مكان في سوق المدينة ثم يضرب بالطبل
ليؤذن الناس بقدومه فيخرج اليه الناس ليبتاعوا معه فقدم ذات جمعة وكان ذلك
قبل ان يسلم ورسول الله ص قائما على المنبر يخطب فخرج الناس فلم يبق في المسجد الا اثنا عشر
رجلا وامراة فقال ص لولا هؤلاء لسومت لهم الحجارة من السماء وانزل الله هذه الاية

رسول ظ

وروى

وروي عن ابي عبد الله ع انه قال انصرفوا اليها وتركوه قائما على المنبر قال جابر بن
سمرة ما رايت رسول الله خطب الا وهو قائم فمن حدثك انه خطب وهو جالس
فكذبه وسئل عبد الله بن مسعود اكان النبي ص يخطب قائما فقال اما تقرا وتركوك
قائما وقيل ارادوا قائما في الصلوة اشراق نوري اعلم ان الغالب على الخلق حب التلذذ
بالدنيا والتمتع بطيباتها الزهر حسنات علم الاخرة لان الجسمانية غالبة على طباع
الناس الا الاقلين الانذرين منهم كما اشار اليه بقوله تعالى ان الانسان لفي خسر الا الذين
امنوا وعملوا الصالحات وقليل من الناس من آمن بوجود المبدا والمعاد ايمانا حقيقيا
وصدق بهما اذعانا يقينيا والذين يدعون الايمان بالله واليوم الاخر فاكثرهم اذا
فتشت عن ايمانهم يكون مرجعه اما التقليد المحض للمشايخ والاباء من غير برهان وحجة او
التعصب لمذهب نشا فيه او لالف وعادة حصلا له بسبب المعاشرة مع المسلمين و
التشبه باهل العلم بصورة اعمالهم والفاظهم الدايرة على السنتهم من القول بوجود
الاله والنبي والامام والكتاب والقبر والبعث والحشر والنشر او بمجرد الظن والتخيل
لهذه المسموعات على سبيل التجويز العقلي من غير وصول الى حقيقة الامر كالكاملين
او حصول طمانينة قلبية تكون للنفوس السليمة عن الامراض الباطنية للسعداء من اصحاب
اليمين وشي من تلك الامور لا يؤثر في القلب اثرا يوجب انتزاع نفسه عن الدنيا و
حسم مادة شهواتها عن طبعه بحيث ينزجر بلا زاجر خارجي ويرتدع من دون رادع
يجبره بحكومة عرفية او شرعية فمتى وقعت المساهمة من احدهما او انبعث داع مجدد
بحركة الحرص والهوى فرجع مسرعا الى ما اقتضاه طبعه وادعاه وينقلب مسرورا الى

ما يميل اليه ذوقه وهواه كالحجر المسكن في الهواء قسرا لا ذاتيا وطبعا واما المؤمن المحقق العارف
بالحق المصدق لما اتى به النبي صلى الله عليه وسلم والموقن بان الآخرة خير من الاولى فهو في غاية الندرة وقد
وقع التصريح في كثير من الآيات بان اكثر المتسمين بالمؤمنين كافرون ضميرا واعتقادا مثل
قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله والكتاب
الذي انزل من قبل ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا
بعيدا وقوله وما يؤمن اكثرهم الا وهم مشركون وقوله وما اكثر الناس ولو حرصت
بمؤمنين وقوله يا حسرة على العباد ما ياتيهم من رسول الا كانوا به يستهزؤون وقوله يعرفون
نعمة الله ثم ينكرونها واكثرهم الكافرون وقوله وكاين من آية في السموات والارض
يمرون عليها وهم عنها معرضون اشراق آخر اعلم ان كلام الرسول الخارجي لا يسمع من لم يكن
له في الباطن رسول قلبي بوارد من واردات الحق سبحانه ويكون القلب به حيا كما قال تعالى لا تسمع
الموتى وقال لينذر من كان حيا فالقلب الحي بنور وارد الحق يسمع بذلك النور كلام
الرسول الخارجي ويفهمه فسر القلب الذي هو قابل للفيض بنور وارد الحق يكون رسولا بين
الحق والعبد فياخذ الاسرار والمعاني والحكم والمواعظ من نور وارد الحق ويبلغها الى
قواه الداخلة والخارجة وساير الامم المسلم من الاوصاف والاخلاق الحسنة كما روي عنه
واعظ في قلب كل مؤمن وقال بعضهم حدثني قلبي عن ربي وتحقيق ذلك ان كل انسان
يلاقي للامور الغيبية والشهادية بما في نفسه وطبعه بل كل قوة تدرك وتنال شيئا بما في ذاتها
فالبصر انما يدرك الضوء واللون لانه من جنس الالوان والاضواء لكونه مشعا نورانيا
والسمع يدرك كيفية تموج الهواء الحاصل في المقروع والمقلوع لانه من شانه ان يتقرع و

الذوقية

ينقلع حاملا بتموج ما يجاوره من الهواء الراكد وكذا القوة الذوقية القايمة بجرم اللسان ينفعل
عن المذوقات بسبب تكيف اللعاب الذي هو رطوبة لعابية بكيفية المطعومات وهكذا باقي الحواس
الظاهرة والباطنة فالوهم يدرك الموهومات والعقل الذي هو جوهر مفارق يدرك الحقايق
المجردة عن الغواشي المادية فالانسان بجملة نشأته يكون منها حصة فيه يدرك ما في تلك النشأة من
الامور قال بعض الحكماء العقل نور الله ولا يهتدي الى النور غير النور ولا يظهر صورة فرد
الا في مرآة فردانية فالنفس مرآة العقل ومرآة العقل لا تشبهها مرآة الاجسام فاذا علمت ما
ذكرناه فاعلم ان من جملة القوى المودعة من امر الله في العالم الانساني هو نور فايض من الله تعالى
على قلب المؤمن المجاهد في سبيل الله وهو انما يجيء الى من عالم الملكوت ويقذف في قلبه بعد ان سلكه
وطي مراتب الحس والخيال والعقل بالعلوم الرسمية والآداب الشرعية وطور ذلك النور فوق
اطوار ساير المدارك والمشاعر والعقول الجمهورية وهو من جنس انوار النبوة والولاية
فبذلك النور يعقل ويفهم الاسرار النبوية والعلوم الربانية والاحكام الالهية ويتناول
منها حظا وافرا فيتبع الرسول الخارجي والمبلغ العيني بالرسول الداخلي والمبلغ
العلمي فبالرسول يدرك الرسول وبالنور ينال النور كما ان بالعقل يعقل المعقول
وبالحس الحس المحسوس فمن لا يكون له نصيب من وارد الحق فلا يفهم لسان النبي الوارد من الحق
على الخلق ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور وهكذا حال اكثر الناس وما يتبع اكثرهم
الا ظنا ان الظن لا يغني من الحق شيئا ولهذا لم يتفق مع الرسول من العدد الكثير الا صحبة
في الطف وقت من اوقات معدة لمرافقتهم له وصحبتهم اياه وهو وقت ذكر الله
والصلوة التي هي معراج المؤمن وعمود الدين ومناجاة العبد للرب فخلوه وتركوه

فيا ايها الخسيس الدني على ذلك الشريف العلي نظر ذلك ما وقع لهم في ترك
النجوى مع الرسول صلعم حين اوجب عليهم الآية صدقة يسيرة حبة او شعيرة فثقلوا
ذلك عليهم والعظيم بامساك هذا التراب روي انهم اكثروا مناجاة الرسول صلعم بما يريدون
حتى املوه وابرموه فنزلت أأشفقتم ان تقدموا بين يدي نجواكم صدقات وامروا بان
من اراد ان يناجيه قدم قبل مناجاته صدقة قال امير المؤمنين عم لما نزلت دعاني
رسول الله صلعم فقال ما تقول في دينار قلت لا يطيقونه قال كم قلت حبة او شعيرة
فقال انك لزهيد فلما رأوا ذلك اشتد عليهم فارتدعوا وكفوا حتى نسخت وعن علي عم
ان في كتاب الله تعالى لآية ما عمل بها احد قبلي ولا يعمل بها احد بعدي كان لي دينار فصرفته فكنت اذا ناجيته
تصدقت بدرهم فانظر يا اخي في هذه الحكاية بنظر التامل حتى تعلم ان اهل المودة الاخروية
في غاية القلة والندرة من اهل المودة الدنيوية وان عدد طالب الحق بالنسبة الى طالب
الهوى كعدد الشعرة البيضاء في بدن البقرة السوداء المطلع التاسع عشر في قوله تعالى
قل ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة والله خير الرازقين وفيه اشراقات الاول
قل يا محمد لهذه النفوس المحجوبة عن عالم الربوبية وما يليه من سكان عالم الجبروت والملكوت
وهي مبادي الصور والكمالات الفائضة على مواد هذا العالم بعد تنزلها وورودها
على المراتب ومنابع اللذات والخيرات النازلة منها على قوابل الاجسام وطبائع الاجرام
بعد تكدرها بالشوائب ومفاتيح خزائن النعم والرحمة وابواب الوصول الى الجنة والمغفرة
ان ما عند الله احمد عاقبة وثوابا واجل مرجعا ومآبا من اللهو والتجارة والله خير
الرازقين يرزقكم ولن يتركوا الخطبة والجمعة وما من دابة الا على الله رزقها فمن ابتغى زاد

الآخرة

الآخرة كان له نعم الدنيا والآخرة ومن ابتغى تحصيل الدنيا حرم عن الآخرة قال الله تعالى
من كان يريد ثواب الدنيا اي من كان دني الهمة قصير النظر خسيس الجوهر حتى يطلب من الله
الدنيا الدنية فعند الله ثواب الدنيا والآخرة فان الله من سعة جوده وبسطة كرمه وذاته
التي ينبوع ينابيع الخير والرحمة ومفتاح مفاتيح الجود والنعم يحب ان يسأل العبد منه عوالي
الامور ومعالي الاشياء ويبغض ان يطلب منه دنياتها وسفسافها فلا يرضى ان يقتنع العبد
منه بالدنيا لانها دنية بل لا شيء لان وجودها وجود تبعي ظلي وعند الله ثواب الدنيا والآخرة
لان احدهما من اشعة جماله وجلاله والآخر من ظلال انوار كماله فمن يكون منزلته عند الله في
مقعد صدق عند مليك مقتدر فقد وجد الله ووجد ما عنده من الدنيا والآخرة وكان
الله عطوفا رحيما على عباده سميعا لحاجات طالبيه ومناجاة راغبيه بصيرا بمصالح دينهم
ودنياهم فلكمال رأفته ورحمته امرهم بالرجوع اليه في الامور ونهاهم عن الانكباب على
عالم الدثور والانخراط في سلك اصحاب القبور اشراق الثاني اعلم ان للانسان ارزاقا
مختلفة سوى رزق المعدة وهي رزق القلب ورزق الروح ورزق السر وكل انسان
في هذا العالم يستحق رزقا غالبا لانه في ادنى درجات الحيوانات وكل انسان
بحقيقته حيوانية يكون من اهل الجحيم واليه الاشارة بقوله تعالى وان منكم الا واردها
لان معدة الانسان تنور حرارتها من فوح نار جهنم الى ان قيل لها هل امتلأت فتقول
هل من مزيد ولبعض الناس رزق القلب ومن رزقناه رزقا حسنا ولهذين
الرزقين اشير بقوله يرزقكم من السماء والارض وبقوله ولو انهم اقاموا التورية
والانجيل لأكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم واما رزق الروح فكقوله تعالى ورزق

ربك خير مما يجمعون والمرزق اليسر فلقوله صلعم ابيت عند ربي يطعمني ويسقيني فافهم واغتنم
مرد شراق الثالث اعلم ان الرزق والنعم يعبر بهما عن كل محظ ولذيذ والمطالب و
المستلذ للانسان ثلثة انواع اما عقلية واما نفسية واما بدنية وكالاول كلذة العلم والحكمة
والثاني كلذة الاكل والوقاع وفي الاخرين يقع الاشتراك بينه وبين الحيوانات واما اللذات
العقلية فهي اقلها وجودا واشرفها رتبة اما اقليتها فلان المعرفة لا يستلذها الا العلماء و
الحكمة لا يعقلها الا الحكماء وما اقل اصحاب العلم والحكمة وما اكثر المتشبهين باسمهم والمترسمين
برسمهم واما شرفها فلانها لا يزول ابدا لا في الدنيا ولا في الاخرة ودايمة لا تمل والطعام
والشراب يشبع منه والوقاع يفرغ منه ويستثقل ومن قدر على الشريف الباقي ابد الاباد
اذا رضي بالخسيس الفاني اقرب الاماد فهو مصاب في عقله محروم بشقاوته وادباره ثم العلم
لذيذ ونافع وجميل في كل حال والمال والاولاد تارة يجذب الى الهلاك وتارة يجذب
الى النجاة ولهذا قال الله تعالى انما اموالكم واولادكم فتنة واما قصور اكثر الخلق عن
ادراك لذة العلم فاما لعدم الذوق فمن لم يعرف لم يشتق اذ الشوق تابع للذوق
واما لفساد فطرتهم الاصلية ومرض قلوبهم بسبب اتباع الشهوات كالمريض الذي لا يدرك
حلاوة العسل ويراه مرا واما لقصور فطرتهم اذ لم يخلق لهم الغريزة التي بها يستلذ
العلم كالطفل الرضيع لا يدرك لذة الطعوم اللذيذة الا اللبن فالقاصر عن لذة المعرفة
والحكمة ثلثة اما من لم يحيى باطنه كالجنين بل كالطين واما من مات بعد الحيوة باتباع الشهوات
والمرض بسبب الصفات المكتسبة مثل العصبية والعناد واللجاج والحسد والتكبر وميل
الرياسة وقوله تعالى في قلوبهم مرض اشارة الى امراض العقول وقوله لينذر من كان حيا اشارة

يستنوظار

الى من لم يمت حيوته الباطنة وكل حي بالبدن ميت بالقلب فهو عند الله من الموتى
وان كان عند الجهال من الاحياء وكذا كل ميت بالبدن حي بالقلب فهو من الاحياء لان
العبرة في عالم الحق بالقلب لا بالقالب ولذلك كان الشهداء احياء عند ربهم يرزقون
بالارزاق المعنوية فرحين باللذات العقلية وان كانوا اموتا بالابدان واما اللذة التي
يشارك الانسان بها بعض الحيوانات فهي كلذة الغلبة والاستيلاء والرياسة وتلك
موجودة في الاسد والنمر واشباههما واما التي يشارك بها ساير الحيوانات فكلذة
البطن والفرج وهذه اكثرها وجودا واخسها رتبة ولذلك يشترك فيها كل ما دب
ودرج حتى الديدان والحشرات ومن جاوز هذه الرتبة يتشبث بلذة الغلبة
وهي اشد التصاقا بالمتصلفين فان جاوز ذلك ارتقى الى الثالث فصار اغلب اللذات
عليه لذة العلم والحكمة لا سيما معرفة الله تعالى ومعرفة صفاته وافعاله وهذه رتبة الصديقين
وهي المسماة عند الحكماء والعرفاء بالخير المحض وباقي الخيرات خير بالاضافة والى
الخير الحقيقي اشار بقوله قل ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة لما يتبين انه الله يوجد عنده
كل خير ونعم ورزق دنيوي واخروي لان الجميع ظلال انواره ورشحات بحاره لاشراق
الرابع واعلم انه دعوى كون ما عند الله خير من اللهو الذي هو لذة القوة الحسية وشهوتها ومن
التجارة التي هي لذة القوة الخيالية اذ بها يحصل الجاه والثروة مما يشكل اثباته على
الاكثر الناس فان كون معرفة الله تعالى وصفاته وافعاله وملكوت سمواته واسرار ملكه
اعظم لذة من الرياسة وساير المشتهيات مما يختص دركه بمن نال رتبة المعرفة وذاق
مشرب الحكمة ولا يمكن اثباته على من لا قلب له لان القلب معدن هذه القوة كما انه لا يمكن

اثبات لذة الرياسة ورجحانها على لذة الوقاع عند السفهاء وكذا اني ولا اثبات
لذة الوقاع على لذة اللعب بالكرة والصولجان عند الصبيان ولا اثبات لذة الزواج
عند الجعل لفقدهم القوى التي بها تدرك هذه اللذات ولكن من سلمت ذاته عن الامراض
والآفات تدرك ما يناسبه من اللذات وعند هذا ينبغي ان تحقق ان فاقد تلك الغريزة الباطنة
لمن ذاق عرفه ومما ينبهك على لذة معرفة الله الذاتي ان اكثر طلاب العلوم وان لم يشتغلوا
بطلب المعارف الالهية والمطالب الربوبية قد استنشقوا رائحة من روائح هذه اللذة
عند انكشاف المشكلات وانحلال الشبهات التي قوي حرصهم على طلبها فانها ايضا
معارف وعلوم وان كانت معلوماتها غير شريفة لان كل عقلي فهو حضور صورة مجردة عن
المواد عند الذهن واما من طال فكره في معرفة الله وقد انكشف له من اسرار ملك الله و
ملكوته فانه يصادف في قلبه عند حصول الكشف من الطرب العقلي والفرح الروحي ما يكاد
يترك به عالم الاجسام ويطير الى عالم القدس ويتعجب من نفسه في ثباته واحتماله لقوة طربه و
سروره وهذا مما لا يدرك الا بالذوق والحكاية قليلة الجدوى فهذا [illegible] الاشراق الخامس
لذة معرفة الله والنظر الى وجهه الكريم والمطالعة لجمال الحضرة الربوبية والشهود لاسرار الامور
الالهية الذ اللذات الباطنة ولهذا ترى العارف الرباني يؤثر التفرد عن الخلق والخلوة
والتبتل والفكر والذكر على الدوام ويترك الرياسة ويستحقر الخلق ويستهزء بهم كما يستهزؤن
به لعلمه بفناء شهواتهم وانقطاع رياستهم وكونها مشوبة بالكدورات مقطوعة بالموت الذي
لا بد منه مهما اخذت الارض زخرفها وازينت وظن اهلها انهم قادرون عليها فيشتغل
بالاضافة الى هذه المحقرات لذة الحكمة والمعرفة بالله والمطالعة لصفاته وافعاله ونظام

مملكته

مملكته من اعلى العليين الى اسفل السافلين فانها خالية عن المزاحمات والمكدرات
متسعة للواردين لا تضيق عنهم بكثرتها وانما عرضها من حيث التقدير عرض السموات
والارضين لانه اذا اخرج النظر عن عالم المساحة والخلق والتقدير فلا نهاية لعرضها
فلا يزال العارف بمطالعتها في جنة عرضها السموات والارض يرتع في رياضها ويقتطف
من ثمارها وهو آمن من انقطاعها اذ ثمار هذه الجنة غير مقطوعة ولا ممنوعة ثم هي ابدية
سرمدية لا يقطعها الموت اذ الموت لا يهدم محل معرفة الله تعالى لان محلها الروح
الذي هو امر نوراني سماوي وانما يغير بالموت احوالها ويقطع اشغالها الدنيوية و
شواغلها وعوائقها وتخليها وعود عالمها فاما ان تنعدم ذاتها فلا لقوله تعالى ولا
تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون فرحين بما
آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم ولا تظنن ان ذلك مخصوص
بالمقتول في المعركة فان للعارف بكل نفس درجة الف شهيد وفي الخبر ان الشهيد
يتمنى في الآخرة ان يرد الى الدنيا ليقتل مرة اخرى لعظم ما يراه من ثواب الشهادة
وان الشهداء يتمنون ان يكونوا علماء لما يرونه من علو درجة العلماء وفي الحديث انه
اذا كان يوم القيامة يوضع الموازين فيوزن مداد العلماء على دماء الشهداء فيرجح
مداد العلماء على دماء الشهداء فاذن جميع اقطار ملكوت السموات والارض ميدان
العارف يتبوء منها حيث يشاء من غير حاجة الى ان يتحرك اليها بجسمه وشخصه فهو من
ملاحظة جمال الملكوت في جنة عرضها السموات والارض وكل عارف فله مثلها من غير
مزاحمة بينهم الا انهم يتفاوتون في سعة متنزهاتهم بقدر سعة معارفهم وهم درجات

عند الله وهكذا حالهم في الدنيا والاخرة قبل الموت وبعده الا ان الموت يزيد
انكشافا وظهورا وجلاء ووضوحا لمعارفهم ومقاصدهم فافهم واغتنم ٥
مرو الاشراق السادس فاذا علمت ان لذة العلم بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم
الآخر الذ اللذات عند العارف الرباني فلا تتعجب من ايثاره هذه اللذة على ساير
اللذات وتحاشيه عن صحبة الخلق ومستلذاتهم لا حيث يصير طرده الناس واستحقروه
ولهذا قال بعضهم اذا بلغ الرجل الى غاية يستغرق في العلم بالله رماه الناس بالحجارة
اي خرج كلامه عن حد عقولهم فيرون ما يقوله جنونا وقصد العارفين كلهم ملاحظة
لقائه ومشاهدة ملكوته فقط فهي قرة عينهم التي لا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين قرة
فصارت الهموم كلها هما واحدا بل من عرف الله عرف ان اللذات المقرونة بالشهوات
المختلفة كلها منطوية تحت هذه اللذة كما قال بعضهم ٭ كانت لقلبي اهواء مفرقة ٭
فاستجمعت اذ رأتك العين اهوائي ٭ فصار يحسدني من كنت احسده ٭ وصرت
مولى الورى اذ صرت مولائي ٭ تركت للناس دنياهم ودينهم ٭ شغلا بذكرك
يا ديني ودنياي ٭ وقال بعضهم وهجره اعظم من ناره ووصله اطيب من جنته
فمن عرف الله انمحقت عنه الهموم والدواعي سواء كانت من باب الدرهم والدينار
او من باب البحث والتكرار او من باب الصيت والاشتهار واضمحلت عنه الشهوة
والغضب وقد تشوشتها بغلبة المعرفة لله والحب فلا داعي له سوى الله من جلب منفعة
او دفع مضرة فلو القوه في النار عند شدة استغراقه في الحق واشتغاله به لم يحس
بها ولو عرض عليه نعيم الجنة لم يلتفت اليها فكيف لا يهجر اللذات المخدجة و

لهذا

لهذا قال امير المؤمنين عليه السلام ما عبدتك خوفا من نارك ولا طمعا في جنتك بل وجدتك
اهلا للعبادة فعبدتك واليه اشار ابو سليمان الداراني ان لله عبادا ليس يشغلهم عن الله
خوف النار ورجاء الجنة فكيف يشغلهم الدنيا عن الله وقال بعض العرفاء لو ادخلني
الله الجنة بمرادي فويل لي ولو ادخلني بمراده فنعم الحبس وقال بعض اخوان معروف
الكرخي له اخبرني عن اي شيء اهاجك الى العبادة والتفرد عن الخلق فقال ذكر الموت
فقال واي شيء الموت فقال ذكر القبر والبرزخ فقال واي شيء هذا فقال خوف النار و
رجاء الجنة فقال واي شيء هذا ان ملكا بيده هذا كله ان احببته انساك جميع ذلك وان
كانت بينه وبينك معرفة كفاك جميع هذا خاتمة في ذكر نبذ من مواعظ حكمية ونصايح
قرآنية ينتفع بها من له قلب سليم ويستوضح بها سر قوله تعالى قل ما عند الله خير من اللهو و
من التجارة الآية ماخوذة بعضها من كلام الله واحاديث نبيه وعترته عليهم السلام وبعضها
من اقوال الحكماء والعرفاء رضوان الله عليهم في هذا الباب طمعا في ان يصير سببا لتنبيه
القلوب الراقدة في مراقد الغفلات وباعثا على ايقاظ النفوس النائمة في مضاجع الجهالات
ولما كان ما نعلمه ان اهل هذا العصر ممن قال في حقهم الشاعر ولن يصلح العطار ما افسد
الدهر الا ان ارض الله لا تخلو عن مؤمن تقي وصالح نقي وبلاد الله لا تكون ذات حبوب و
ثمار واشجار لاجل الدواب والانعام كالفرس والحمار قال الله تعالى مخاطبا لرسوله وحبيبه
وهاديا له طريق الفلاح ليهتدي امته بهداه ويتنوروا بواطنهم بنور ورعه وتقواه لا تمدن
عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم زهرة الحيوة الدنيا ورزق ربك خير وابقى فنهى سبحانه
رسوله عن النظر الى متاع الدنيا وزهرة حيوتها الفانية كيلا يتلوث طهارة ذاته

المجرده وعنه المقدس كثايف مستلذاتها وخبايث مشتبهاتها وامثال هذه كآية
من الآيات والنصوص الدالة على ذم الدنيا ونهي اهلها ومدح الآخرة وتحسين اهلها
اكثر من ان يحصى مثل قوله واعرض عن من تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحيوة الدنيا ذلك
مبلغهم من العلم وقوله ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان امره فرطا
الى غير ذلك قال المولوي في المثنوي گفت حق بارها به پيغمبر كه بدنيا واهل او منكر
وفي كتاب الكافي عن ابي عبد الله ع قال قال رسول الله ص لا يجد الرجل حلاوة الايمان
في قلبه حتى لا يبالي من اكل الدنيا ثم قال ع حرام على قلوبكم ان تعرف حلاوة الايمان حتى
تزهد في الدنيا وعنه ع انه قال من زهد في الدنيا اثبت الله الحكمة في قلبه وانطق بها لسانه
وبصره بعيوب الدنيا داءها ودواءها سالما الى دار السلم وعنه ع قال خرج النبي ص
وهو محزون فاتاه ملك ومعه خزائن الارض فقال يا محمد هذه مفاتيح خزائن الارض
يقول لك ربك افتح وخذ منها ما شئت من غير ان تنقص شيئا عندي فقال ص الدنيا دار
من لا دار له ولها يجمع من لا عقل له فقال والذي بعثك بالحق لقد سمعت هذا الكلام
من ملك يقوله في السماء الرابعة حين اعطيت المفاتيح وروى الشيخ الجليل عماد الاسلام
ابو جعفر محمد بن يعقوب الكليني في هذا الكتاب مسندا الى جابر رض عن ابي جعفر ع حديثا
طويلا في باب ذم الدنيا والزهد عنها ذكر فيه يا جابر الآخرة دار القرار والدنيا
دار فناء وزوال ولكن اهل غفلة وكان المؤمنون هم الفقهاء اهل فكرة وعبرة
لم يصمهم عن ذكر الله جل اسمه ما سمعوا باذانهم ولم يعمهم عن ذكر الله ما راوا من الزينة
باعينهم ففازوا بثواب الآخرة كما فازوا بذلك العلم وفيه اشعار بان الفقيه ليس

معناه

معناه في عرف الائمة ولسانهم بل الاولين هذه الصناعة المشهورة بل العلم
الذي يوجب الاستغراق في امر الآخرة واحوال الباطن والاعراض عن الدنيا بالكلية
ثم قال فيه يا جابر ان اهل التقوى ايسر اهل الدنيا مؤنة واكثرهم معونة قوالون
بامر الله قوامون على امر الله قطعوا محبتهم بمحبة ربهم ووحشوا الدنيا لطاعة مليكهم و
نظروا الى الله عز وجل والى محبته بقلوبهم ثم قال ع فانزل الدنيا كمنزل نزلته ثم
ارتحلت عنه او كمال وجدته في منامك فاستيقظت وليس معك منه شيء انما ضربت
لك هذا مثلا لانها عند اهل اللب والعلم بالله كفيء الظلال وعن امير المؤمنين ع
في بعض خطبه من عظمت الدنيا في عينه كبر موقعها في قلبه آثرها على الله تعالى فانقطع اليها
وصار عبدا لها ولقد كان في رسول الله ص كاف في الاسوة ودليل على ذم الدنيا
وعيبها وكثرة مساويها اذ قبضت عنه اطرافها ووطئت لغيره اكنافها وفطم
عن رضاعها وزوي عن زخارفها وان شئت ثنيت بموسى كليم الله اذ يقول رب
اني لما انزلت الي من خير فقير والله ما سأله الا خبزا ياكله لانه كان ياكل بقلة
الارض ولقد كانت خضرة البقل ترى من شفيف صفاق بطنه لهزاله وتشذب
لحمه وان شئت ثلثت بداود صاحب المزامير وقارئ اهل الجنة فلقد كان يعمل
سفائف الخوص بيده ويقول لجلسائه ايكم يكفيني بيعها ويأكل قرص الشعير من ثمنها
وان شئت ربعت في عيسى ع يتوسد الحجر ويلبس الخشن وكان ادامه الجوع وسراجه
بالليل القمر وظلاله في الشتاء مشارق الارض ومغاربها وفاكهته وريحانه
ما ينبت في الارض للبهائم ولم يكن له زوجة تفتنه ولا ولد يحزنه ولا مال يلفته ولا

طمع بذله دابته رجلاه وخادمه يداه فتأس بنبيك الاطيب الاطهر صه فان فيه اسوة
لمن تأسى وعزاء لمن تعزى قضم الدنيا قضما ولم يعرها طرفا اهضم اهل الدنيا
كشحا واخمصهم من الدنيا بطنا عرضت عليه الدنيا فابى ان يقبلها وعلم ان الله
ابغض شيئا شقاقا ومحادة عن امر الله ولقد كان صلوات الله عليه وآله يأكل على
الارض ويجلس جلسة العبد ويخصف بيده نعله ويرقع بيده ثوبه ويركب الحمار العاري
يردف خلفه ويكون الستر على باب بيته فيقول لاحدى ازواجه يا فلانة غيبيه عني فاني
اذا نظرت اليه ذكرت الدنيا وزخارفها فاعرض عن الدنيا بقلبه وامات ذكرها من
نفسه واحب ان تغيب زينتها عن عينه لكيلا يتخذ منها ولا يعتقدها قرارا ولا يرجو فيها
مقاما فاخرجها من النفس واشخصها عن القلب وغيبها عن البصر وكذلك من ابغض شيئا ابغض
ان ينظر اليه وان يذكر عنده ولقد كان في رسول الله ما يدلك على مساوي الدنيا و
عيوبها اذ جاع فيها مع خاصته وزويت عنه زخارفها مع عظيم زلفته فلينظر ناظر بعقله
اكرم الله محمدا او اهانه فان قال اهانه فقد كذب والله العظيم واتى بالافك العظيم وان
قال اكرمه فليعلم ان الله قد اهان غيره حيث بسط الدنيا له وزواها عن اقرب
الناس منه فتأسى متأس بنبيه واقتص اثره وولج مولجه والا فلا يأمن الهلكة فان الله
جعل محمدا علما للساعة ومبشرا بالجنة ومنذرا بالعقوبة خرج من الدنيا خميصا و
ورد الآخرة سليما لم يضع حجرا على حجر حتى مضى لسبيله واجاب داعي ربه فما اعظم منة
عندنا حين انعم الله علينا به سلفا نتبعه وقائدا نطأ عقبه والله لقد رقعت مدرعتي
هذه حتى استحييت من راقعها ولقد قال لي قائل الا تنبذها فقلت اغرب عني فعند الصباح يحمد القوم
قال

السرى

السرى انتهى وفي كلام بعض الحكماء على طريق الرمز قال لكل قهوة سكارى ولكل بحر
مغرقون كم بين حائر في الظلمات خرج عن نور الشمس وبين حائر اغرقه ضوؤها فرقوبها
الاقرب وقال الثقة وبباب الحق قوم لا تشغلهم صدمات كالاسباب ولا يخرجون من البلاء
فان البلاء صراط الله به عبرت قوافل الرجال ولو سلكته لوجدت عليه آثارهم ولعرفت
منه اخبارهم فكل ارض لم يصبها صيب من المصائب ابت ان تنبت نبت النجاح و قال
لان تعبد الله حبا خير من ان تعبده خوفا فان التعبد بالتخويف دين اللئام وقال
نقش نفسك يا انسان بافضل ما يمكن ونزهها عن خبيثات الامور فان قيم المواد بصورها
وقال اسلك سبيل الله ايها المتفكر بقلب يقظان وقف موقف التعظيم واطلب باريك
الكامل القريب الاقرب ولو كان في العلو الاعلى قهرا وشرفا وقال امر الله لا تعطل بما
توانيت ايها المتخلف ولكنك تتعرى باعز الفضائل مد عيشك مدا او بسطها بسطا
وان تركاتك غلات من نبات الظلم لرب القيوم قائما بالقهر على رأس الوجود كله بالمرصاد
قال لا تترك اهل السيف الجاهلين ان يدنوا ولا المرأة المشوهة الملقاة الجسد في الطريق ان تثبت
بذيلة وطوائف من النيران التي قل ضوؤها وكثر دخانها طفقت تطفئ لهوب ريح زعزع ان عنده البطر و
احوج على الدارس لعنوا العنا تقطع ادبارهم ويردهم على الرائح المشحوم بالعذاب قال يحيى بن معاذ مثقال
ذرة من الحب احب الي من عبادة سبعين سنة بلا حب قال ابو القاسم القشيري الشوق نار الله اشعلها في قلوب اوليائه
حتى تحرق ما في قلوبهم من الخواطر والارادات وفي اخبار عيسى عليه السلام اذا رأيت الفتى مشغوفا بطلب الرب فقد الهاه
ذلك عما سواه ورأى بعض الشيوخ بشر الحارث في النوم فقال ما فعل ابو نصر التمار والوراق فقال تركتهما الساعة بين
يدي الله يأكلان ويشربان قلت فانت قال علم الله قلة رغبتي في الاكل والشرب فاعطاني النظر اليه وعلى

موفقا انه قال رايت في النوم كاني ادخلت الجنة فرايت رجلا قاعدا على مائدة وملكان
عن يمينه وشماله يلقمانه من جميع الطيبات وهو ياكل ورايت رجلا قائما على باب الجنة يتصفح
وجوه قوم فرايت في سرادق العرش رجلا قد شخص بصره الى الله لا يطرف فقلت رضوان
من هذا فقال معروف الكرخي عبد الله لا خوفا من ناره ولا شوقا الى جنته بل حبا له فاباح
الله النظر اليه الى يوم القيمة وقد ذكرنا الاخرين ابن الحارث والوراق وقال ابو سليمان
من كان اليوم مشغولا بربه يكون غدا ناظرا اليه وقال الثوري لرابعة ما حقيقة ايمانك قالت ما
عبدته خوفا من ناره ولا حبا لجنته فاكون كالاجير السوء بل عبدته حبا له وشوقا اليه وقالت
في معنى المحبة نظما احبك حبين حب الهوى وحبا لانك اهل لذاك فاما الذي هو حب الهوى
فشغلي بذكرك عمن سواك واما الذي انت اهل له فكشفك للحجب حتى اراك فلا الحمد في ذا
ولا ذاك لي ولكن لك الحمد في ذا وذاك قال بعض اكابر العلماء في معنى نظمها لعلها
ارادت بحب الهوى حب الله لاحسانه اليها وانعامه عليها بحظوظ العاجلة وبحبه
لانه اهل الحب لجماله وجلاله انكشف لها وهو اعلى الحبين واقواهما ولذة مطالعة جمال
الربوبية التي عبر عنها النبي صم حيث قال حكاية عن الله تعالى اعددت لعبادي الصالحين ما لا
عين رات الحديث واعلم ان عبادا قد عجل بعض هذه اللذات العلى وهم بعد في
حيوتهم الدنيا لانه قد انتهى صفاء قلوبهم ولطافة اذهانهم الى الغاية ولذا قال
بعضهم اني لاقول يا رب يا الله فاجد ذلك اثقل على من الجبال لان النداء يكون
من وراء الحجاب وهل رايت جليسا ينادي جليسه وقال اذا بلغ الرجل الى هذه الغاية
رماه الناس بالحجارة اي يخرج كلامهم عن حد عقولهم فيرون ما يقوله جنونا وحكي ان

رجلا جاء الى ابي يزيد فقال باي شيء استعين على عبادة ربي فقال بالله ان كنت
تعرفه لان ادنى منزلة هو العارف علمه بانه ليس بشيء من الحول والقوة فاذا علم
ذلك صارت الاشياء كلها له وقال فضيل من عرف الله حق معرفته صارت جميع
حركاته طاعة وجميع انفاسه ذكرا وجميع احواله انسا وجميع ارادته هواه وسئل
بعض اهل الله عن حقيقة المعرفة فقال طيران القلب في عليين وجولانه في حجب القدرة
التي لا يعرفها الا من اصم اذنيه عن سماع الباطلات واعمى عينيه عن النظر الى الشهوات
واخرس لسانه عن التكلم بالفضولات وهو ما قيل في حقيقة المعرفة العارفون صم
بكم عمي وقيل من عرف الله كل لسانه ودهش عقله ودام تحيره وقال بعضهم ان
للعارف نارا ونورا نار الخشية ونور المعرفة فالدنيا يبكي عليه بعين الفناء والاخرة
يضحك اليه بعين البقاء فكيف يقدر الشيطان لمريد قوم ظاهره وباطنه الا كالبرق
الخاطف والريح العاصف فيستعيذ بالله من الشيطان بعينه بلسان العبرة وبنفسه
بلسان الخدمة وبعقله بلسان الفكرة وبقلبه بلسان المحبة وبسره بلسان المؤانسة
فان اتاه من قبل العين احرقه نور العبرة ولئن اتاه من قبل النفس احرقه نور الخدمة
ولئن اتاه من قبل العقل احرقه نور الفكرة ولئن اتاه من قبل القلب احرقه نور المحبة
ولئن اتاه من قبل السر احرقه نور المؤانسة وهو اشارة الى قوله تعالى ان عبادي ليس
لك عليهم سلطان قال ادم للجنيد كم تنادي على الله بين يدي العامة فقال الجنيد
انا انادي على العامة بين يدي الله قال عباس بن يوسف اذا رايت رجلا مشتغلا
بالله فلا تسال عن ايمانه واذا رايته مشتغلا بالدنيا فلا تسال عن نفاقه وقال

اديم قوم نفوا اسرارهم بالحظوظ وافنوا ابصارهم باللحوظ انی لهم لا ذکر الحق
سبیل قال حسین بن منصور بسم الله منك بمنزلة کن منه فاذا احسنت لم تقول
بسم الله تحققت الاشیاء بقولك بسم الله کما یتحقق بقوله کن ٥ قد تم تسوید

ما اراد ایراده العلامة المحقق الکاشی والعارف الربانی فی شرح
اسرار هذه السورة علی یدی اقل العبید المحتاج الی رحمة ربه
العزیز وشفاعة نبیه الشفیع محمد رفیع ابن محمد معصوم
الرضوی عفی عنهما بالنبی وآله
الطاهرین فی منتصف
شهر ذی الحجة الحرام
سنة ١٠٩٠

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لواهب العقل والخير والجود والصلوة والسلام على نقطة دائرة الوجود و
نكتة سر الله في كل موجود المقصود اولا المبعوث اخرا الكائن مشكورا اولا لنعم الله
شاكرا محمد سيدا ولآياته الذي فتح به ديوان الرسالة وتمم به بنيان النبوة وشيد
بوجوده مباني المجد وقواعد الفتوة وعلى عترته المطهرين واهل بيته المتخلصين
عن ادناس البشرية الملتحفين باردية المعارف الالهية افضل الصلوات واكمل التسليمات
وبعد فيقول الملتجي الى عبادة ربه الكريم محمد المشتهر بصدر بن ابراهيم ان هذه نكات متعلقة باسرار
النور الذي قد انقسم عن بديع الحافظ في الانام والشرع المحسن نظم صدر الانام مبين ارشد تبيانه وتبلج الحق
من بيانه تحمي لبصر العمي واقتبس لوائح انواره واقتباس شوارد اسراره ولا يعد في ان يطلع احد على
ما لا يطلع عليه غيره وتكل نفس طالبة قسط من نور احد قل او كثر وكل احد مسكر حظ من اسرار الله بطن او ظهر
مما طالذي خطرات في خلال البلاد فطرح على صدره اثر من قدح علمه ازرا ما حمد الرشد ودنا الوهاج وصرا
على العموم ولا دوان وذرف الاحباء ولا اخوان من كسب شفق من دمع على بصري ما لوم كل غرر بعدهم انما
قصر عن سابق احد ولا اجتهاد ودعيت كشف الاسرار لنيل المراد على ما انا فيه من قلة البضاعة وقصر
الباع والقصور في الصناعة وعدم المتاع وما ادري على ان مرتاشة حاله ور كاكه رجاله مع ان العلما
قد نحوه الدهور وشوشه كالمور وفتنته مصض العناء واغراه شده اللاواء الركان بارهان نفسه تهما
شوبه الكرام فهاتها قرعه فيه سالما من انتحال البوغ وسنده ان الانوار تحيى فوكر عن اسمه الله نور
السموات والارض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح الآية تمهيد الاشارة في

تمس

تمس هذه الآية تمهيدا ان لفظ النور ليس موضوعا كما توهمه المحجوبون من علماء الرسوم واصحاب الكلام للعرض
الذي يقوم بالاجسام وهو الذي يوجد بانه لا لقياس لدرايتين دون من الحوادث الا فضل الوجود وطرح النور اسمه
اسما الله لكونه نور الانوار ومحقق الحقائق ومطلق الموجودات وموجب الماهيات ومطلق النور يطلق عند الجمهور
على معان كثيرة بعضها بالاشتراك وبعضها بالحقيقة والمجاز كنور الشمس ونور القمر ونور السراج ونور العقل ونور
الايمان ونور البصر ونور الياقوت ونور الذهب ونور الفيروزج واما عند الاشراقيين من معتمع كان الشيخ
شهاب الدين الكاشف لمعونتهم والمخرج لكنوزهم والمدون لعلومهم والمبين لرموزهم والمبرز لخفاياهم ودرج
اشاراتهم فهو حقيقة بسيطة ظاهرة بذاتها مظهرة لغيرها لعدم انحجابها وليس الا ما هو مجهول والحاصل لعدم رجوعه الى المواد
فلا لها موضوع حد ولا لها ما تعرف به لعدم خفائها وذهب بعضهم الى انها اظهر الاشياء لكونها متعارف
تعالى الله عن ذلك ولا كتاب فلا برهان عليه لدم البرهان على كل شيء فكم المعنى والعدم الاخ ان لها
كونه النور المقصود لغايته ظهورا وبروزا كان شده الظهور وعلته التجلي بالصفات منشاء الخفاء والمحجاب للنقاط
الظهور على المتجلي له لغاية القصور كما ثبت من حال عيون الخفاش عند تجلي النور الشديد الحسي الشمس على
اصدائها كما كان الحال في ادراك النور المحسوس فكذلك في النور العقلي البالغ حد النهاية في الشدة والقوة
وكان النور عند اكابر الصوفية انه عبارة عن ظهور المعنى كالسعادة من صفاتهم ومن نور الهيم الا الفوق
من ظهورهم مذهب الحكماء الاشراقيين ليس النور ولكن عنده الملك لا كان حقيقة بسيطة الا انها تارة يعرض
لها لذاتها التفاوت بالشدة والضعف والتعدد والكثرة بحسب المقامات والتشخصات ولا يختلف
بالوجه والمكنية والجوهرية والعرضية والغنى والافتقار واما عند هولاء الاعلام من الكرام فلا يعرض
لها في حد ذاتها هذه الاحكام بحسب تجلياتها وتعيناتها وشئونها واعتباراتها فحقيقة واحدة و
التعدد انما يعرض بحسب اختلاف المظاهر والمرائي والقوابل ولا تعدد لها بحسب الاحوال مهما صارت راجعا

لا التفاوت في الاصطلاحات وانحاء الاشارات والتفنن في التصريح والتعريض
منهم والاجمال والتفصيل مع الاتفاق منهم في الدعائم والاصول وما ذكره الشيخ محمد
الغزالي في مشكوة الانوار موافق لقول ائمة الحكمة وهو قوله النور عبارة عما يظهر
الاشياء تذكرة تفصيلية ثانية لقوله تعالى الله نور السموات والارض
وجوه كثيرة الاول ما ذكره اكثر مفسري الاسلام وعلماء العربية والكلام ومستندهم
قراءة امير المؤمنين علي عليه السلام وغيره انه قرأ الله نور السموات والارض بصيغة الماضي
يعني ذو نور السموات او صاحب نور السموات على مجاز الحذف او الحق نورهما على سبيل التشبيه
قال صاحب الكشاف شبهه بالنور في ظهوره وبيانه كقوله الله ولي الذين امنوا
يخرجهم من الظلمات الى النور اي من الباطل الى الحق واضاف النور الى السموات و
الارض لاحد معنيين اما للدلالة على سعة اشراقه وفشو اضاءته حتى تضيء له السموات
والارض واما ان يراد اهل السموات والارض وانهم يستضيئون به انتهى قوله فعلى هذا
يكون معنى قراءة صيغة الماضي ان الله نشر الحق وبسطه في السموات والارض او نور
قلوب اهلها بنور الحق وفي هذا الوجه يكون المراد من مثل نوره صنع الحق العجائب
التي بثها الله في العالم ويهدي الخلق بها الى طريق الخير ويكون التشبيهات التي وقعت بالمشكوة
والمصباح والزجاجة والزيت كلها لاثبات ظهور صنع الحق ووضوحها وكانه قيل
الحق الذي يهدينا الناس كنور في سراج اشتعل مصباحه بزيت صاف كان في
قنديل زجاجي شفاف في غاية اللطافة بحيث يكون في لطافته وزهرته شبيها باحد
الدراري المشهورة كالمشتري والزهرة وكانت الزجاجة في كوة غايرة في جدار

غير نافذة حتى لا ينتشر نور المصباح فلا محالة يكون النور في غاية الاضاءة والظهور
فكذلك الحق المنبث في العالم المنتشر في الخلائق ولا يبعد ان يراد بالنور في هذا الوجه
القران لانه مبين الحق يعني يهدي الله الخلق بكلامه المبين الذي هو حق مبين وقد سماه
الله نورا حيث قال وانزلنا اليكم نورا مبينا لان القران مظهر نور الحق والعرفان
منور قلوب اهل الايمان فيكون الحق نورا او القران مثله وقد شبه بالمصباح فالمصباح
كلام الله والزجاجة قلب العارف بانوار معانيه والمشكوة صدره والزيت امداد
الفيض الالهي الحاصل من الشجرة المباركة النبوية والنشاءة المقدسة المصطفوية
التي كملت اعتدالها وجامعيتها للنشاتين وتجردها عن العالمين غير مخصوصة
بشرق عالم الارواح ولا بغرب عالم الاشباح بل جامعة للطرفين ومرتفعة عن
الافقين في امداده وتنويره للقلوب بحيث يكاد ان ينورها ويكملها قبل ان
يستنبطوا المعارف من الكتاب بدقة عقولهم ويقتبسوا انوار العلوم من
مشكوة صدور المعلمين والمذكرين فلغاية بسط فيض الحق وشدة انارته لقلوب
السالكين والمجذوبين ينور قلوبهم ويضيء ارواحهم ولو لم تمسسه نار التعليم
البشري او نار الذهن المتوقد من زند الطبع الذكي ومقدحة الفكر الوجه
الثاني ما يوافق طريقة قدماء الصوفية وائمة السلوك والتصفية وهو المفهوم من فحوى
الاية الكريمة ومستندهم قراءة عبد الله بن مسعود كما ذكره الواحدي في الوسيط روا
عنه انه قرأ الله نور السموات والارض مثل نوره في قلب المؤمن وعلى هذا الوجه يكون المراد
من النور المذكور ما روي عن النبي صلى الله عليه وآله انه لما نزلت اية افمن شرح الله

صدره للاسلام فهو على نور من ربه سئل عنه صلى الله عليه وآله ما هذا الشرح فقال ان
النور اذا قذف في القلب انشرح له الصدر وانفسح قيل فهل لذلك من علامة قال نعم
التجافي عن دار الغرور والانابة الى دار الخلود والاستعداد للموت قبل نزوله فعلى
هذا شبه الله نور قلب المؤمن بمصباح لان المصباح قد حصل واستفاد من نور آخر فكذا
هذا النور قد قذف في قلبه وحصل واستفاد من النور المطلق الالهي والوجود القيومي والقلب
بمنزلة المشكوة والاحوال والمقامات الواردة فيه ما هام الله المحصلة الممدة لهذا
النور بمنزلة الزيت والاعمال والمعاملات الكثيرة البركات بمنزلة الشجرة المباركة ولكونها
حاصلة بين شرق القلب وغرب البدن غير مختصة باحدهما لا بالقلب كالعلوم العقلية
المحضة ولا بالبدن كالافعال الشهوية والغضبية فلا يكون شرقية ولا غربية والروح
النفساني بمثابة الزجاجة فيكون نظم الاية على هذا الوجه مثل نور هداية الله في قلب المؤمن
كمصباح واقع في زجاجة روح النفساني الواقع في مشكوة قلبه يضيء المصباح من زيت
الاحوال والمقامات التي يكاد يضيء في باطن وجود السالك ولو لم تمسسه نار
التجلي وهي منبعث من شجرة الاعمال الصالحة المباركة وهذا النور الاخير الذي هو نتيجة
الاعمال الصالحة وميراث المعاملات الخالصة مضاعف من النور الاول الذي هو نور
الهداية الواقع في البداية الداعي الى العبودية والطاعة فاذا انضم نور النهاية الى
نور البداية يكون نورا على نور الوجه الثالث ما ذكره متأخروا الصوفية
موافقا لاصحاب المكاشفات وارباب الاذواق والاشراقات وهو مبني على
قواعد الاشراقيين وحكماء الفرس والاقدمين ومطابقة الحديث النبوي حكاية عن

مراجه حيث سئل عن الرؤية فقال نوراني اراه اي هو تعالى نور فيمتنع تعلق الرؤية بها
فاطلق النور عليها وقد اشرنا الى التحقيق منه فيهم في النور وتوضيحه ان النور المحسوس
انما يطلق عليه هذا اللفظ لكونه ظاهرا بذاته ومظهرا لغيره واما خصوص كونه
محسوسا بالحس البصري وكونه مظهر المبصرات فلا مدخلية له فيما يوضع له لفظ النور
فليس النور المحسوس معنى هذا اللفظ ومفهومه بل هو احد موضوعات هذا اللفظ
ومفهومه حتى انه لو وجد في هذا العالم شيء آخر له هذه الخاصية يطلق عليه اللفظ ونظيره
ما ذكر في معنى الميزان من ان معناه ما يتوزن به الشيء سواء كان له عمود وكفتان ام لا
لكن غلب استعماله في هذا العالم على ما له عمود وكفتان فعلى ذلك يكون اطلاق النور
عليها من جهة انه مصداق معناه وموضوع مسماه لان ذاته ظاهر بذاته مظهر لغيره
مطلقا ولهذا اصطلح الاشراقيون على اطلاق نور الانوار عليها والنور
انه امر ذاتي غير خارج عن ذوات الانوار المجردة الواجبة والعقلية والنفسية الا
انه متفاوت في الكمال والنقص متدرج في الشدة والضعف واطلاقه على الذوات
النورية على سبيل التشكيك اذ لم يقم برهان على استحالة كون الذاتي مقولا على افراده
بالتشكيك وهكذا حقيقة النور لها مراتب متفاوتة في القوة والضعف والكمال و
النقص وغاية كماله النور الالهي وهو النور الغني ثم الانوار العالية المنقسمة الى العقلية و
النفسية ثم الانوار الفلكية المنقسمة الى الانوار الكوكبية والعنصرية والحق ان حقيقة النور
والوجود شيء واحد ووجود كل شيء هو ظهوره فعلى هذا يكون وجود الاجسام ايضا من مراتب
النور لكن الاشراقيين زعموا ان الاجسام غير ظاهرة بذواتها بل بالنور المحسوس العارض

ولعل السر فيه ان الموجود من الاجسام هو خصوصيات صورها النوعية ونفوسها وهيئاتها
التي هي من باب الوجود والنورية دون موادها وكمياتها التي هي كظلال ممدودة لا
وجود لها تأمل فيه وسيأتيك مزيد توضيح وتحقيق هذه المباحث يحتاج الى مجال
اوسع ولا يعلمها الا البارعون في الحكمتين مع زوائد الهمهم الله بها فعلى هذه
القواعد يكون معنى قوله الله نور السموات والارض بمنزلة معنى قولهم نور الانوار ووجود
الوجودات لما علمت ان حقيقة كل شيء هو وجوده الذي هو نوريته فزيد مثلا في الحقيقة
هو وجوده الخاص ونوريته الذي به يكون ظاهرا بذاته مظهرا لغيره الا ترى انه كيف يكون
النور الممكن ظاهرا بذاته مع انه يحتاج في وجوده الى موجد يفيد له الوجود والنورية لانا
نقول على قاعدة الاشراقيين يكون الانوار الجوهرية والعرضية مجعولة بالجعل البسيط
الابداعي فالجاعل لا يجعل النور نورا عندهم ولا يفيد النورية لما ليس بحسب جوهره و
ذاته نورا بل يفيد نفس الانوار ويثبتها فقولنا زيد موجود عندهم بمنزلة قولنا زيد زيد
في ان القضية ضرورية الا ان الفرق بينه وبين قولنا الواجب موجود ان هذه ضرورية
ازلية وهي ضرورية ذاتية وبين الضروريتين قد بين الفرق في علم الميزان والامكان
في الوجودات معناه سلب الضرورة الازلية لا سلب الضرورة الذاتية فلا ينافي
هذه الضرورة الافتقار الى العلة الجاعلة وبالجملة فالسموات والارض عبارة عن
وجوداتها الخاصة وانوارها المتعينة فهي بالحقيقة انوار متفاوتة المراتب والاعلى
اشد مراتب النور واجلى درجاتها فيكون نور السموات والارض بمنزلة نور الانوار وفلك
الافلاك واذا سبق الكلام على طورهم يكون المشبه بالمصباح هو النور المتجلي على جميع

الحقائق

الحقائق الامكانية وبالمشكوة هي المهيات السفلية وبالزجاجة المهيات العلوية
وبالزيت النفس الرحماني الذي هو الوجود المنبسط المحمول على الخلق والضوء الفائض
منه على قوالب الاشياء وهياكل الارض والسماء في سلسلة البدو والابداع هو المسمى
بالفيض الاقدس وبالشجرة المباركة الوجود والنور الفائض منه على المركبات و
الممتزجات حسب اوعية القابليات ومقامات الاستعدادات في سلسلة الرجوع الاستعدادي
المسمى بالفيض المقدس ووجه شبهه بالشجرة واضح لانه ذو شعب وجهات مختلفة و
شجون وافنان متكثرة وهذا الفيض غير مختص بشرق الاحدية المحضة ولا بغرب
الاعيان هذا النور المتجلي على حقائق الاشياء نور لانه نور عال واحد مفيض للنور
الى قبل الممكن يهدي الله لنوره اي لتجلي وجوده القيومي من يشاء فيتجلى له ويخرج
من ظلمة العدم البحت الى نور الوجود الصرف وللآية وجوه تفسيرية اخرى سيرد عليك بعضها
ان شاء الله بعدها عند تحقيق معاني الفاظها مفصلة فانتظرها مترقبا لانوارها مجتنيا
لثمارها تفريع فعلى الوجهين الاخيرين من هذه الوجوه الثلثة لا يكون اطلاق النور
على الواجب تعالى على سبيل التجوز والتشبيه كما ذكره متكلموا الاسلاميين وجمهور المفسرين
من انه شبه الحق بالنور او اريد بالنور ههنا المنور على انهم لو تفطنوا بمعنى هذا
المشتق لحكموا بان كونه تعالى منورا بالحقيقة مما يستلزم كونه نورا بالحقيقة وذلك لان
كل فاعل بالذات لمعنى كمالي وجودي لابد وان يوجد فيه ذلك المعنى الكمالي اذ
المعطي للكمال لا يكون قاصرا عنه كما حكم به الوجدان وطابقه البرهان فاذا وجد فيه
معنى النور فاما ان يكون عين ذاته او زائدا على ذاته والثاني يوجب افتقاره تعالى

لا بسبب تعيض على معنى النور لان الاتصاف بعرض زائد انما يكون بجهة القبول والاستفادة وهو غير
جهة الايجاد والافادة فلو كان ذاته منور الذات لزم ان يكون ذاته قابلا وفاعلا فلا يكون
بسيطا حقيقيا وقد ثبت بساطته وواحديته وتقدسه عن شوائب التركيب كلها هف وايضا يلزم
ان يكون ذاته انور من ذاته وهو محال ولو كان مبدا نورانيته غير ذاته يكون ممكنا من الممكنات
فيلزم افتقار الواجب الى الممكن في صفة كمالية ومن انكر كون النور كمالا للموجود بما هو موجود فليداو
عقله لو كان متوقفا ولو كان مكابرا فالله يجزيه حيث خالف بما علم من تامل علم ان الوجود
والنور متحدان في المعنى والحقيقة متغايران في اللفظ ولا شك ان الوجود خير وكمال لكل موجود
من حيث هو موجود والواجب بحت الوجود فيكون محض النور فقد ثبت وتحقق ان النور بعين حقيقة الواجب
الوجود جل مجده فصل واما معنى اضافته الى السموات والارض فهو بمنزلة قولك نور الانوار
ووجود الوجودات فان وجود كل شيء عبارة عن نوره يظهر به في ذلك الشيء وذاته فالله منشئ الانوار
بنفس ذاته النورية وجاعلها جعلا بسيطا مفاده ترتب ذات المجعول وهويته التي هي عين
انيته فعلى هذا كان ذاته موجد الموجودات فكذلك منشئ الاشياء ومذوت الذوات
ثم لما كان ذاته موجد ذات كل ممكن ليست الا وجودا خاصا يوجد المهية وبه يطرد العدم
عنها وتتصف بالموجودية المصدرية عند العقل الحق في ملاحظته لها المتاصل في التحقق هو
وجود كل شيء الذي هو حقيقته والمهية حالة انتزاعية عقلية متصفة بصبغ الوجود منورة بنوره
فموجد الاشياء بالحقيقة موجد انياتها اي هوياتها وجاعلها اي البسيط وجعلا معد سائغ
التركيب غير متسع لامرين مجعول ومجعول اليه ثم اذا كانت موجودية الاشياء كما علمت ليست
باتصاف المهية بالوجود بل بابداع المبدع تعالى وجوداتها وتاثيره اياها على النحو الذي مر ذكره

فيكون

فيكون الله تعالى وجود الوجودات فاذا كان الله وجود الوجودات فلا يكون للموجودات تحصل
الا به ولا هوية لها الا بهويته ثم ليست هوية البارى متقومة بها والا لزم الدور وافتقار
الواجب الى الممكن وكلاهما محالان لان فيكون الموجود بالحقيقة هو الحق تعالى لا غير ويكون موجودية
غيره باعتبار اخذها معه فيكون من قبيل الاظلال والاشباح التي ترى في المرائي الصيقلية بتبعية
الشخص الخارجي فالمهيات كلها بمنزلة المرائي التي ترى فيها صورة الوجود الحقيقي لعدميتها كعدمية
لون المرآة ولهذا المعنى قال الحلاج الله مصدر الموجودات وقال بعضهم الله وجود السموات
والارض واليه يرجع قول الشبلي ما في الجبة احد سوى الله تعالى وكانه اراد بالجبة ههنا الوجود
المتاصل الحقيقي لانه الخير المحض يوثر عند الكل واليه يشير قول ابي العباس ليس في
الدارين الا ربي وان الموجودات كلها معدومة الا وجوده تعالى ويؤيد ذلك قول امير المؤمنين
على عليه السلم لا اعبد ربا لم اره ويقوى ذلك قول خاتم الانبياء صلوات الله عليه واله
لا راحة للمؤمن من دون لقاء الله حكمة عرشية كان الموجود حيثما قرع سمعك في الحكمة
المشهورة اما جوهر واما عرض ومنها الجوهر والعرض المشهور لكن فاعلم ان في الموجود جوهرا
وعرضا حقيقيين غير ذينك المشهورين فان ذينك المفهومين من اقسام المهيات والاعيان
الثابتة التي ما شمت رائحة الوجود وهذان من اقسام الوجود فالجوهر بحسب المشهور مهية
غير الوجود حقها في انها يكون موجودة اي متحدة مع مفهوم الموجود العقلي الذي من المفهومات
العامة الشاملة ان لا يكون في موضوع اي معناه ليس نعتا لمعنى آخر والعرض هو المهية التي يكون
بحسب وجودها العيني وعند موجوديتها العينية نعتا لشيء آخر فهما مفهومان عقليان و
موضوعاهما مهيتان عقليتان واما الجوهر والعرض الحقيقيان فالجوهر الحقيقي هو الموجود

المستقل الذي هو ذاته وهويته موجود ووجود واجب لذاته من غير علاقة بشيء آخر وكونه هو هو ونور الله
والوجه الحقيقي هو الذي تحقق بحسب ذاته وهويته يستقل بغيره وهو معنى تحقق هو بلا غيره وتحقق هو هو بغيره
بغيره فلا يمكن تحققه مع قطع النظر عما سواه منضور انفصالا عن أن يكون موجودا ابداعه عبارة عن المعدوم
بالغير الا الذي يمكن ذلك المعنى فما وصف بالافتقار الى الغير مطلقا موضوعا كان كالعرض او الجوهر المشهور
او مادة كالصورة الجوهرية المتعلقة بالمادة او صورة كالمادة او بها حيث كالنفس المتعلقة [illegible] او فاعلا
او غاية كالوساير الاقسام فالوجه حظ ذاته هو هذا المعنى حقيقة ولم يطلق عليه اسم التسمية بحسب الوضع
حيث لم يرد الاطلاق هذا اللفظ عليه تعالى في الشرع الا انه في هذا المعنى ما ذكرناه من المعروف كان نعرفه
النور والوجه المعنى الحقيقي الذي ذكرناه هو وجودات الممكنات كلها اعراض بانه هو وجود الحق تعالى قائم
بغير الوجه الجوهر حيث انه يتساعف المشهور بين الجمهور لعدم كونه قائما بمحل الحوادث كما ذهب اليه بعض
المتكلمين او محل الصور العلمية كما ذهب اليه جمهور المشائين من الحكماء بل هو امر اقوم من القيام [illegible]
والعبارة قاصرة عن بيانه ولا [illegible] الاشارة في لسان [illegible] عن ادراكه [illegible] وجله
العقول فيه [illegible] الاشياء [illegible] عبارة عن [illegible] وتشبيه [illegible] ما روي عن كعب
الاحبار في تفسير لفظ الله حيث قال انه عبارة عن وجوده ولوازمه واسمائه الحسنى ومظاهرها
من المهيات واعيان الممكنات التي وقع عليها كلها رشحات وجود الحق ولمعات نوره وظلاله
المعبر عنها بالسموات والارض وقريب من هذا المعنى ما [illegible] في مرموز [illegible] ان اصل السماوات والارض
وحقيقتهما عبارة عن نور محمد صلى الله عليه وآله وسلم [illegible] لعنه الله [illegible] شرح لهذا المعنى ان شاء الله
لمعة شرائفه قد مر ان النور حقيقة بسيطة معناها المتحقق [illegible] الاسم اسم الظاهر بذاته المظهر
لغيره وقد [illegible] ان حقيقة النور مما لا يتعلق بها الاشارة الحضورية دون حصول صورة منها

في الذهن

في الذهن لان كل صورة ذهنية فهي يمكن كلية ابدا ولو تخصص بالف مخصص فيكون مبهما و
المبهم لا يمكن [illegible] ظاهرا في نفسه وعلى فرض تخصصه يحتاج في ظهوره وتعينه الى ذلك
المخصص فلا يكون ظهوره عين ذاته فلا يكون ظاهرا بذاته مظهرا لغيره هف والحاصل ان كلما هو
غير النور فهو في ذاته مظلم في جوهره ظاهر بالنور مستضئ به فكيف يكون هو مظهر النور
ومعرفا كاشفا له فتحقق ان الله تعالى هو ظاهر بذاته اذ ذاته عين ظهور ذاته لذاته
وعين ظهور جميع الاشياء اذ ذاته مظهر ما هو مكمن الخفاء موجد ما هو كتم العدم الى عالم الوجود
فبذاته النيرة بنور غسق الماهيات المظلمة الذوات وينتشر النور في اجواء الهويات
ويطلع شمس عظمته على آفاق حقائق الممكنات ويطرد العدم والظلمة عن اقاليم المعاني
والمعقولات فلو لم يكن طلوع ذاته النيرة في آفاق هويات الممكنات واشراق نوره
على السموات والارض وما فيهما لم يكن لذرة من الذرات وجود ولا لاحد من الموجودات
حصول لا في العقل ولا في العين وفي الحديث النبوي المصطفوي على قائله وآله اكرم
كرايم تسليمات الله تعالى ان الله تعالى خلق الخلق في ظلمة ثم رش عليهم من نوره وبهذه
الحقيقة ينكشف معنى قوله سبحانه يدبر الامر من السماء الى الارض وقوله ان ربك
علام الغيوب فان التدبير من الله عين اشراق نور الوجود منه في ابداعه للاشياء
على وجه الحكمة والمصلحة وكذا عالميته بالغيوب عين ايجاده للاشياء المستورة في ذاتها
المعقولة لنفس الايجاد والذي هو ضرب من التعقل في حقه كما راه الاشراقيون اذ ليس
وجود الاشياء عنه متراخيا عن ارادته لها ومشيته ولا ارادته للاشياء التي هي عين
علمه التفصيلي بوجودها متاخرة عنه وجوده لها بل اوجد الموجودات معقولة اياه وعقل

المعقولات موجودة له تعالى وهذا معنى كونه عالماً فعلياً عندهم فالحاصل عندهم ان علمه الذي
هو عين ذاته سبب لوجود الاشياء التي هي عبارة عن معلولاته وباشراق نوره عليها فهو
الذي في السماء اله وفي الارض اله ففي هذه الآية الكشف معنى قوله تعالى الله نور السموات
والارض تأبيد استكشافي قال شيخ هذا الطريق النور هو الذي نور قلوب
العارفين بتوحيده وانار اسرار المحبين بتأييده وقيل هو الذي يهدي القلوب الى
ايثار الحق واصطفائه ويهدي الاسرار الى مناجاته واجتبائه واليه الاشارة بقوله سبحانه
الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور اي من الباطل الى الحق ومن العبد
الى الرب ومن البعد الى القرب ومن الاسفل الى الاعلى ومن الهاوية الى الجنان كشف
استناري اعلم ان لله تعالى اسماء متقابلة لازمة لذاته كالاول والآخر والظاهر
والباطن والهادي والمضل والمعز والمذل فله بحسب احدية وجوده الواجبي من كل
صفتين متقابلتين اثر فيهما بحسب كمال ذاته ورتبة وجهه وانما يصدق الطرف
المقابل عليه بحسب مقابلة عظمة ذاته وجلاله لما من دونه وقهره على ما سواه فالاسماء
والصفات الجمالية انما تثبت له اولاً وبالذات والاسماء والصفات الجلالية
يصدق عليه ثانياً وبالعرض من باب الضروري الذي يذكر في بحث العلل الغائية التي هي
الفاعل لفاعلية الفاعل وبهذا الاصل تحفظ قاعدة استحالة كون الخير المحض مبدأ
للشرور وبه ازاح استاد الحكماء ومقدم المشائين ارسطاطاليس شبهة الثنوية القائلة
بتعدد الفاعل الاول للكل فكل ممكن مزدوج الحقيقة من جهة كمالية نورية ناشئة
من الصفات الجمالية النورية ومن جهة نقصانية عدمية ظلمانية ناشئة من الصفات

القهرية الجلالية النارية فمن هذين الاصلين نشاء النور المجرد والنار الابليسي الشارقين
في سموات الارواح والروحانيات وارض الاجسام والجسمانيات والله تعالى
منور الكل بنور وجوده وجماله ونار هيبته وجلاله كما اشار اليه بقوله الله ولي الذين
آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور فالله نور السموات والارض بانوار كواكب اسمائه
النورية الجمالية المشرقة في سماء حقيقة ذاته وشعله نيران الجواهر النيرة في آفاق ملكوته
وجبروته فالموجودات كلها مسخرة لها بين الصفتين متقلبة بين الاصبعين فالعرش وما حواه
بين صفتين من صفات السبحاني والقلب وما حواه بين اصبعين من اصابع الرحمن
اللتين كانتا في رتبة صفتي لطف وقهر وفي مقام اوج جوهري عقل ونفس وفي
درجة اوفي حالتي بسط وقبض وظلها في العالم سماء وارض وفي الكواكب
سعود ونحوس وفي الآفاق شرق وغرب وفي الحيوان ذكر وانثى وفي الطعوم
حلاوة ومرارة وفي اللون سواد وبياض وفي الكم متصل ومنفصل وفي المقدار
قار وغير قار وفي الخط مستقيم ومعوج وفي السطح مستو ومنحن وفي العدد منطق
واصم وفي المذهب هداية وضلالة وفي الاعتقاد حق وباطل وفي النفس اقبال
وادبار وفي القلب بصيرة وعمى وفي الآخرة نعيم وجحيم وفي الدنيا دولة ونكبة
وفي الباطن الهام ووسوسة الى غير ذلك من المزاوجات السارية في جميع الذراري
النازلة من سماء عالم الوحدة الى ارض عالم الكثرة والهيولى لقوله تعالى ومن كل شيء
خلقنا زوجين وقل من العلماء من لم يزل قدمه في شرح تفاصيل هذه المراتب
المزدوجة المتنزلة من شرق سماء العظمة والكبرياء الى المهبط الادنى وحضيض

الارض السفلى ثم المرتقية الى عالم الاسماء والقيامة العظمى التي يحشر فيها الاشياء الى الرب تعالى
وكل آتيه يوم القيمة فردا فصل في قوله جل اسمه مثل نوره كمشكوة فيها مصباح المصباح
في زجاجة هذا عبد بلغ في عبوديته وسلوكه طريق الانابة الى مقام يشاهد بالمشاعر
العقلية نور وجه الله وراءه كما يرى بالمشاعر البصرية نور المصباح من وراء زجاجة
واقعة في مشكاة مما يرى الزجاجة هذا النور هو محمد رسول الله صلى الله عليه وآله ولا يرى مشاهدة
النور كما هي لغاية شدته وقوته التي تقهر الابصار وتبهر الالباب الخلق كما تحتاج المحمدي اذ به يعرف
مصباح نوره سبحانه قبل صباح ظهوره ولو اردت بيان نسبة المصباح الى النور والصباح الى
الظهور فقل هو الله فهو لك هو الله لمعان من ضوء ومحمول الحمل كون من اي تحاد في الذات والوجود لكم
لو نظرت نظرا عقليا في مصداق هذا الحمل وجدت هو الله شيئا واحدا وذاتا واحدة يعبر عنها تارة
بالوجود الواجبي والذات الاحدية وتارة بالمسمى لجميع الصفات الكمالية والاسماء الحسنى ومصداق المشتقات
المذكورات جسم بسيط واحد يحكم احدى المشتقين هوية وبالاخرى آلية كما احد الاعتبارين وجود وباعتبار
او اسم وصفة وكالة المصباح في عالم المشاهدة البصرية شيء واحد محسوس واحد يحكم عليه تارة بانه كلي امرين
نور وهو بمنزلة الوجود المطلق وحامل صنوبري هو بمنزلة الاسم الله في الواجب تعالى هذا اذا كان الممثل له في
المصباح هو الله تعالى واما اذا كان ذاتا امكانية كذات الرسول صلى الله عليه وآله خاصة لامرين
مسمى له الوجود والاثر بمنزلة المهية في الممكن والفرق بين الموضع المثلثة للصعود والموصوف في المصباح
ان النور والصنوبرة متغايران حسا وعقلا ووصفا متغايران وجودا وعقلا ومنا ان انهما في
الممكن المهية والوجود متحدان وجودا وعينا متغايران عقلا ونسبة وفي الواجب تعالى ما بمنزلة الوجود
في الممكن والنور في المصباح وهو المسمى بالهوية عين ما هو بمنزلة المهية والحامل وهو المسمى بالاسم الله لا فرق

الافق

الا في العبارة فالمصباح مثال لله تعالى ونوره مثال للهوية الاحدية فلو لم يكن للنور
المصباح حامل ذو تعين وضعي لا تشخص منه جهة قرب وبعد في الهواء الذي يستنير منه
شدة وضعفا فلم يقع منه نور على شيء من هواء البيت وجدرانه وسقفه لعدم النسبة
بالرجحان وعدمه والاولوية وعدمها ولا يتأتى له الترجيح من غير مرجح فلذلك لو لم يكن
للحق اسماء يقع منها آثار مخصوصة على المظاهر والمجالي بحسب ما يقتضيه تعين كل اسم عن
اسم آخر لم يصدر عنه في عالم الايجاد شيء من الممكنات اذ لا اولوية لممكن ما ولا رجحان
له على ممكن آخر بحسب الجهة الامكانية فان المهيات الامكانية والمعاني الكلية التي هي غير
الوجود في درجة واحدة بحسب الذات في قبول نور الوجود وعدم قبوله بل المعين
لكل منها في مقام خاص ودرجة معينة انما هو ذات الواجب بما يلزمها من الاسماء و
الصفات المنبعثة عن حاق هويته الالهية وشمس حقيقته الواجبية النافذ نورها في جميع
ما بها كل الممكنات البسائط فيضها على ابواب جميع المهيات كان اول من قرع باب
الاستنارة بنور الله واول من نطق بلا اله الا الله هو العبد الاعلى والعقل الاول
والملك الاشرف والحقيقة المحمدية فهو مصباح نور الله وبتوسطه تقبل الاستضاءة و
الاستنارة جميع المهيات الواقعة في فضاء قابلية الوجود والهويات الساكنة في هواء
بيوت اهل المحبة والعبودية لمبدع الوجود الفائض لنور الخير والجود فذات النبي
صلى الله عليه وآله كالمرآة المصقولة التي يحاذي بها وجه الله الاعظم وتوازي شطر الحق
فتجلى لها وجه ربك ذو الجلال والاكرام تفريع فكل من صحت نسبته اليه من فقراء
امته سابقا ولاحقا انعكس نور الحق من ايته اليه وهذا معنى الشفاعة التي

يكون جميع الناس محتاجين اليها يوم القيمة حتى الانبياء والاولياء سلفا وخلفا وجوه
يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة واعلم ان الغرض الاصلي من العبادات والرياضات
هو تصفية وجه الذات والمحاذات بالقلوب الصافية شطر نور الحق الاحد خلف
زجاجة احمد صلى الله عليه ليشاهد نور الله ويقع عليه ضوء معرفة الله وهذا معنى ما قال
اويس القرني رضه للعبد ان يكون عيشه كعيشة الرب ولما ذكرنا يرجع حاصل معنى
العبودية التامة وقد سئل عن بعض اصحاب القلوب ما العبودية فقال اذا صرت
حرا فانت عبد ومعناه انك اذا تجردت وخلصت عن التعلقات وتصفى قلبك
عن الكدورات فصرت عبد الله ملكا ومالكا لجميع الاشياء بقوة الله وقدرته وملكه
فقد منّ الله اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم ومما ورد في هذا المعنى عن رسول الله صلعم
في خبر اهل الجنة انه ياتي اليهم الملك بعد ان يستاذن عنهم للدخول عليهم فاذا دخل
ناولهم كتابا من عند الله فاذا في الكتاب لكل انسان يخاطبه به من الحي القيوم الى
الحي القيوم اما بعد فاني اقول للشئ كن فيكون وقد جعلتك اليوم تقول للشئ كن
فيكون فقال صلى الله عليه وآله فلا يقول احد من اهل الجنة لشئ كن الا ويكون
تنبيه ولكنك يا مسكين يجب ان تعلم التميز بين المرآة والشخص وتفرق الظل من
الاصل وقد نبهناك عليه قبل ذلك لئلا تقع فيما وقع فيه كثير من اهل الضلال و
النكال واصحاب الحلول والاتحاد فما للتراب ورب الارباب وما رميت اذ رميت
ولكن الله رمى فاذا خوطب سيد الابرار وقايد الاخيار صلى الله عليه وآله بقوله
تعالى انك لا تهدي من احببت فما يكون لامثالك ونظرائك ثم في التعبير عن تلك المرتبة

بالامانة

بالامانة في قوله عز جاره انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فابين ان
ان يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا اشعار لطيف
بما ذكر فان الامانة مردودة الى صاحبها بل كل صفة وجودية وكمال نوري
افاضه الله على ممكن من الممكنات ومهية من المهيات فهو امانة من الله عنده وليس
الا الانصباغ بنوره والمجاورة معه والاصطفاف به لا الاتصاف بالحقيقة
ولهذا انسلخ عنه عند اداء الامانات ورجوع الكل اليه الا الى الله تصير الامور و
الى هذا المعنى اشار ابو سعيد الخراز حيث قال علامة المرء في الفناء ذهاب حظه عن
الدنيا والآخرة الا من الله سبحانه ثم يبدو باد ايضا فيريه ذهاب وجود نفسه وحظ
رؤيته من الله ويبقى رؤية ما كان لله من الله فينفرد العبد من فردية فاذا كان
كذلك فلا يكون مع الله غير الله فيبقى الله الواحد الصمد في الابدية كما كان في الازلية
هذا الكلام وهو تمام في فحواه لمن كان له سمع يسمع اياته وعقل يفهم توحيده وبصر
يرى قدرته ونفوذ امره في عالم الملك والملكوت والغيب والشهادة طريق اخر
روي عن بعض السالكين من المعتبرين ان المشكوة هو الصدر والزجاجة هو القلب والمصباح
هو الروح وهذا ادراكه جلي واضح لكن ينبغي ان يعلم ان لكل من هذه الثلثة اي
الصدر والقلب والروح مراتب ثلث اوليها ظاهرة مكشوفة لكل احد لكونها من عالم
الحس الظاهري وثانيها مستورة عن الحس الظاهر مكشوفة للحس الباطن وثالثها مستورة
عنهما جميعا مكشوفة للعقل النظري واما مراتب اخرى ليس ههنا موضع بيانها فالمرتبة
الاولى اما من الصدر فهي هذا المركب من العظام والاغشية والرباطات المحيطة بجرم الكبد

وكان المراد به هو الكبد لكونه محل الروح الطبيعي واما من القلب فهو اللحم الصنوبري
واما من الروح فهو جسم لطيف حار هو مركب النفس الحيوانية المدركة للجزئيات لاجل
الحركات الشهوية والغضبية واما المرتبة الثانية من كل منها ففي الصدر الروح الطبيعي
ومن القلب الروح الحيواني المذكور ومن الروح الروح النفساني البشري الذي تتعلق به
وتستعمله النفس الانسانية المتفكرة في المقاصد الجمهورية والمتروية في التدابير البشرية
بحسب المعاش والمعاد والدنيا والاخرة على ما يقتضيه العقل العملي المشترك فيه بين
الناس المتفق عليه العام والخاص عند تخليته عن العوائق والوساوس وسلامته عن
القواطع والنوازع فهذه الارواح الثلثة اي الطبيعي والحيواني والنفساني التي يبحث
عنها الاطباء ويسمى عندهم بالارواح ويتميز عندهم بالقيود الثلثة وتتفاوت
جسميتها في اللطافة شدة وضعفا وفي كمال الاعتدال ونقصه ولكل منها مولد ومنشا
خاص فمنبع الروح النفساني الدماغ وهو اعدل الارواح ومنشا الروح الحيواني القلب
الصنوبري وهو متوسط في كمال الاعتدال ومولد الروح الطبيعي الكبد وهو ابعد جميعها عن
الاعتدال وهذه الارواح الثلثة اشرف الاجسام العنصرية حتى كادت لتشبه الافلاك
واما عند العرفاء فاساميها ما ذكر من الصدر والقلب والروح بحسب هذه الاسماء
في المرتبة المتوسط واما المرتبة الثانية فالصدر بحسب هذه المرتبة هو النفس الحيوانية التي
يستعملها القلب الانساني وهو في هذا المقام عبارة عن النفس الناطقة المذكورة والعقل
العملي المذكور والروح عبارة عن العقل المستفاد المشاهد للمعقولات عند اتصالها
بالعقل الفعال وهو الملك المقدس وهو قلم الحق كتب في الواح قلوبنا حقائق الايمان

لقو

لقوله تعالى اقرأ وربك الاكرم الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم فهذه الثلثة وهذه
المرتبة يكون من عالم الاخرة وعالم الغيب وعالم الملكوت وفي المرتبة الاولى كانت من
عالم الدنيا وعالم الشهادة وعالم الملك وفي المرتبة المتوسط تقع متوسطا بين العالمين
برزخا بين النشأتين من قبيل عالم الافلاك الذي قيل انه الاعراف والقلب بهذا المعنى
الاخير هو الذي ورد انه عرش الله مستوى اسم الرحمن لكونه محل معرفة الله وملكوته
على سبيل الاستقامة من غير اعوجاج ولا الحاد حين في عظمة ذاته وصفاته واسمائه
وافعاله وكتبه ورسله واليوم الآخر الذي هو يوم مراجعة الخلائق اليه واعادة
الارواح ومثولها بين يديه والصدر هو الكرسي ونسبة العرش الى الكرسي كنسبة
العقل الى النفس والقضاء الى القدر اذ المعقولات كلها مجملة في القضاء مفصلة
في القدر وكذا الانوار الكوكبية متصلة واحدة في العرش لغاية صفائه ولطافته
وكونه مصاقبا لافق عالم المعنى والملكوت وهي منفصلة متجزية في الكرسي لكون
فلك الكواكب في اللطافة دون فلك العرش فصل في قوله عز اسمه توقد
من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية اعلم ان هذه الشجرة ليست من اشجار الدنيا
وعالم الحس كما ظنه المحجوبون والا لكانت في جانب الدنيا قابلة للاشارة الحسية
وانها ليست كذلك فليست في الدنيا ولا في الآخرة ايضا كما ذهب اليه قوم او في
الحس البصري لو كانت هذه الشجرة في الدنيا لكانت اما شرقية واما غربية ولكن
والله ما في الدنيا ولا في الجنة انما مثل ضربه الله لنوره وكثيرا ما تكون لشيء واحد
اسامي كثيرة باعتبارات متعددة بكون المقصود من الكل معنى واحدا ولذا تعددت

الالفاظ وتكثرت الحيثيات وربما يكون لحقيقة واحدة درجات متفاوتة في العوالم
المتطابقة المتحاذية بعضها فوق بعض كالقلب الذي ظاهره جسم مركب من العناصر
الاربعة ثم من الاخلاط ثم من الاشباح مثل الشحم واللحم والعصب والعروق وما شاكلها
وظاهر ظاهره شكل صنوبري او مخروطي محسوس وباطن ظاهره تجويف ظلماني اسود وباطنه
روح بخاري حاصل من لطائف الاخلاط وبخاريتها كما ان هذا الظاهر حاصل من
الاخلاط واراضيها ونسبة هذا الى ذلك كنسبة الارض الى السماء ولباطنه باطن
هو النفس الحيوانية وهو قشر ظاهر للنفس الانسانية الناطقة ونسبته الى هذه النفس كنسبة البدن
اليه ثم لباطن باطنه باطن يكون جميع ما سبق ذكرها قشورا بالقياس اليه وهو محيط بها
احاطة العرش بما فيه من السماء والعرش وهو الجوهر العقلي الذي كان مفاضا على النفس من
المبدا الفعال وهو في اول تكونه كان بمنزلة المعاني الذهنية والمفهومات الكلية العقلية
ونسبته الى العقل الفعال نسبة المني الى الرجال ثم يتدرج في قوة الوجود العقلي الى
درجة العقل بالملكة الذي يدرك بها المقدمات الاوليات ويتفطن للمشاركات و
المباينات ويتنبه للتصورات والتصديقات الماخوذة من المحسوسات ثم الى درجة
العقل بالفعل الذي يدرك به النظريات وحدود الماهيات وبراهين الموجودات
ثم الى درجة العقل المستفاد المشاهد لصور المعقولات في القلم الاعلى واللوح المحفوظ
ثم ينخرط في سلك الملائكة المقربين والاتحاد معهم اتحادا نوريا مقدسا من شوائب
التصورات والنقص فهذه كلها مراحل مراتب القلب الانساني في الصعود من ارض
الجسمية الى سماء اللاهوتية فعلى هذا فقس غيره من الحقائق المستعملة الفاظها عند اهل

الشريعه

الشريعة والحقيقة مطلقا وفي هذه الآية خاصة فالشجرة الزيتونة عند المحجوبين المقتصرين على
اول الدرجات للحقائق وادنى العوالم للمعاني شجرة منبتها الشام وغيرها واجود الزيتون
زيتون الشام وهي مباركة لانها كثيرة المنافع او لانها تنبت في الارض التي بورك
للعالمين او بورك فيها حيث دفن فيها اجساد سبعين نبيا منهم ابرهيم عليه السلام وعن
النبي صلى الله عليه وآله عليكم بهذه الشجرة زيت الزيتون فتداووا به فانه مصحة من
الباسور ومنبتها لا شرقية ولا غربية لان الشام متوسط بين شرق العالم وغربه اي
الربع المعمور للارض المكشوف من البحر الذي احد جانبيه في الطول وهو نصف دائرة
عظيمة في الارض الجزيرة الخالدات الواقعة في جانب الغرب وكانت مكشوفة في
قديم الزمان والآن مغمورة فيه والجانب الآخر منتهى عند ساحل البحر في جانب الشرق
وقيل لا في مضحى ولا في مقناة ولكن الشمس والظل يتعاقبان عليها وذلك اجود
لحملها واصفى لدهنها قال رسول الله صلى الله عليه وآله لا خير في شجرة في مقناة ولا
خير فيها في مضحى ويستفاد من هذين القولين انها شجرة واقعة في افق قبة الارض
وهو في اصطلاح اهل الهيئة والنجوم موضع من الارض طوله تسعين درجة وعرضه
عرض وسط الاقاليم او منتصف الربع للدور اعني خمسة واربعين اذ القول الاول
مشعر بتوسط موضعها في الطول بين مطلع الشمس ومغربها في الارض المعمورة والقول
الثاني مشعر بكونه متوسطا في غاية انحطاطها في المواضع المعمورة او يكون النهار
فيه متوسطا بين غاية الطول في العرض واقعا بين غاية ارتفاع الشمس في نصف النهار
الاطول وغاية القصر في جميع السنة كمواضع خط الاستواء وما يليه فهذا معنى الشجرة

الربوبية حسبما وصل اليه افهام الجمهور بحسب ظهورها في مظاهر هذا العالم ووجودها
في صور كسدرة الاجرام ومعدن الظلام واما بحقيقتها بحسب النشأة الاخرى عند اهل البشارة
فوقع اليه اشارات قرآنية ورموز نبوية متفاوتة حسب مقامات العارفين ودرجات
المتذكرين فتارة يعبر عنها بشجرة طوبى وتارة بسدرة المنتهى عندها جنة المأوى وتارة
بمقام ابيت عند ربي يطعمني ويسقيني وتارة بشجرة موسى شجرة تخرج من طور سيناء تنبت
بالدهن وصبغ للآكلين وهي المطالب العلية البرهانية النورانية وصبغ الخطابات
والمواعظ الحسنة المقبولة للعقول المتعارفة تظليل في شيء فيه تنوير عن
قد تبين لك بما قرع سمعك ان للقوة الانسانية التي تكون اول نشأتها في القلب
اللحمي الصنوبري الشكل المخروطي الوضع درجات متفاوتة في الارتقاء الى الكمال ولها
تطورات في الاحوال وانما ينكشف ذلك بان يعتبر اولا القلب واحواله وهو بالحقيقة
اول عضو يتكون في البدن ويتحرك وآخر عضو يفقد ويسكن بل هو بالحقيقة
البدن الحيواني الذي يستعمله النفس بتوسط ما ينبعث عنه من البخار اللطيف وباقي الاعضاء
تراد لاجله وتولد لصيانته لانها بمنزلة الغلافات والقشور الصائنة للب القلب و
الآلات الخادمة له الحافظة اياه ولذلك تكون واقعة في وسط البدن وهو وان
كان في الصورة محاطا بها وفي الكمية اصغر منها الا انه في القوة والمعنى محيط بها
مستعمل اياها بوجودها وفاعلها وحافظ لقواها يتولد منه بخار لطيف هو الروح
الحيواني عند الاطباء ثم يتولد منه روح اخر ابخاري الطف منه وهو الروح النفساني
ثم يتولد منه النفس النباتية وهي قوة ومبدأ للتغذية والتنمية والتوليد ثم النفس

الحيوانية واول مراتبها القوة اللمسية كما في الدود والحلزونات ونظائرها من الحيوانات
الخالية
العديمة الرؤوس ثم يتولد النفوس الحسية على طبقاتها ثم النفوس الخيالية على طبقاتها
ثم النفوس الوهمانية كذلك وهذه اقصى درجات النفوس الحيوانية بما هي حيوانية
ثم يتكون النفس الناطقة الملكية وهي نور من انوار الله المعنوية طلع على افق عالم الصورة
وهي اول منزع باب الملكوت فاول درجتها العقل الهيولاني وهو بذر شجرة
العقل والعرفان وحبة ثمرة المعرفة والايمان ثم يتكون منه العقل الاستعدادي
ثم العقل بالفعل ثم المستفاد المعبر عنه بالمعاد ثم العقل الفعال للمعقولات و
الانوار والفياض لوجود الحقائق والاسرار فاذا علمت هذا ومراتب
الانسان ونشوءه وسلوكه في درجات الابدان والنفوس والعقول الى ان يبلغ في
الارتفاع الى اقصى الغايات التي نزل منها فاعلم هذا في مراتب ما يتغذى به
ادويه
ويتقوى منه ويستكمل ويترقى فله في كل مقام اغذية خاصة وقوابين معينة و
ازواج معلومة بعضها من باب الاجسام والجسمانيات وبعضها من باب الحواس
والمحسوسات وبعضها من الاوهام والخيالات والظنون والاعتقادات وبعضها
من باب العقول والمعقولات وبعضها من باب الشهود والمشاهدات فما دام
الانسان في عالم الدنيا والجسمية فلابد له من غذاء يشبه المتغذى صورة ومادة
وقوة فيتغذى الصورة بالصورة والمادة بالمادة والقوة بالقوة والحس
بالمحسوس ثم لكل عضو حصته من الغذاء يناسبه ويشاكله بعد مراتب النضج و
الاستحالات بالقوة الغاذية التي هي في البدن بمنزلة القوة العاقلة في النفس فلابد

نفس وحو

لذايذ فى تجويد ذاته من اغذية علمية ومواد عقلية اولا ترى لئن مادة الغذاء اذا وردت
البدن وحضرت عند تصرف الغاذية فتصرفت فيها واحالها فى مراتب الهضم بقواها
المسخرة لهذا الامر وصيرتها صافية عن الفضلات بصنوف طبيعية تشبه صنعة الكيميا فجعلها
خالصة عن شوائب الغش والغل ومصفاة عن القشور فى مراتب اربع للهضوم وكلما كان
احدها فى المعدة فيتخلص ويتجرد من ذنوب بعض الفضلات والغش وذاق بهذه التعذيب
وهذه الرياضة بحرارة جهنم المعدة التى قيل لها هل امتلأت فتقول هل من مزيد بيد
زبانية القوى التى عليها تسعة عشر وتتوب عن خروجها قبل ذلك عن طاعة الله وبعدها
عن عالم الاعتدال والوحدة وانحرافها عن جادة الصراط المستقيم ومروقها عن
شريعة الطبيعة المدبرة للاجسام على نهج الحكمة ثم اذا فرغت هذه القوى من خدمتها
التى تخصها لهذا الماء الغليظ فى هذا المنزل وارتقى قليلا من هذه الهاوية المظلمة
للطبيعة اخرى فوقها وقع بيد قوى اخرى من هذا الصنف فعملوا فيه بالمرة فانهضم
فى الكبد مرة اخرى وسقط منه بعض ما بقى فيه من الفضول فصار اخلاطها اربعة خلطوا
عملا صالحا واخر سيئا لخروجها عن تمام التمحيص عن الطاعة ووقوعها من الصلاح و
العبودية لامر الله المستعمل لها فى عمارة بيت الله المعمور ثم لئن اصلح هذه الافعال
الاربعة هو الجوهر المسمى بالدم فاذا وقع فى العروق وخرج منه العرق وارتاض
وسلك سبيل الطاعة للنفس واشتغل فى بيت القلب للنسك الطبيعى ومكث قدرا
صالحا من الزمان للعبادة البدنية صلح لان يلبس كسوة الصور البدنية بيد القوة المصورة
مؤديا لشكر هذه النعم الجسيمة فضلا من الزائد عن الحاجة بيد القوة المولدة والقوة

لا اقصر بالامر الكمال النفسى فى اغذية النفسانية والعقلانية بهذا المنوال فان
النفس بقوتها الادراكية احضرت عندها صورة محسوسة فاول ما تصرفت فيه
بقوتها المتصرفة هو انها نزعتها عن كدر المادة التى هى كالفضلة الاولى للغذاء
والهاوية لاهل العقوبة والجاذبة بهذا الفعل من النفس بالاحساس وهو تصرف فعلى من النفس وهو
كالفعالى للحواس ثم وقع منها تصرف اخر فى تلك الصورة وهو تقشيرها مرة اخرى بتقشير الاخر
خلعت عنها الاغشية المادية بهذا التحصيل والتصديق مع الصورة عند ذلك كالتخيل وغداء له
ونسبتها اليه نسبة المحسوس ثم علمت فعلا اخر بحيث جردتها عن المادة وعوارضها بالكلية الا ان لها
علاقة بالمادة بحيث تضاف الى مادة مخصوصة وهو التوهم ثم اذا عملت فيها عملا اخر نفضت
عنها اثار المادة وعوارضها وعلايقها وشواغلها فصارت لبا خالصا يناسب النفس العقل
الذى هو ملك من ملائكة الله لانها تخلصت من الذنوب والجرائم المادية والمعاصى الجسمانية بالكلية و
استعدت وتابت وانابت ورجعت وآبت والتائب من الذنب كمن لا ذنب له فانظر
الى حكمة الصانع كيف ابدع قوة عاملة تعمل فى المحسوس عملا تجعله معقولا وعاقلا فعل ما دار بالملك
من الكيميا سلوكا طبيعيا خاصا نحو الخير لا قصر والمقصد لا شئ فلكل سالك سلوك نحو الغاية ولكل عامل
رحمة وعناية بالسافل تشبها بالمبدا الاول فى افاضة الخيرات كلها وعلم ان الغذا مثلا كالعنصر يتطور
بالاطوار ويتسمى فى كل طور وعالم باسم خاص يناسبه فادون المنازل وادناها العنصر ثم بعد ذلك يستحالات
جسم ذكر جمادى كالحنطة والخمر والزبيب ثم بعد مراتب العنصر فادم وخلط صالح ثم نطفة ثم علقة ومضغة وعصب
ثم كان لطيف حار ثم صورة حاسة ومحسوسة ثم صورة خيالية ثم صورة وهمية او عقلية وهلم الى درج
المشاهدة كالانوار الالهية ومعانيه الصفات اللاهوتية والاسماء الربانية فعلمه لها فى كل رتبة من المراتب

الحلقية والامرية وبحسب كل كسوة وخلعه من الاكسية والخلع النورانية والظلمانية اسم
خاص فضرب الله مثلا للذين امنوا منكم ودرجاتكم في العرفان وكلا رتقا اليه
في الى ان يصير نورا على نور بشجرة الزيت في ارتقائها الى غاية الكمال وسلوكها سبيل
الاهتداء بعالم النور المحسوس في وصولها اليه حتى يصير نورا على نور فالشجرة الزيتونة
بمنزلة نبات مثمر غذاء وطعاما لطيفا للانسان الكامل الذي هو اشرف خلق الله و
عبده الذاهب الى ربه كالخليل حيث قال اني ذاهب الى ربي سيهدين وكموسى عليه السلم
حيث قال اني انست نارا وكنبينا صلى الله عليه واله حيث قال تعالى سبحان الذي
اسرى بعبده ليلا والزيتونة بمنزلة الاطعمة والاغذية الزيتية ولها الانسان وبد حلها
فرجوفه والمشكوة بمنزلة البدن الانساني لكونها مظلمة في ذاتها قابلة للنور لا على
التساوي لاختلاف السطوح والثقب فيها وهكذا حكم الجسد للانسان في قبوله
للانوار الحسية والحركة لا على التساوي والزجاجة القلب باعتبار تجويفه الذي يكون
مكانا للروح الحيواني الذي بمثابة دهن الزيت والمصباح هو الروح النفسي
المنور بنور النفس الانسانية وتلك الروح لغاية قربها من عالم الغيب والملكوت
يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار خارج لان العلل الذاتية ليست امورا خارجة
عن ذوات المعلولات فالقابل لنور النفس وان كان مفتقرا في الاستنارة بها الى
العقل الفعال لكنه غير مفتقر الى سبب خارج عن ذاته فكانه مكتف بذاته عن اسباب
واما وصف الزجاجة بانها كوكب دري فذلك لكون القلب في الحقيقة هو تجويفه الذي
يمتلي بنور الروح الحيواني ويتنور به واما كونه متوقدا من شجرة مباركة فلكون مادة

دهنه من الاشجار والنباتات الغذائية الكثيرة البركات لحصول الارواح و
نفوسها وعقولها منها ومن موادها بعد استحالات وحركات كثيرة كما ان الزيت
انما يكون من شجرة الزيتون بعد تعصيرات شديدة واما وصف الشجرة بانها لا
شرقية ولا غربية فان الطف الاغذية واعدل الامزجة انما تتكون في البلاد و
البقاع التي تكون في اوساط الربع المكشوف من الارض كما مر فصل في
نقل ما يسمى بها تاويل الاية في العالم الانساني البدني وهو عالم صغير جسماني
ولها تاويلان اخران احدهما في عالم الافاق والاخر في عالم الانسان الاول
فالمشكوة عالم الاجسام والزجاجة العرش والمصباح الروح الاعظم والشجرة هي
الهيولى الكلية التي هي مادة حقائق الاجسام وصورها المختلفة التي بمنزلة الاغصان و
الاوراق وهي في نظام ملكوتي عقلي الا انها اخس الجواهر الملكوتية وادناها و
شرق م
نهاية عالم الارواح وبداية عالم الاجسام فيكون غير منسوبة الى عالم العقول و
الارواح ولا الى عرش عالم الاجسام والاشباح يكاد زيتها وهو عالم الارواح النفسانية
يضيء بانوار العقول الفعالة ولو لم تمسسه نار نور القدرة الازلية وذلك لقرب
طبعها من الوجود نور على نور فالاول نور الرحمة الالهية والمعرفة الربانية والاخر
نور الروح الاعظم والعقل الفعال او الاول والاخر نور النفس الكلية التي هي نور العرش
وهو مستوى نور الرحمة الرحمانية العقلية التي كصورة الرحمن فيكون نورا على نور كقوله الرحمن
على العرش استوى وفي قوله يهدي الله لنوره من يشاء اشارة الى الرحمن فيض نور الرحمة
ونفسه على كل من يريد الله ايجاده من العرش الى الثرى فصل واما التاويل الاخر

فهو الذي افاده الشيخ ابو علي بن سينا واوضحه شارح اشاراته وموضح تنبيهاته قدس
سرهما من ان الاعلى من مراتب النفس الناطقة في ارتقائها الى عالم الربوبية فكانت المشكوة
العقل الهيولاني لكونها مظلمة الذات قابلة للانوار العقلية على تفاوت استعداداتها
قربا وبعدا والزجاجة هي العقل بالملكة لانها شفافة في ذاتها قابلة للنور اتم قبول
كالكوكب الدري والشجرة الزيتونة هي القوة الفكرية والفكر لانها مستعدة لان تصير
قابلة للنور بذاتها لكن بعد حركة كثيرة وتعب وكونها مباركة لما يترتب عليها ويحصل
منها من حدود الاشياء ونتائج البراهين الحقة وكونها لا شرقية ولا غربية لكون الفكر
في المعاني الكلية والمفهومات الذهنية والقضايا المعقولة ليست من غرب الموجودات
الحسية الهيولانية ولا من شرق العقول الفعالة القائمة بانفسها والزيت هو الحدس
لكونه اقوى في ذلك من الزيتونة والذي يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار القوة القدسية
لانها تكاد تعقل بالفعل ولو لم يكن شيء يخرجها من القوة الى الفعل ونور على نور هو العقل
المستفاد فان الصور المعقولة نور والنفس القابلة لها نور آخر والمصباح العقل بالفعل
لانه نير بذاته من غير احتياج الى نور يكتسبه والنار هو العقل الفعال الذي المصباح تشتعل
منه كشف اشراقي اعلم ان قوله تعالى لا شرقية ولا غربية اذا حمل الشجرة الزيتونة على
الامر العقلي يكون معناه انها خارجة عن جنس الامكنة والاحياز كما يقال للفلك انه لا
حار ولا بارد اي يكون خارجا عن جنس هذه الكيفيات الملموسة واما اذا حمل على
الامر الجسماني كالشجرة التي يحصل منها الزيت او القلب الصنوبري فيكون معناه لا من
المتوسط مكانه بينهما كما يقال للماء الفاتر انه لا حار ولا بارد ويمكن حمل الشرق و

الغرب

الغرب على الاخرة والدنيا عندما يراد من الشجرة القوة الفكرية او الهيولى او
من سلب الطرفين عنهما حتى تحمل الوجهين اما التوسط بين هذين الضدين او
الخروج عن جنسهما ويمكن حمل الشرق والغرب على الوجوب والامكان فان ذات الباري
جل اسمه مطلع انوار الوجودات وعالم الامكان مغيب تلك الانوار وفيه افول كواكب
الحقائق الاسمائية فح ينبغي ان يراد بالمشكوة الطبيعة الكلية السارية في الاجسام المختلفة
والزجاجة النفس الكلية المشرقة في ذاتها القابلة للنور العقلي اتم قبول والشجرة الزيتونة
هي القدرة الالهية المنشعبة الى فنون ايجادات الحقائق المختلفة وموجوداتها
المفصلة والقدرة الالهية لكونها امرا نسبيا لازما للذات الاحدية ليست شرقية
ولا غربية بالمعنى المذكور والزيت هو ارادة الله الموجبة للاضاءة والاشراق من
غير افتقار الى انضمام الداعي اليه لكونه تعالى تام الفاعلية والايجاد مستقلا بالقوة و
القدرة لاشراق نور الوجود منه على العالم ولو لم تمسسه نار العلة الغائية والمصلحة
الخارجية والمصباح العقل الكلي اي عالم العقول لكونه نيرا بذاته لتقدسه عن شوب
القوة والاستعداد ومتنورا بالنور الفائض عن الحق الجواد على ذاته عند مشاهدته
للحق سبحانه وشروق نور الله عليه وكان نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء
من عباده وهو جميع الموجودات الممكنة الذوات المهتدية بنور الوجود الى غاياتها
الذاتية بتوسط النور الاول الابداعي العقلي الذي هو غاية عالم الامكان ه
نكتة عرشية ويمكن ان يراد بالشجرة الزيتونة مجموع عالم الاجسام فانه شجرة
زيتونة لا شرقية ولا غربية لان مجموع المحدد للجهات وما حواه من حيث المجموع ليس

واقعا في مكان ولا جهة وزيتها قوة الوجود المطلق والطبيعة سارية فيه اذ لها
الاستعداد لقبول الاشتعال والاستضاءة بمراتب الانوار قوة وضعفا حسب تفاوت
زيت المواد وغلظ الفتيلة وصفوها من الصور الجسمية الفلكية والعنصرية والمشكوة
هي الهيولى الكلية اي مجموع الهيوليات والمصباح هو النفس الكلية اي عالم النفوس
المتعلقة بالاجسام المختلفة في الاشتعال والنورية ونوره العقل الكلي اي جملة
العقول المقدسة المنورة بنور المعرفة الالهية على تفاوت مراتبها وكالاجزاء
المصباح ومواضعها متفاوتة في الانارة والاضاءة وفي وسط اجزائه المتصلة
موضع فيه هو اقوى الجميع قوة ونورية فكذلك في العقول القادسة عقل اول
هو اشرف الممكنات وجودا واقويها نورية واشراقا وهو الحقيقة المحمدية المنورة
بنور معرفة الله بلا واسطة فيكون نورا على نور ولا يتنور من سواه بنور الحق
وشهوده الا بتوسطه فصح قوله صلى الله عليه وآله لو كان موسى في زمني ما
وسعه الا اتباعي فصل في قوله تعالى يهدي الله لنوره من يشاء هذا النور
المحمدي الكاشف لحقائق الاشياء كما هي والغاية المرتبة على وجود سابقيه
الاولين من الانبياء لانه بذر طوبى عالم الامكان الذي غرسه يد الرحمن و
الثمرة الحاصلة من شجرة وجود الارض والسماء والصراط المستقيم الى حضرة
الربوبية وفطرة الله التي فطر الناس عليها فالخلق مفطورون بقبول النور
المحمدي والنفوس مجبولة على طاعة الشريعة النبوية للوصول الى المقام المحمود اذا
لم يطرأ الضلال عن سلوك الطريق والغواية عن الذهاب الى الغاية المقصودة

وفي الحديث

وفي الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله اول ما خلق الله نوري وعنه ايضا
ان الله خلق آدم على صورته اي صورة الرحمن اي الحقيقة المحمدية خلقها على صورة اسم الرحمن
كما خلق ابليس من صورة الاسم المنتقم وعنه ايضا ان الله خلق نوري من نور عزته
وللاشعار بان الروح النبوي الختمي صلى الله عليه وآله ليس من جنس سائر الارواح
قوله صلى الله عليه وآله لست كاحدكم ابيت عند ربي يطعمني ويسقيني فانظر يا
مسكين وتنبه لمن كان ادنى احواله وانزلها كالبيتوتة والطعم والشرب
واقعة عند الرب تعالى كيف يكون من جنس من لا يكون اشرف احواله مثل المعرفة
والفكر حاصلة عنده فان الجسمانيات والنفوس الارضية بل النفوس السماوية
ايضا بمراحل عن ان يصعد اعمالها الى عالم الالهية واما الروحانيات العقلية
فهي متفاوتة في القرب والبعد وما يصل الى الله ويقع مقبولا عنده تعالى بلا
واسطة لا يكون الا الطاعة المحمدية والعبودية الاحمدية من انوار المعارف الالهية
الفائضة على ذاته النيرة من غير وساطة احد فلا يكون طاعة غيره صلى الله عليه وآله
مثل طاعته الا بتوسط متابعته ووساطته لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء
بعضكم بعضا تذكرة قال سهل بن عبد الله التستري وشيبان الراعي
انا سمعنا من الخضر عم انه قال خلق الله نور محمد من نوره فصوره وصيره على
يده فبقي ذلك النور بين يدي تعالى مائة الف عام فكان يلاحظه في كل يوم وليلة
سبعين الف لحظة ونظرة يكسوه في كل نظرة نورا جديدا او اكراما جديدا ثم
خلق منها الموجودات كلها انتهى وفيه اشارة الى صدور الكائنات وصورها و

وآثارها كل لحظة عدداً غير محصور بتوسط نور وجود لامكان الاشرف والجهة
المحمدية ص والفيض الاقدس الذي هو بذر الموجودات وسببها الذاتي الفاعلي
المتقدم وثمرة شجرة الممكنات وسببها الغائي المتأخر فهو الاول والاخر ولكونه
لب الالباب وللوجود خاتم الكتاب بتمثيل عرشي فانظر ايها العارف في
حكم الصانع البديع وجود النافع المنيع الرفيع كيف بدا بالعقل وختم بالعاقل
وبينهما امور متفاضلة متواصلة فالعقل الاول بذر العقلاء ومبدء الفضلاء
وما عداه من العقول المتقدمة على الاجسام سيقانه والنفوس الكلية اغصانه والاجرام
الفلكية عروقه وافنانه والبسائط العنصرية اوراقه والنفوس الارضية ازهاره
والنفوس الادمية نفائس اثماره والعقول المستفادة لبوب حبوبه وانواره
والروح المحمدية ص لب اللباب ودهنه وضوء سراجه فاعلم ما ذكر وتحقق ما تلي
عليك وتدبر ولا تحمله على المجاز الشعري بل على التحقيق النبوي واتل قوله تعالى يدبر
الامر من السماء الى الارض وامثاله فيما يقوله الحكيم بانوار التبيين ولئن لم تقدر على
ذلك بنفسك فاستفده من غيرك فان المؤمن مرآة المؤمن قال بعض العرفاء
في مناجاته الهي ما الحكمة في خلقي فالهمه الله في الجواب بقوله لان الحكمة في خلقك رؤيتي
في مرآة روحك ومحبتي في قلبك فما اعظم رتبة العبد المؤمن وما اجلها حيث يصير
صفحة قلبه مرآة لوجه الحق مهما اراد ان يتجلى ذاته لذاته نظر الى قلب المؤمن وقد ورد
في الخبر ان لله في كل يوم وليلة ثلثمائة وستين نظرة الى قلب المؤمن ويؤيد ذلك
قوله صلى الله عليه وآله ان الله لا ينظر الى صوركم واعمالكم ولكن ينظر الى

قلوبكم

قلوبكم ونياتكم وقوله تعالى الم يعلم بان الله يرى وقد ورد في الحديث القدسي انه
قال تعالى كنت كنزاً مخفياً فاحببت لان اعرف فخلقت الخلق لاعرف وهذه الثمرة
للخلق والايجاد وهي معرفة الله انما يتحقق في العبد المؤمن اي العارف لقوله تعالى
وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون اي ليعرفون وقد ثبت ان الانسان
العارف غاية ايجاد الافلاك والعناصر والمركبات لقوله تعالى في الحديث القدسي
لولاك لما خلقت الافلاك ويؤيد ذلك قوله سبحانه لا تدركه الابصار وهو يدرك
الابصار وقوله الا انهم في مرية من لقاء ربهم الا انه بكل شيء محيط تنبيه
واشارة لك لعلك تفهم من هذه الاسرار ان ادراك ذات الحق تعالى بعلم مستانف
لا يمكن لاحد الا في مرآة قلب المؤمن التقي ولهذا بني العالم وخلق الكون وابدع
النظام لقوله تعالى سنريهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق
او لم يكف بربك انه على كل شيء شهيد وقوله تعالى وفي انفسكم افلا تبصرون
ومما ينور ايضاً ما ذكرناه قوله صلى الله عليه وآله من رآني فقد رأى الحق وقوله
سبحانه ومن يطع الرسول فقد اطاع الله وفي الحديث عنه صلعم واشوقاه
الى لقاء اخواني من بعدي وفيما رواه كميل بن زياد عن امير المؤمنين عليه السلم
مثل ذلك في كلام طويل وقول النبي صلى الله عليه وآله ادبني ربي فاحسن
تاديبي يشير الى ذلك وفي قوله سبحانه ونفخت فيه من روحي تنبيه بليغ عليه وكذا
قوله تعالى وحملها الانسان وفي رموز بعض اصحاب العلوم في تفسير قوله تعالى كنت
كنزاً مخفياً الحديث العبودية بغير الربوبية نقصان وزوال الربوبية بغير العبودية

محال ومن الاشارات في هذا المقصد قوله تعالى والزمهم كلمة التقوى وكانوا احق بها
واهلها ومنها قوله تعالى ان الله اشترى من المؤمنين اموالهم وانفسهم بان لهم
الجنة ومن التاييدات اللطيفة لهذه الدعوى قوله تعالى انه كان ظلوما جهولا
وقوله ان الانسان لفي خسر الا الذين امنوا وعملوا الصالحات اذ قد علم من جميع
ذلك ان اللايق بنظر الحق وشهوده انما هو معرفة الحق لا الانسان ولا غيره من موجودات
عالم الامكان والا فما للتراب ورب الارباب وقريب من هذا ما قاله بعض المحققين
من الحكماء ان القايل بان الواجب موجود والعاقد لهذه القضية من عالم الامكان
ليس هو ذهن من الاذهان بل نحو من انحاء البرهان فانظر الى قوله والنجم اذا هوى
ما ضل صاحبكم وما غوى وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى علمه شديد
القوى وقوله فاوحى الى عبده ما اوحى ما كذب الفؤاد ما راى كشف حال
لتحقيق مقال يا ولي انظر الى التفاوت بين مرتبة موسى عم وبين مرتبة سيدنا
ونبينا صلى الله عليه وآله وسلم فانه خر مغشيا عليه عند ملاحظة التجلي الواقع على
الجبل فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا ثم تاب واستغفر من طلب ما لا
يسع له درجته ووقته وان النبي صلعم حكى انه في ليلة المعراج وضع الله يده
بين كتفي فوجدت بردا انامله بين ثديي وهذا الحديث مما يدل دلالة واضحة
على عشقه تعالى لحبيبه ولئن كنت في ريب مما ذكرنا فاضمم اليه ما سمعته من حديث
ابيت عند ربي وحديث من راني وساير ما نقلناه في هذا الباب ليظهر لك
حقيقة كلام اخيه وابن عمه ومساهمه في همه وغمه ومشاركه في حظه وقسمه ووارث

حوضه

حوضه وباب مدينة علمه حيث قال سلام الله عليهما وآلهما رأى قلبي ربي وقوله عم
ما نظرت الى شيء الا ورايت الله فيه امثال الاقوال تعالى الم تر الى ربك كيف مد الظل
اشارة اعلم ايها الحبيب انه لا يعرف قدر النور الا النور بل لكل مرتبة منه لا يعرفها الا الواقع
في تلك المرتبة فالنور الحسي الحسي والنفسي النفسي والعقلي العقلي فلا يدرك نور الكواكب الا انوار الحواس
شرط شهاداتها عن كيفياتها المختصة بها المختصة فالقوة اللامسة من حيث الكيفيات الاربعة التي هي اوائل الملموسات
الا انها معتدلة متوسطة بينها وقد علمت ان المتوسط من الاطراف في حكم الخالي عنها فلذلك يعلمها و
يدركها ويحس بها وكذا الرطوبة اللعابية الغائصة في جرم اللسان في الفم لو لم تعف لكم من شانها لم يكيف
بكيفية من الطعم فيدركها القوة الذائقة الم ونسبة حالها الى الطعوم مع كونه واقعة من حيث
الكيفيات المطعومة وقس على ساير الحواس والمدارك ثم الى عالم العقل المعقول وما فوقه وفي المثل لا يحمل
عطايا الملوك الا مطاياهم ولا يعرف الله غير الله وسئل بعض المشايخ ما الدليل على الله تعالى ولهذا
الله وسئل العلامة الرازي فخر الدين عن الشيخ العارف نجم الدين عن ربك فقال واردات ترد على
القلوب وتعجز النفوس عن تكذيبها ثم وراء العقل عالم يدق عن مدارك غايات العقول السليمة و
قال بعض المحققين دليل معرفة الله للمشتاق عشقه وارادته اذ هما ينبعثان عن معرفة ولو كانت مطلقة ضعيفة
نسبتها الى الشاهد والنار نسبة البذر الى الثمرة فالمحرك للقلوب في الحق هو ذاته تعالى لا احصي ثناء
عليك انت كما اثنيت على نفسك قال بعض المشايخ لم الله تعالى اوحى الى رسول الله صلى الله عليه وآله
ليلة المعراج يا محمد كنت دائما كاوحيت ناظرا او مستمعا اما انا الذي سامع وناظر وانت القائل والمنظور اليه
فاوحى الى عبده ما اوحى فصل في شرح مرتبة الانسان الكامل والعالم الصغير ومظهر اسم الله
الجامع لمظاهر الاسماء كلها وهو خليفة الله في ارضه ومثال نور الله في سمائه وهو الذي في السماء اله و

وفي الارض الآية قال الله سبحانه وعلّم آدم الاسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال
انبئوني باسماء هؤلاء ان كنتم صادقين قالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا
انك انت السميع العليم ليس من الله بمستنكر ان يجمع العالم في واحد واعلم ان لكل موجود
من الموجودات التفصيلية التي هي اجزاء هذا العالم مظهرية اسم خاص من اسماء الله تعالى
فكما ان اجزاء العالم فيها اجناس وانواع واشخاص وجواهر واعراض وللاعراض
كم وكيف ومتى واين ووضع واضافة وفعل وانفعال وملك فكذلك في الاسماء
الالهية اسماء جنسية ونوعية وجوهرية وعرضية كمية وكيفية وغيرها حذو القذة بالقذة
وكذلك في الانسان الكامل والمظهر الجامع يوجد جميع ما يوجد في عالم الاسماء وفي
مظاهرها الآفاقية فكما ان الاسماء كلها بحسب معانيها التفصيلية مندمجة في معنى اسم
الله مجملة فكذلك حقايق مظاهرها التي هي اجزاء العالم الكبير الآفاقية مجتمعة في مظهر
الاسم الله الذي هو الانسان الكامل باعتبار والكبير بل الاكبر باعتبار احاطته العلمية
المنبعثة عن معدن علم الله بجميع الموجودات ومباديها واسبابها وصورها وغاياتها
كما اشار اليه امير المؤمنين وامام العارفين الموحدين وانت الكتاب المبين الذي
باياته يظهر المضمر وتزعم انك جرم صغير وفيك انطوى العالم الاكبر فنقول في
تبيين ما ذكرناه من المقدمات وتوضيح ما ادعيناه من الحكايات انا لما كان لكل ممكن
من الممكنات مظهرية اسم خاص فلان المناسبة يجب ان يكون ثابتة بين المفيض والمفاض
عليه فيتعدد الكمالات وكثرة صور المعلومات يدل على تحقيق تلك المعاني الكمالية و
الجزئيات في اسبابها وعللها على وجه اعلى واتم من غير ان يلزم تكثر وتجسم في عللها كما

كما

كانت في الحكمة المتعالية وليس المراد من كل اسم من اسماء الله الا ذاته تعالى
مأخوذة مع صفة خاصة من الصفات الكمالية او الاضافية او السلبية كالحي والقادر
والقدوس فذاته تعالى متصف بجميع الصفات الحسنى الكمالية ومنزه عن جميع النقايص
والمثالب والعيوب وله الاضافة القيومية الى كل ما سواه فبملاحظة اتصافها
بما هو من قبيل الاول منشأ الاسماء الجمالية اللطفية الثبوتية وبملاحظة تقدسها
عما هو من قبيل الثاني منشأ الاسماء الجلالية القهرية السلبية وبملاحظة اشراق
نوره وشهوده وافاضة جوده وجوده على الموجودات منشأ الاضافة التعلقية
ولما وجب تحقق المناسبة بين المفيض والمفاض عليه فكل ما كان اشد مناسبة
كان اقرب في درجة المعلولية وكل فاعل حقيقي للممكنات فهو علة غائية ايضا كما
حقق في موضعه فيجب ان يكون الصادر منه في سلسلة ترتيب القرب والبعد النزولي
صاعدا اليه في سلسلة اخرى بحسب البعد والقرب الصعودي وهذا امر ظاهر بحسب
الاستقراء التام فكل جملة امكانية صادرة عن فاعل طبايعي لاجل غاية ذاتية
وله بيان تفصيلي يحتاج الى استقصاء مباحث العلة والمعلول واحكام العلة الغائية
الى رجوعها الى تحقق العلة الفاعلية على الوجه الاكمل والاتم سواء كانت العلة الغائية
متأخرة في الوجود عن العلة الفاعلية كما في ما تحت الكون ام يكونان ذاتا واحدة
كما في ما فوق الكون فاذا تقرر هذا فاشرف الموجودات الصادرة عنه تعالى في
سلسلة الابتداء هو العقل الاول والممكن الاشرف ثم الاشرف فالاشرف في سلسلة
الاخس فالاخس حتى انتهت نوبة الوجود الى الابعاد وهي مواد الصنايع الالهية

بمنزلة قطع الخشب للنجار ثم يبتدئ منه الاستكمال بالصور والارتقاء الى غاية الكمال
فيتصور بصورة بعد صورة و بهيئة بعد هيئة كالصور والهيئات المتواردة عليه
من صنع النجار فيتعاقب الصور على المواد بحسب تكامل الاستعداد من الاخس
فالاخس الى الاشرف فالاشرف والبراءة عن النقص والقصور والتجرد عن
الدثور والقصور الى العقل المستفاد المتصل بالعقل الفعال وهو اعلى
مرتبة الوجود في العالم الامكاني لكونه مشتملا على صور جميع الموجودات
عقلية وحسية من حيث ذاته ونفسه وحسه وجسمه كما سنشير اليه فبالعقل المستفاد
عاد الوجود الى المبدأ الذي ابتدأ منه وارتقى الى ذروة الكمال بعد ان هبط منها
كما بدأنا اول خلق نعيده وكما ان العقل الاول مشتمل على جميع ما صدر منه من
الجزئيات والوجودات والصور والهيئات بحسب الفطرة الاولى فهذا العقل
الاخير الذي وقع بازائه بل يكون عينه بوجه كما ادى اليه نظر الواغليس في الرياضة
والبرهان الممعنين في التجرد وكان ايضا مشتملا على جميع ذلك بحسب التحصيل والكسب
للفطرة الثانية الوجودية المطابقة للفطرة الاولى العلمية القضائية وهذا معنى
قول فاضل الفلاسفة ارسطاطاليس من اراد الحكمة فليستحدث لنفسه فطرة ثانية
فان الحكمة عندهم هي التشبه بالاله بحسب الطاقة البشرية وانما يحصل بحصول
العقل الفعال دقيقة الهامية وههنا دقيقة اخرى لا يقدر جماهير
الفضلاء ان يدركها فضلا عن غيرهم من اسراء الوهم والخيال وهو ان العقل
الفعال مع انه فاعل متقدم على غيره من الممكنات فهو بعينه ثمرة حاصلة من

وجودها انها المرتبة من الاستكمال والارتقاء الى الكمال وهذا اعجب العجائب مع انه
حق لا مرية فيه لهذا الفقير المنكسر البال المشوش الحال ايات تذكيرية لما ان الاسماء
الالهية مشتملة على جميع المعاني المنطقية والعينية والجميع الحقائق الجوهرية والعرضية
كما انك اذا نظرت في حقائق الاشياء وجدت بعضها متبوعة مكتنفة بالعوارض و
بعضها تابعة فسمى المتبوعة انها الجواهر والتابعة انها الاعراض فاعلم ان معنى الجوهرية
باعتبار اشتراك الجواهر فيه واتحادها في عين جميع مظهر الذات الالهية من حيث قيومها
وتحققها بذاتها وان الاعراض بحسب اختلافها واشتراكها في مفهوم العرضية العارضة
لها مظاهر للصفات التابعة للذات مع اشتراكها في كونها صفة تابعة لها من حيث المفهوم
والمعنى ولما كان الوجود واحدا للذات والصفات وكما ان الجوهر مع انضمام صفة
من الصفات يصير جوهرا خاصا مظهر الاسم خاص فكذلك الذات الالهية مع اعتبار صفة
خاصة اسم خاص من الاسماء الكلية او الجزئية وكما ان الصفات المخصصة للجواهر كالفصول المنطقية
وغيرها بعضها اعم وبعضها اخص كالفصول البعيدة والقريبة وتوابعها يصير الجوهر
بتضمنها او انضمامها جنسا خاصا او نوعا فكذلك من الصفات الالهية ما هي اعم
واكثر حيطة ومنها ما هي اخص واقل حيطة فيكون الاسم الحاصل من انضمام ما هي اعم بمنزلة
الجنس للاسم الحاصل من انضمام ما هي اخص وهذا بمنزلة النوع مثال ما هو بمنزلة الجنس
لما هو بمنزلة النوع العالم بالقياس الى السميع والبصير وكما انه من اجتماع الجواهر البسيطة
يتولد جواهر اخرى مركبة كذلك يتولد من اجتماع الاسماء الكلية اسماء اخرى وكما ان الجوهر قد
يكون نوعا بسيطا في الخارج مركبا في العقل بحسب التحليل الذهني كالعقل والنفس

وغيرهما وقد يكون مركبا خارجيا من اجزاء معنوية وجودية كالمادة والصورة او
من اجزاء متخالفة الطبايع كالمركبات المعدنية والنباتية والحيوانية فكذلك في انواع
الاسماء ما هو بسيط غير ذي احد تفصيلا كالحي فان مفهومه مركب من الدراك الفعال
وما هو مركب كالحي القيوم وكما ان كليات الجواهر والانواع منحصرة فكذلك كليات
الاسماء منحصرة وكما ان اشخاص الجواهر غير متناهية فكذلك فروع الاسماء غير متناهية
فكما ان الجملة مشتركة في طبيعة واحدة وجودية لان الوجود الممكن حقيقة واحدة هي
المسمى بالنفس الرحمانية والهيولى العقلية الكلية الحاملة لصور الجواهر العقلية والحسية
حقايقها كذلك الاسماء الكلية يشملها ذات واحدة الهية جامعة لجميع الاسماء على
اختلاف معانيها ثم لما كانت التجليات الالهية المظهرة للصفات المتكثرة بحكم كل
يوم هو في شان غير متناهية مع تناهي ضوابطها المتكررة الوقوع صارت الاعراض
متكثرة غير متناهية ولما كانت الامهات متناهية وكما ان امهات الاعراض منحصرة
في تسع مقولات كذلك في امهات الصفات وكلياتها توجد معان تناسبها
تلك المقولات فكل ما في الوجود دليل واية على ما في الغيب فالقيوم مناسب للجوهر
والقدوس للانواع المجردة منه والمصور للصور الجوهرية والاول والاخر يناسبان
مقولة متى والرافع والخافض يناسب مقولة الاين والمقدم والمؤخر لمقولة
الوضع والمحصي للكم المنفصل والكبير والعظيم والباسط للكم المتصل والسميع و
البصير للكيف النفساني والعلي الاعلى للاضافة ومالك الملك للجدة والمبدع للفعل
وقابل التوب للانفعال وعند الاستقصاء يظهر ان كل معنى من المعاني الموجودة في

العالم

العالم الشهادة يكون ظلا لما في الاعلى ما في غيب عالم الاسماء ثم في غيب عالم القضاء الالهي اعني
القلم العقلي ثم في عالم القدر النفسي اعني لوح العلوم القضائية المسمى بام الكتاب
ثم في عالم الالواح السماوية ونفوسها الانطباعية الخيالية المسمى بكتاب المحو والاثبات
والدفاتر القدرية لقوله تعالى يمحوا الله ما يشاء ويثبت وعنده ام الكتاب
هداية قد انكشف لك ودريت مما سردنا عليك ان هذه العوالم كلها كتب الهية
وصحايف روحانية لاحاطتها بصور الحقايق والمعاني واشتمالها على الارقام والخطوط
الدالة على المعاني السبحانية والاشعة الربانية يتلوها القاري العارف بقوة فكره
وصفاء سره وسلامة طبعه عن كدورات هذه التعلقات وتجرد ذهنه وجلاء
عينه عن علوق هذه الغشاوة فيطالع ما فيها ويتدبر في معانيها ويرتقي من
بعضها الى بعض حتى يصل الى منشئها وراقمها وممليها وناظمها فسبحان الذي
اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذي باركنا حوله لنريه من اياتنا
انه هو السميع البصير كلمة جامعة الانسان الكامل كتاب جامع لايات ربه
القدوس وسجل مطوي فيه حقايق العقول والنفوس وكلمة كاملة مملوة من فنون
العلوم والشجون ونسخة مكتوبة من مثال كن فيكون بل امر وارد من الكاف والنون لكونه
مظهر اسم الله الاعظم الجامع لجميع الاسماء فمن حيث روحه وعقله قلم مقدس يسمى
بام الكتاب لكونه مشتملا على معظم الحقايق العقلية الكلية على الوجه المقدس العقلي و
من حيث قلبه الحقيقي اعني نفسه الناطقة كتاب اللوح المحفوظ لكون نقوشه محفوظة
ابدا بحفظ قلم الكاتب لهذه الارقام المعقولات التفصيلية في لوح قلبه و

ومن حيث تعلقه بالكونية المتمثلة للصور المثالية كتاب المحو والاثبات ومن حيث تعلقه بالجسماني
القايم باللطيفة البخارية المشار اليه بجرم السماء القابل للانوار المحسوس والضياء دفتر
جسماني وسجل هيولاني والوضع في الجادة وتكوينه بالجرد المشتق والحساب كالتخت والتراب
لغاية التمرين لطفل النفس قبل ان يبلغ مقام الرجال مثل لوح الاطفال ولهذا
ما يمحو ما فيه وينطوي سريعا لكونه من جنس كتاب الفجار الملقى في النار واما ما سواه
من الكتب الاربعة الاصول فهي كلها صحف مرفوعة مطهرة بايدي كرام بررة باقية الى
يوم الدين لا يمسها الا المطهرون من الحجب الجسمانية لكونها في عليين وما ادريك ما
عليون كتاب مرقوم يشهده المقربون وهذا الكتاب الاخير المحاذي لصورة
محرقة الى اوراقها بنار الطبيعة كالسجل دورات السماء مطوية يوم القيمة لقوله
تعالى يوم نطوي السماء كطي السجل للكتب ولكن بعضها كما بدانا اول خلق نعيده
وعادت مثله يوم القيمة ويحشر وهو البدن الاخروي المنبعث في هذا البدن
الداثر الدنيوي المقبور بعد الموت ويتعلق كتابه يوم القيمة وهو الكتاب الذي
اشير اليه بقوله وكل انسان الزمناه طايره في عنقه ونخرج له يوم القيمة كتابا
يلقاه منشورا اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم حسيبا وهو الكتاب المنقسم الى
كتاب الفجار الذي يلقى في النار والى كتاب الابرار الذي ياتي امنا يوم القيمة
لقوله افمن يلقى في النار خير ام من ياتي آمنا يوم القيمة وبهما المشار اليهما بقوله
تعالى ان كتاب الفجار لفي سجين وقوله ان كتاب الابرار لفي نعيم نور جمعي
ومظهر جامع الهي فقد وقعت الاشارة الى ان الانسان الكامل كلمة جامعة و

انموذج

انموذج مشتمل على ما في الكتب الالهية التي كلها انوار مكتوبة بيد الرحمن منقوشة على صحايف
الاكوان مستورة عن اعين العميان كما ان الروح الاعظم جامع لجميع ما في العالم الكبير
لكونه مبدأ الكل وصورة الكل وغاية الكل وبذر العقول والنفوس وثمرة
شجرة الافلاك وما فيها من انوار المعقولات والمحسوسات فالآن نريد ان نشرح لك
مراتب العالم الانساني ودرجاته ونبين ان الروح الانساني والعقل الاخر الرباني في
درجة القرب عند الله في عالم العود والصعود مماثل للروح الاعظم والعقل
الاول القراني في عالم البدو والنزول وسلطانه يوم القيمة ويوم العمل
كسلطان الروح الاعظم يوم الازل لاشتمال كل منهما على جميع المراتب الوجودية
بل العقل الاول والروح الاخير وهو الحقيقة المحمدية ذات واحدة ظهرت
مرتين مرة في الادبار الى الخلق لتكميل الخلايق ومرة في الاقبال الى الحق تعالى
لشفاعتهم لقوله صلى الله عليه وآله اول ما خلق الله نوري وقوله اول ما خلق الله
العقل قال له اقبل فاقبل ثم قال له ادبر فادبر فقال فبعزتي وجلالي ما خلقت
خلقا اعظم منك بك اعطي وبك اخذ وبك اثيب وبك اعاقب رواه الشيخ الجليل امين
الاسلام ثقة المحدثين محمد بن يعقوب الكليني في اول كتاب العقل من كتب الكافي وهو
حديث متفق على صحته الجميع فكما ان الروح الاعظم مشتمل على جميع الممكنات علما وعينا
فكذا هذا الانسان الكامل وخليفة الله في السموات والارض اما اشتمال الروح الاعظم
عليها علما فلما مر من انه قلم الحق الاول الناقش لصور الحقايق على وجه مقدس عن
الكثرة والتفصيل ثم الكتابة لارقام الاسرار على الالواح الاقدار ولان اللوح

المحفوظ بما فيه من الارقام والنقوش صادر عنه وحاضر لديه فهو مطالع لما فيه مطالعة
العقل للافكار الناشئة منه المرتسمة في لوح النفس ثم في لوح الخيال والحس وكذلك حكم سائر
المشاعر الكلية والمدارك الفلكية والالواح القدرية بما فيهما من الارقام المثالية والنقوش
الجزئية الخيالية الحاصلة في النفوس المنطبعة السماوية وكذا الصور الارضية المنقوشة على الالواح
الهيولية اذ كلها صادرة منه باذن ربه حاضرة عنده يشاهدها بنور ربه الذي هو نور السموات
والارض وانه لكل واحد من الجواهر العقلية والنفسية والصور السماوية والحسية والانوار القمرية
والشمسية عيون ناظرة ومدارك ساطعة ومرائي مجلوة يدرك بها الاشياء وينال بها
ما في عالم الارض والسماء واما اشتماله عليها عينا فلان ذاته صورة الكل كما انه
فاعلها وغايتها والصورة لكل حقيقة تركيبية ومهية نوعية هي تمام تلك المهية او لا ترى
ان السرير سرير بهيئته المخصوصة لا بمادته الخشبية الابهامية والحيوان بنفسه وحقيقته حيوان
لا ببدنه وجسمه وكذا العلة الفاعلية تمام حقيقة المعلول اذ المعلول رشح وفيض من وجوده
وهو من العلة كالشعاع من الشمس والحرارة من النار والنداوة من البحر كما اوضحه الالهيون
في علومهم الربانية واما الغاية فهو تمام الفاعل بما هو فاعل وكماله واما اشتمال الروح
العقلي للانسان الكامل على جميع الممكنات فلانه كتاب مبين مشتمل على انموذجات العلوم
وحصصها وجزئياتها وافرادها وذلك قبل اتصاله بالملاء الاعلى والروح الاعظم واما
عند الوصول فلا فرق بينه وبين قلم الحق الاول في اشتماله على الكل حكمة الهية في
كلمة آدمية لمن عجائب صنع الله وبدائع فطرته خلق الانسان الذي فطره الله
عالما مضاهيا للعالم الرباني وانشاءه الله نشاة جامعة لجميع ما في سائر العوالم و

العوالم

النشآت بل ذاته موصوفة بجميع نظاير ما وصف به ذاته الالهية من النعوت الجمالية
والجلالية والافعال والآثار والعوالم والنشآت والخلايق والقلم واللوح و
القضاء والقدر والملائكة والافلاك والعناصر والمركبات والجنة والنار والصور و
والممالك وبالجملة ابدع الانسان الكامل مثالا له تعالى ذاتا ووصفا وفعلا ومعرفة
بهذه الفطرة البديعة والنظم اللطيف والعلم بهذه الحكم الانيقة والاسرار المكنونة
فيها من عظيم معرفة الله بل لا يمكن معرفته تعالى الا بمعرفة الانسان الكامل وهو باب
الله الاعظم والعروة الوثقى والحبل المتين الذي به يرتقي الى العالم الاعلى والصراط
المستقيم الى الله العليم الحكيم والكتاب الكريم الوارد من الرحمن الرحيم فيجب على كل
احد معرفة ما في هذا الكتاب المكنون وفهم هذا السر المخزون وهذا معرفة النبي
صلى الله عليه وآله ومعرفة الامام عم من مات ولم يعرف امام زمانه مات ميتة
جاهلية لان حيوة الانسان في النشاة الدائمة انما هي بمعارف الحكمة الالهية و
الانسان في النشاة الدائمة انما هو بمعارف الحكمة الالهية والانسان الكامل
ينطوي فيه الحكمة كلها وهو مفاد قوله من اطاعني فقد اطاع الله وقوله عم من
عرف نفسه فقد عرف ربه والمراد به نفس النبي تحقيقا لقوله النبي اولى بالمؤمنين
من انفسهم وذلك لان الحقيقة النبوية بنور هدايته تكمل نفوس المؤمنين وتنور عقول
الادميين وتخرجهم من القوة الى الفعل وافاض عليهم العلم النوري وافاد لهم
الوجود الاخروي فيكون ذاته علة لتحقق الحكمة والايمان فيهم ومحصلة لذواتهم بحسب
الوجود البقائي والثبوت السرمدي والعلة الفاعلية للشيء اولى به من نفسه

لان الشيء مع نفسه بالامكان ومع علته ومكمله بالوجوب والكمال اولى بالشيء من
الامكان والنقصان فافهم وتامل في ما افدناكم من معنى وجوب اتباع النبي والامام
وكونهما مقومين لذات المؤمن بما هو مؤمن فانه يتيمة الوقت لم تجده في غير هذا
المقام والله الهادي الى دار السلام مرآة ادمية فيها ايات ربانية
وانوار رحمانية ولنذكر انموذجا من كتاب الحكم الالهية ولبابا من المعاني القرآنية
المسطورة في هذه النسخة الادمية المكتوبة بخط معنى الهي وهو الكتاب المبين واللوح
المنقوش بنقوش كرام الكاتبين لتكيفهم وسطور الكتب في درسه هذا الكتاب الذي
ناولك الحق الاول وفيهم مقاصده هذا المرقوم المسطور المهدي اليكم من جانب
الرب الغفور وتحقيق المسائل الالهية عنه وتبيين المعارف الربوبية المستنبطة من
ارقامه ومبانيه فنقول اعلم ان الانسان الكامل بحسب اصل ذاته التي بها هو موجود
بل وجود قائم بنفسه مجرد عن الزمان والمكان مقدس عن الحلول والاشارة الحسية
والانقسام نور من انوار الله المعنوية وسر من اسراره العقلية ووجه من وجوه
قدرته وآية من آيات حكمته وعين من عيون الهيته وكلمة من كلمات علمه وارادته
وهذه الصفات الذاتية له كلها ماخوذة من الصفات الذاتية الالهية والنعوت
الجلالية الكبريائية وقد ظهرت في عبد من عباده واما بحسب احواله وصفاته
اللازمة او العارضة فهو عالم قادر مريد سميع بصير حي متكلم الى غير ذلك من
الاوصاف وهذه كلها ايضا مظاهر صفات الله الكمالية والجمالية لان كلها من كمال
الموجود بما هو موجود فاذا وجد في المعلول فلا بد وان يوجد في العلة المفيضة

على وجه اعلى واشرف واما بحسب افعاله فافعاله كافعال الباري جل ذكره فكما
ان افعاله تعالى منقسمة الى ما يدخل في الزمان والمكان والحركات والمواد وهو
الازمنة والحركات وهي المسماة بالكائنات والى ما يدخل في الامكنة والمواد
دون الازمنة والحركات وهي الاختراعيات والى ما يرتفع عنهما بالكلية وهي المسمات
بالابداعيات فكذلك الفعل الصادر عن جوهر ذات الانسان بعضه بنسبة الابداع
وهو ما لا يفتقر فيه الى آلة وحركة كادراكه المعارف الحقيقية والاحكام الحقة اليقينية
كايمانه بالله وكتبه ورسله واذعانه ليوم الاخرة ورجوع الخلائق الى الخالق
وذلك عند صيرورته عقلا مستفادا عقيب تكرر الادراكات وتكثر المشاهدات
حتى صار مستغنيا عن احضار مخزوناته وافادة معقولاته الى عن الالات والحركات
الفكرية بل كلما توجه الى معقول حضر عنده مائلا بين يدي ذاته المجردة وبعضه
بنسبة الاختراع كالحاصل عند تمثل الصور له في الخيال فان افادة المتخيلات
بنسبة الابداع والخيال بنسبة الاختراع وكذلك افاعيله الطباعية الواقعة منه
في البدن من غير فكر وروية كحفظ المزاج وجذب الغذاء ودفعه وتصوير الاعضاء
وتشكيلها باذن الله وكلمته وتاييد من عند الله له بجنود لم تروها وبعضه بنسبة
التكوين وهو افعاله الظاهرة الحاصلة بارادته وقصده وحركته كالكتابة
والاكل والشرب وسائر افعاله البدنية والنفسية التي فيها مصلحة اعضائه وقواه
وجنوده الظاهرة بحسب معاشه ودنياه بحيث يؤدي اولاه الى اصلاح معاده
واخراه ليستعد بذلك للسعادة القصوى واما من حيث مملكته وعالمه واجزاء

اوامره في عباده وبلاده فعالم الصغير اعني بدنه وما يرتبط به يضاهي مجموع العالم
الكبير اعني السموات والارض وما يتعلق بهما واوامره في افراد عالمه يضاهي اوامر الحق
في افراد العالم فكما ان لافعال الله سبحانه من لدن صدورها الى مكان عنها في
مظاهر شهادتها اربع مراتب وهي العناية والقضاء واللوح والقدر الخارجي
كما اشرنا اليه فكذلك لافعال خليفة الله وصدورها اربع مراتب لان كلما يصدر
منه فقد وجد اولا في مكمن سره الذي هو غيب غيوبه وعقله الاجمالي وكتابه
القرآني ثم يتنزل للتحصيل في قلبه الباطن ونفسه الناطقة عند استحضاره بالفكر واخطاره
بالبال كاحضار التصورات الكلية والقضايا الكلية وكبريات القياس بمدد
بعض ملائكة الله العلوية عند الطلب للامر الجزئي وتحصيله خارجا واحضاره من
حد العلم الى حد العين فينبعث عنه العزم على الفعل ثم يتنزل الى محل خياله
متشخصة جزئية وهو موطن التصورات الجزئية وصغريات القياس بمدد بعض
الملائكة المدبرة السفلية ليحصل بانضمامها الى تلك الكبريات رأي جزئي ينبعث
عنه القصد الجازم للفعل ثم يتحرك اعضاؤه عند ارادة اظهاره بيد بعض جنود
الله المحركة فيظهر ذلك الفعل المقدر عيانا وفق الارادة التي بعد التصور والتفكر
فالتعقل الاول بمنزلة العناية والقضاء الاجمالي ومحله وهو الروح العقلاني في
بمثابة القلم والصورة الثانية بمنزلة نقش اللوح المحفوظ والثالثة بمثابة الصور
في السماء فان الروح الدماغي بمنزلة السماء وجوهر الدماغ ومخه بمنزلة هيولاها
والقوة الخيالية بمثابة نفس الفلك المنطبعة والصور الخيالية بمنزلة الصور للاشياء في

عالم السماء قبل وجودها في المواد الخارجية والرابعة بمثابة الصور الحادثة في
المواد الخارجية العنصرية وعند ذلك يتحرك الاعضاء بمنزلة حركة السماء ووجود
الكتابة وغيرها من الصنائع في مادة خارجية هي موضوعة لفعله وصناعته بمنزلة
وجود الاكوان الخارجية في المواد العنصرية وسلطان العقل الانساني في
الدماغ كسلطان الروح الاعظم في العرش وظهور قلبه الحقيقي الذي هو نفسه
الناطقة في القلب الصنوبري كظهور النفس الكلية الفلكية في الشمس التي هي مثال
نور الله تعالى في عالم الاجرام لانها نور السموات والارض في عالمنا فيكون على هذا
نور الشمس بمنزلة المصباح وزيتها صورتها النوعية التي يكاد تضيء ولو لم تمسسه نار
النفس المجردة الشمسية والفلك كالزجاجة والهيولى كالمشكوة والقوة الطبيعية السارية
في العالم الجسماني هي الشجرة المباركة وهي ليست من شرق الجواهر العقلية ولا من غرب
الابعاد المادية يكاد زيتها يضيء وهو نور الانواع الجسمانية ولو لم تمسسه نار النفس
الكلية المقومة لها لكونها خليفة النفس في عالم الطبايع كما ان النفوس والعقول
خلفاء الله في عالم الارواح ونور على نور وهو النور الحسي من الشمس المفيض على نور نفسه
المجردة او نورها النفسي المقوم لنورها الحسي العالي عليه ففي هذا التأويل يكون النور
الحسي العالي عليه ففي هذا التأويل يكون النور الحسي للجرم الشمسي مثالا للنور الواجبي الذي
بمثابة شمس الانوار العقلية واما في ساير التأويلات الحقيقية التي ذكرناها فهي
بمنزلة ما يكون نورها الحسي محدودا من نور السموات والارض بل يكون محدودا من
جملة الظلال والابعاد والزغال والمداد لكلمات الله المكتوبة من القلم العقلي على

الالواح النفسانية والاقدار الخارجية كما ورد في النظم الفارسي دوده كندم دم
الخ اذ دود چراغ چرخ چارم اشراقات واشارات قد انكشف لك مما
فتحنا على قلبك باذن الله ابوابه وقوانا عليك من الحكم اللبابية اسرار لطيفة من بل
معرفة الله وآيات عظيمة من صحائف ملكوته وبدايع فطرته وجوده ونتايج رحمته
وشعشعة شمس جوده ولو اخذت الفطانة بيدك عند ما لاحظ مملكة الآدمي ونفوذ
امره في قواه والآلاته واحاط علمه بما في عالمه وطبقات موجوداته وسراية نوره في
صوره العلمية ونقوشه الادراكية الحاصلة في مرآة ذاته ثم المرتسمة في الواح تصورات
التي هي بمنزلة عالم سمواته ثم الحالة في محال حواسه وماديات التي بمنزلة عالم ارضه
وكاينات لرايت بعين هذا الاشراق ان هوية الروحية مظهر اسم الله ونور
سماه وارضه فتحققت بمعرفة آية النور على احكم طريق واوثقه وعلمت على شهودها
نورها واشراق كشفها حضورها ان الله نور السموات والارض فان جميع ما يوجد
في مملكة الآدمي وعالمه انما وجودها وظهورها بنور هويته المستورة عن الخلق لغاية
ظهور آثارها وكثرة افاعيلها وانوارها فصارت افعالها وآثارها حجبا للخلق عن
روية ذاتها ومشاهدة جمالها وجلالها كما ان ظهور العالم الاكبر ومظاهر اسماءه تعالى
حجب للخلق عن مشاهدة اربابها وجماله وجلاله وبه اشرقت الارض والسماء وهو النور
الذي ظهرت به مظاهر الاسماء وكما ان بذلك النيرة العقلية حصلت واكتشفت وتنورت
الصور الادراكية العقلية والنفسية والخيالية والحسية في مراتب مداركك النفسانية والقدسية
واللوحية والقلمية فبذات القيوم كل آن تنوعت وتنورت كل ما في العالم ونشئات

والالواح

والالواح والاقدار والاراض والسموات تنوعها ظهورها شهودها وتنور التحصيل
وجودها فاشكر ربك سبحانه في اعطاءه لك مفتاحا لخزاين الرحمة والجود وعنده
مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو الآية بل كنز المخفيا يحصل منه كل بغية ومقصود وفي
انفسكم افلا تبصرون ودرا ثمينا يسهل به الوصول لكل موجود ومرقاة للصعود
للمعارج الحق المعبود وفي انفسكم حتى يتبين لكم انه الحق فما من مطلب الا ويوجد فيه و
ما من بغية الا ويتيسر منه حصوله لما المطالبية فهو الطلسم الاعظم والترياق الدافع للسم
والفاروق الاكبر وباب حكمة الله الانور والكتاب المبين والسر المكتوم والنبأ العظيم
الذي هم فيه مختلفون ومعجزة في الكاف والنون والقرآن المبين والعروة الوثقى
والحبل المتين ومطرده للشياطين وليلة القدر والاسم الاعظم ويوم الجمعة والمسجد
الاقصى والكعبة والحرم والبيت المعمور والسقف المرفوع والبحر المسجور والرق المنشور
لا غير ذلك من اسمائه وصفاته التي لا تعد ولا تحصى حكمة محمدية اعلم ايها
السالك وتدبر وتفكر وانظر في ما سطر في هذا المسطور ونور بصرك بسواد ارقام
هذا المزبور وشمر لنفسك الصراط المستقيم والسبيل الى الله الكريم ليس في الارض
ولا في السماء ولا في البر ولا في البحر ولا في الدنيا ولا في الآخرة بل في ذات السالك
الذاهب منه فيه الى ربه قل هذه سبيلي ادعو الى الله على بصيرة انا ومن اتبعني
دواؤك فيك ولا تشعر وداؤك منك ولا تبصر وهو قلم الحق الاول المعلم للانسان
ما لم يعلم وعلمك ما لم تكن تعلم الآية وهو لوح الله الماخوذ بيد الانبياء لقوله
واخذ الالواح وفي نسختها هدى ما آتيكم الرسول فخذوه وهو القرآن المبين و

وحبل الله المتين فان القرآن خلق الانسان الكامل كما روي عن بعض ازواجه انها
قالت حين سئلت عن خلقه صلى الله عليه وآله كان خلقه القرآن وكل ما في الارض والسماء
فهو في هذا المسمى بجميع الاسماء لانه كتاب مبين لا رطب ولا يابس الا فيه ففيه النعيم ولذاته
ومنه الجحيم وآفاته فيك الموت والحيوة ولك الثواب والعقاب وفيك روضة
من رياض الجنان وفيك حفرة من حفر النيران كما قلت في المثنوي درونی بود روضه
از بهشت درونی بود حفره از كنشت بود سینه كش عمارت كنند بهر دم عزيزان
زيارت كنند چو قبر بزرگان با آفرين ملائك طواف كنند از كمين دگر سينه همچو
قبر يهود پر از وحشت لعنت وچرك ودود پر از فحش ووسواس وحرص ودروغ
نگيرد ز انوار حكمت فروغ يكى لوح از مكتب علم غيب يكى نامه پر ز وسواس وريب
بر اين نسخه مكتوب حق شد رقم بر آن دست ابليس روز و قلم اللهم انى اعوذ
بك من عذاب القبر ومنشأ عذاب القبر وباعثه البشرية التي كلها عذاب فالمخلص
من عذاب القبر انيبوا الى الله وسارعوا الى مغفرة من ربكم الآية وسئل عن بعض
الاكابر عن عذاب القبر فقال القبر كله عذاب واعلم ان اول درجة من درجات
السير الى الله هو الخروج من مضيق العالم وقبر البشرية وغبار الهيئات النفسانية
وفي الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله من اراد ان ينظر الى ميت يمشي
فلينظر الى وادل ما ينكشف عليه من احوال الآخرة وتحولها منها هو احوال البرزخ
وكشف القبور وتحصيل ما في الصدور وما يتمثل للميت فيه من الحيات والعقارب
والكلاب والموذيات والمعذبات وسؤال المنكر والنكير وهذه الآية مما

صعو دركه على اكثر ارباب الدقة والبحث والعقول الفلسفية والطباعية والدهرية
ولا يمكنهم الايمان به لكونه فوق اطوار عقولهم فلم يقنعوا الا بالكشف بالتقليد
المحض فيه لا عيانا وهم بعدم الاذعان بشيء الامن جهة الدليل وليس للدليل الى
الامور الشهودية والكشفية سبيل فاخذوا في التعجب قائلين كيف يجوز ان يسئل
الانسان ويخاطب في قبره وينزل عليه ملكان يشهد بهما الانسان ويخاطبهما و
يسمع كلامهما ولم يرهما غير الميت ولم يسمع شيئا وفي هذا المقام سر عظيم لا يجوز
التصريح به الا لمن ماتت رغبته في الدنيا وخرج روحه عن هذه المقبرة الهيولانية
والغرض ان الانسان الكامل جامع لجميع ما في العالم الكبير من الجواهر والاعراض
والسماء والارض والنجوم والملك والجن والحيوان والجنة والنار والكتاب
والصراط والميزان وغيرها فهو خليفة الله في الارض والسماء فله جوهر ذاته واعراض
صفاته وسماء رأسه ونجوم حواسه وشمس قلبه وارض بدنه وجبال عظامه وطيور
قواه المدركة ووحوش قواه التحريكية بل كلما وجده الله تعالى في عالم الملك و
الملكوت فهو مأمور بطاعة الانسان الكامل وسجوده لانه خليفة الرب ومظهر جميع
الاسماء لقوله وسخر لكم ما في السموات وما في الارض وقوله واسبغ عليكم نعمه ظاهرة و
باطنة فجميع ذرات الكونين يسبح له كما يسبح لله تعالى وقد ورد في الحديث ان العالم
ليستغفر له من في السموات ومن في الارض حتى الحيتان في البحر فجملة اهل الملكوت و
الملك وملائكة الله كلهم اجمعين مأمورة من الله تعالى لقوله اسجدوا لآدم بطاعة الانسان
الرباني والبشر السبحاني وله خلافتان خلافة صغرى وخلافة كبرى فالله تعالى لما اراد

بقدرته التامة وحكمته الكاملة لم يجعل خليفة من قبله في الارض الخلايق ونايبا معنونا
من حضرته في انشاء الحقايق وافشاء المنح وبث الخيرات على القاصي والداني سخر
له ما في الارض جميعا ليجمع له اسباب السلطنة الصغرى الظاهرة وقيل السلطان
ظل الله في الارضين وسخر له ما في السماء ليجمع له اسباب السلطنة العظمى فبنى له سريرا
جسمانيا في بيت معمور القلب في مملكة البدن وعالم العالم ثم امر الملائكة السفلية بطاعته
وانقياده بقوله اسجدوا لآدم فسجد تحت قدمه كل ما في ارض البدن وجبال
العظام ومياه الفم والعين والانف والاذن واقاليم الاعضاء السبعة الظاهرة
وهي اليدين والرجلان والظهر والبطن والراس ونجوم الحواس وجحيم المعدة وزبانية
القوى الطبيعية وعرش القلب وكرسي الصدر وسموات الدماغ المشحونة بالالهامات
العقلية والمعاني الفكرية من جهة اللطيفة النورية وهي بمثابة الملاء الاعلى لهذا الخليفة
والملاء الاسفل بمنزلة الشياطين واعداء الله والنفس الخارج من باطنه بمنزلة الهيولى
القابلة لبسايط الصور ومركباتها والحروف الهجائية بمنزلة الصور النوعية البسيطة
الفلكية والعنصرية والكلمات الثلث وهي الاسم والفعل والحرف بمنزلة المواليد الثلثة
الجماد والنبات والحيوان فاذا تم له الخلافة الصغرى ايده الله تعالى بجنود لم تروها
لاجل الخلافة العظمى وسخر له بهذه الجنود الروحانية جميع ما في عالم الملك والملكوت
لقوله وسخر لكم ما في السموات وما في الارض ثم امر بطاعة هذا النايب الرباني وسجود
هذا الخليفة الالهي جميع ملايكة الكونين فسجد له الملائكة كلهم اجمعون فتم له الخلق وتم
نيابه عنه تعالى الخلق وكان فتبارك الله احسن الخالقين بسط كلام لتوضيح

مقام

مقام هذا النايب الرباني والعبد المقرب السبحاني والخليفة لله تعالى والمرآة لصور
الاشياء انما فاق على الكونين بتمكين العلم التام بحقايق الاشياء والقدرة الكاملة
على ماهيات الاشياء اما العلم فعلمه منقسم الى علم الظاهر وعلم الباطن فعلمه الظاهر يحيط بجميع
ما يحتاج اليه في خلافته الظاهرة من كيفية استنباط الصنايع واستخدام الطبايع
ومعرفة تسخير الحيوانات واصطياد الوحوش والطيور من الارض والهواء واستخراج
الحيتان بقوة التدبير عن قعور البحار فيرد الطير بدقة الفكر واصابة الراي من اعلى
الجو ويصطاد الوحش بكثرة الحيل من قلل الطود والجبل ويستنبط بفرط الذكاء
ودقة الفهم مقادير الافلاك وابعادها ويعلم بمعرفة المساحة وقوة الحساب بروج
السماء وتقاويم النجوم ومقادير حركاتها وجهاتها واقاليم الارض ومقادير
الجبال ويحكم بخسوف القمر وكسوف الشمس في اوقات معينة واوانات معلومة ويضع
علوما كعلوم الادب والشرايع والاخلاق وعلم السياسة والحكومة والنجوم و
الطب واللغة والشعر والحساب والموسيقى والفال والزجر والشعبذة والقيافة
والحيل وجر الاثقال واخراج القنوات ومعرفة الجواهر والمعدنيات وعلم
الادوية والنباتات المفردة والمركبة وكيفية دفع السموم والامراض وعلم البذر
والفلاحة وساير علوم الصناعات واما علم الباطن فهو معرفة الروحانيات ومكاشفة
الملكة العلويات والاحاطة بجواهر العقليات والمثل الافلاطونية والاطلاع
على المبادي الاول وما هو اول الاوايل والغايات الاخر وما هو غاية الغايات
وبالجملة العلم بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر والاحاطة بصورة الوجود

الحيتان

كله وبه يصير الانسان بحيث كانه احد مكان الصقع الربوبي وموضوع العالم
العقلي والالهي القدرة فتمامها انما يظهر في النشأة الثانية وههنا كيف ينبغي ان يكتسب
ههنا وفيها ما تشتهي انفسكم وعند ذلك يشاهد انقياد الملائكة وطاعتهم للانسان
الكامل طاعة الله كما في قوله تعالى اسجدوا لآدم وفيها يتحقق خلافة الله تعالى بالحقيقة
وسر قوله فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين اساس حكمي
يبتني عليه اصول عرفانية لبني الحقائق المتاصلة عوالم ونشآت ومظاهر
وتمثلات وجميعها مما يوجد في المسجد الجامع الانساني وهو صومعة اهل الذكر
والتسبيح ومعبد الخلائق كلهم فمنها الجنة فان خلق الواسع جنة عرضها كعرض السماء
والارض وسوء خلق الضيق جحيم واعمال الحسنة هي الصور الجسمانية من الانهار
والحور والقصور واعمال القبيحة صورة النيران والحيات والموذيات والجحيم
والزقوم وهذه الصفات والملكات الجميلة والرذيلة والاعمال والآثار الحسنة
والقبيحة انما هي اصل ما يشاهد الانسان في الآخرة وبذر ما يوجد ويتحقق في
العقبى وجودا وتحققا اتم واثبت من وجود هذه الصور المادية الدنياوية فيتنعم
بها السعداء ويتعذب باضدادها الاشقياء ولاهل الجنة اقتدار على احضار ما
يشتهون واستحصال ما يدعون لهم فيها ما يدعون نزلا من غفور رحيم فيها
ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين حتى ان ادنى اهل الجنان والبلههم يأكل في لحظة مقدار
ما يأكل جملة اهل الدنيا من غير ملال وكلال ويوجد لهم في لقمة واحدة لذات
سبعين طعاما من اطعمة الدنيا وحلاواتها وهذه جنة العموم حتى البله وغيرهم

ادنى م

واما جنة

واما جنة المحبين لله فهي ما عبر عنها بقوله تعالى فادخلي في عبادي وادخلي جنتي و
قوله اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر
على قلب بشر والحاصل ان هذه الدرجات الجنانية العالية ومقابلها من الدركات
النارية الجحيمية حاضرة مع هذا الانسان في الدنيا والخلق غافلون عنها الا من
ايده الله بالكشف التام فيرى نعيمهم وفي اجابتهم ما لا يرى اهل انفسهم اولئك ينادون
من مكان بعيد وازلفت الجنة للمتقين وبرزت الجحيم للغاوين يصلونها
يوم الدين وما هم عنها بغائبين واعلم ان الحق تعالى اله واحد ورازق واحد
وباسط واحد ينزل منه فيض واحد ينبسط على الكل بقدر واحد من جانبه
لكن تختلف باختلاف الاذواق والمشارب قوله تعالى ونفضل بعضها على بعض
في الاكل فمنه عذب فرات لصفاء المحل وسلامة القلب ومنه ملح اجاج لكدورة
المحل بسبب المعاصي والآثام والاسم الجامع للجنة والنار العام لجميع مراتبها الموجودة
في العالم الكبير والصغير وما فوقهما هو الوصال للمحبوب والفراق عنه فجنة السعداء
في الحقيقة هي وصولهم الى ما يشتهون ويحبون فيها ما تشتهي الانفس وجحيم الاشقياء
هي فراقهم عن مشتهيات الدنيا ولذاتها الباطلة وحيل بينهم وبين ما يشتهون
واما جنة المقربين فهي جنة معبودهم ومقابلها هو الاحتجاب جحيم المبعدين
كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون قال بعض المحبين العشق هو الطريق ورؤية
المعشوق هي الجنة والفراق هو النار نار الله الموقدة التي تطلع على الافئدة
واعلم ان مذهب العشاق وطريقتهم غير مذاهب الناس وطرائقهم وهو كالعشاق و

وسعيهم غير حركات الناس ومساعيهم فاعلا وغاية حيث لم يحرك العاشقين جذبة
الحق التي توازي عمل الثقلين وغاية سعيهم وسفرهم ومنتهى حركاتهم لقاء الله تعالى
وجحيمهم هو الاحتجاب عنه الجار ثم الدار وانما يريدون الجنة وما قرب اليها من
قول وعمل لما فيها ظلال وجهه وكشعة نور جماله وفيما بينه على هذه الدعوى ليس
رؤية الشمس ورؤية شعاعها شيء آخر الا ان الشمس لا يعرف ولا يهتدى اليها الا
بالشعاع وهذا مثال ارادة العارف للاشياء وطاعته لما سواه وههنا مثال
آخر اوضح من هذا عند اصحاب الفكر والخيال هو ان رؤية القمر في الماء ومعاينة
وجه القمر ليلة البدر شيء آخر فمن رأى وجه القمر في الماء فقد رآه الا انه قد رآه مع
حجاب من وجه وهكذا قلب العارف كالمرآة التي يرى فيها سر الله تعالى كما
قال بعضهم مثل القلب كالمرآة اذا نظر فيها تجلى به وكان في مصحف ابن مسعود رضه
مثل نوره في قلب المؤمن كمشكوة فيها مصباح فانظر كم بين قلب منور يشهد فيها
نور وجه الله وبين قلب منكوس كان عش الشيطان واذا وقع القول عليهم اخرجنا
لهم دابة من الارض تكلمهم ولنعد لما كنا بصدده ولنعتذر ابناء العقول السليمة
فان الكلام يجر الكلام وارتحلنا به الى هذا المقام وكان كلامنا في الحقايق امثالا
في العوالم بل بنا على كل عالم على وجود المظاهر وكامثلة فان جميع صور هذا العالم امثلة
لما في العالم الاعلى يظهر للنفس الانسانية بواسطة مرائي الحواس ومظاهر المشاعر
بل كل صورة كان في عالم من العوالم يكون في ذلك العالم شهادة عنده حاضرة لديه
وغيره غيبا عنه محجوبا عن نظره والخلق وتوقفهم واعتمادهم على ثبوت الصور

الموجوده في هذا العالم دون غيرها من الصور الموجوده في عالم آخر اعلى من هذا العالم
لتسلطهم الحواس وامتزاجهم بالمحسوسات والعوائق لكلاتهم كما روي عن امير المؤمنين عليه السلم
انه قال انا اعرف باحوال السماء من احوال الارض وقول النبي صلى الله عليه وآله اطت السماء و
حق لها ان تئط ليس فيها موضع قدم الا وفيها ساجد وراكع ضرع فان النبي صلى الله عليه وآله
قد علم احوال كل شيء من سماء السماء وما يتعلق بها من نفس وعقل عبر عنها بالراكع والساجد
والعامه والظاهريون من العلماء انما اعتمادهم على صور هذا العالم لعدم استطاعتهم على تجريد
كل صورة عن جميع خصوصيات المادة التي عاهدوا فهو شكل لم ينكروا الا لفهم بالمادة المخصوصه
واعتيادهم بالصور المحسوسه واما العالم الراسخ فكلما كانت الصورة اخلص جوهرا من المواد
واجود واجود وجودا من الاشيه كانت اشد تحققا عنده واقوم ثباتا وادوم بقاء و
تائيد لما وقع سمعك ما روي عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال ان في الجنة سوقا
يباع فيه الصور ونقل عن بعض الصلحاء انه قال رايت ربي في المنام على صورة امي ونقل عن المعبر
الرب بآيات القرآنية وكلام الله وعنده ام الكتاب وهذا ضرب من التمثل ورؤية النبي صلى الله
عليه وآله جبرئيل تارة في صورة اعرابي وتارة في صورة دحية الكلبي وتارة في صورة عظيم كانه
طبق الخافقين كل ذلك من التمثلات المختلفة بحسب المقامات المتفاوتة والنشئات المختلفة و
الا فجبرئيل حقيقة واحدة وانما اختلافه بحسب اختلاف العوالم والنشئات وعلى هذا العيان
الحكايات الواردة في رؤيا النبي صلى الله عليه وآله ورؤيته ربه ورؤيته سائر الانبياء وكذا الانبياء
عليهم السلم ربهم على انحاء مختلفة متفاوتة في الظهور والخفاء بحسب عظم الحالات ودقتها وجلاء حجب
هواء الباطن وكثافته وجود ذنب لا تقاس به ذنب وتغيضه الموسوم بجبل موسى عليه السلم فالم يغفر

السالك عن هويته ولم يرتفع من البين حجاب تعينه ولم يضمحل اضمحلال الجميد وذوبان
الثلج عند استيلاء قهر شمس الحقيقة عليه لم يشاهد ذات الحق تعالى واول ما يجب على
السالك الذاهب الى الله تعالى بقدم الصدق والموفق ان يرفع من طريقه اذى هويته
التي هي من جملة الآفلين وان يتطور في اطواره بصورة الطبع والنفس والعقل
كالكوكب والقمر والشمس حتى يصدق كالخليل في دعواه وجهت وجهي للذي فطر
السموات والارض حنيفا مسلما وما انا من المشركين ومن علامات ولاية الله تعالى تمني
الموت كما قال سبحانه يا ايها الذين هادوا ان زعمتم انكم اولياء لله من
دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين وممن سكن عن اذى هويته التي
يجب على كل مسلم بمقتضى اسلامه اماطة اذاها عن طريق المسلمين من قلبه وروحه وسره
السالكين الى الله تعالى هو ابو يزيد البسطامي حيث قال البشرية ضد الربوبية فمن
احتجب بالبشرية فاتته الربوبية وكذا الحسين بن منصور اقتلوني يا ثقاتي ان في قتلي
حياتي او لا ترى ان المؤمنين حمدوا الله وشكروه على خلاصهم عن البشرية كما حكى
الله عنهم بقوله الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور تذكرة
واعلم ان معرفة احوال الموتى وذكر الموت من اعظم العبادات لان حجاب البشرية
اعظم الحجب ورفعه من اهم الامور ولهذا امتحن الله قلوب الناس بتمنيه في قوله فتمنوا
الموت ان كنتم صادقين وفي الحديث عنه صلى الله عليه وآله ان القلوب تصدأ
كما تصدأ الحديد وجلاؤها ذكر الموت وتلاوة القران وان سلك الحق فلا يزول
رين البشرية وعين التعين عن القلوب الا بجذبة من جذبات الحق التي توازي

عمل

عمل الثقلين فانظر الى انه اذا لم تخل مرآة قلب سيد الكائنات واشرف الممكنات
عن صدية الالتفاتات وغيون التوجهات الى هذا العالم حتى احتاج عليه السلام
لحفظ مقام القرب والعبدية الى الاستغفار في اليوم والليلة سبعين مرة كما جاء
في الحديث المشهور فكم من الذي غلظت مرآته ونقيت ذاته عن اوصاف البشرية
بالكلية بمجرد الاكتساب والعمل من غير جذبة ربانية ولا يبعد ان يكون قول بعض
المشايخ حيث قال الصوفي هو الله اشارة الى نحو هذا اي التصوف والتجرد عن
رق النفس وعبودية الهوى والاقبال بالكلية الى الحق انما يحصل بمحض جود الله وامداد
فرحه لسالك المعتصم بحبله المتين مثل الفناء في الله الا انما المنسابة في قلبه والفاضة
المعارف المتواردة على سره ليحده بالتوحيد من عالم البشرية الى عالم الربوبية ودرك
معرفة وعلمناه من لدنا علما ومن ههنا ينكشف ان العبادة من غير العلم لا وزن
لها ولا قيمة وسعي غير العارف كحركات الاموات والجمادات لا قصد فيها ولا معنى لها
ولا طائل تحتها كالحركة بالوضع فان كل حركة يكون غايتها من جنس مبدأها كما نظهر بالعيان
والاستواء وقد ثبت ان الغاية هي عين الفاعل بوجه الكمال فمبدأ الحركة ان كان
طبيعيه يكون غايتها امر طبيعي كالوصول الى الحيز الطبيعي وان كان امرا حيوانيا فغايته
امر حيواني كالاكل والشرب والشهوة والانتقام وان كان مبدأ امرا روحانيا فغايته
الوصول الى عالم الملكوت كالمعارف الاخروية وان كان امرا الهيا فغايته القرب
والمنزلة عند الله بفناء النفس عن ذاتها وبقائها بمبدأها وغايتها فلو لم يأمر الله
عبده ولا يأذن دعى في الدخول في بابه والوصول الى جنابه في مثل قوله يا ايها

المزمل فهو الذي يقوم من نومه للصلوة اكثر الليل ويصوم كل النهار وكان
رسول الله صلى الله عليه وآله قبل البعثة يسهر ليله ويظمأ نهاره ويقوم للعبادة
في جلح احتى تورمت قدماه وكان يقول قرة عيني في الصلوة وذلك
لغاية انسه بذكر الله وعبادته لاجل معرفته وعلمه بثمرة العبودية وهي غاية الربوبية
فاعبد ربك حتى ياتيك اليقين فالله سبحانه كان محركه وداعيه ومربيه وراعيه لا لشئ
اخر دنيوي او اخروي ولهذا اسماه يتيما في قوله الم يجدك يتيما فآوى اي في حضرة
القدس وجوار الله وقربه واليه اشير بقوله انا وكافل اليتيم كهاتين في الجنة
وجمع بين السبابة والوسطى والا فهذا العالم منزل الانعام والدواب وهذه
الدنيا جيفة وطالبها كلاب فكيف يكون ماوى اشرف خلق الله وانما الدنيا كمنزل
راكب وفي زايل وهذه الدار دار من لا دار له وفي الحديث عنه صلعم ما مثلي و
مثل الدنيا الا كراكب قال في ظل شجرة ثم راح وتركها وانما جاء رسول الله
صلى الله عليه وآله لا لهذا العالم لهداية الخلق ونجاتهم قد جاءكم من الله نور و
كتاب مبين وما ارسلناك الا رحمة للعالمين ذكر تشبيهي بل نقول المحرك
جميع الموجودات هو الباري جل ذكره بعشقه الساري في جميع الذوات ولكن
بعضها بتوسط بعض لقوله تعالى ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض
في ستة ايام ثم استوى على العرش يغشي الليل والنهار يطلبه حثيثا الى قوله
رب العالمين واعلم ان العالم كله كشخص واحد رقاص على اختلاف اوضاع
وفنون حركات اعضائه بعضها بالسرعة وبعضها بالبطوء وبعضها بالا

البسير

البسير وبعضها بالسكون فهو رقص ظاهره وبهتز باطنه فنون انواع الرقص و
الاهتزاز بحسب الحركة الطبيعية والنفسية والعقلية لدواع مختلفة في العلو والشرف والكمال حتى
تنتهي الى الغاية بالاخيرة الالهية للمبدا الاول الفعال البرئ بالكلية عن النقص والزوال في
الموضوع القابل المحمدي عليه وآله افضل الصلوات واكمل التحيات في الصلوات والتحيات
بمنزلة الصورة المترادفة على موضوع الحركة التي قيل في تعريفها انها كمال اول لما بالقوة
من حيث هو بالقوة وقس عليها حال الغاية والفاعل والقابل فحقق قول من قال الذي من
زعم ان محمدا رأى ربه فقد اعظم على الله الفرية اذا اخذه شك واذا اتحققت ما ذكر
زال عنك اشكال التناقض بوجه اخر بين قول النبي صلى الله عليه وآله نور اني اراه وبين
قول امير المؤمنين عليه السلام رأيته فعبدته لم اعبد ربا لم اره وكذا التنافي بين ظاهري كلامين
نقلا عنه صلعم في باب الرؤية احدهما قوله لبعض ازواجه ما رأيت ربي على عينه وحقيقة و
الاخر قوله صلعم وعلى آله لابن عباس اني رأيته على صورة النمل ومن ابواب التمثيل قوله صلعم
اول ما خلق الله نوري وقوله صلعم من رآني فقد رأى الحق وبماوردنا بيانه واحكمنا بنيانه انفا
ظهر صدق قول اساطين الحكماء انه القائل الحاكم بان الله موجود وهو نحو من البرهان الشبيه
بالعلم لا العقل لا العقل ويؤيده قوله صلعم تفكروا في آلاء الله ولا تفكروا في ذات الله
لان الفكرة لا يتسلط على بارئ الكل ولا يحيطون به علما وعنت الوجوه للحي القيوم فذاته
تعالى مما يستحيل لاحد الاكتناه والاحاطة به وليس لاحد فيها قدم اي مقام لا تدركه الابصار
وهو يدرك الابصار فلا يرى ذاته الا ذاته وفي الادعية النبوية بك اهتديت وبك انست ومن
هذا قول ذي النون المصري رأيت ربي بربي ولولا ربي لما قدرت على رؤية ربي و

وقول ابي الحسين ما دار احد بي سوء ربي ختم ووصيتي اني قد اشرت لك
يا حبيبي في هذه الفصول الى كنوز الحقائق ورموز الدقائق فاعلم قدرها وتمنع عن دها
وصنها عن النفوس الشقية الجاحدة لحقائق الايمان الكافرة بانعم الله لانهم اعداء الحكمة
ورفضة العرفان واحباء الهوى والشيطان واعلم ان تصوير الحقائق في صورة
الالفاظ وكسوة العبارات والاستعارات ليس الا كجرعة من دن لا بل كقطرة من بحر
لجي او كشعاع من شمس وانما اثبت لك هذه المعاني وتثبت بذورها في ارض قلبك
ولئن كانت فوق رتبتك لامرين احدهما ما ورد لئن شر الناس من اكل وحده والاخر
رجاء ان يظهر من يعرف قدر هذه المعارف من اولادي الروحانيين ويبرز من
يتجرد عن غشاوة هذه الاوان السوء وارائهم الخبيثة من اهل القراءة المعنوية فعليك
وعليهم بذوق معاني هذه الكلمات بنفوس زكية واذان نقية وقلوب صافية واسماع
واعية فخير القلوب اصفاها وخير الاسماع اصغاها واوعاها قال الله تعالى لو كنا
نسمع او نعقل ما كنا في اصحاب السعير ولابد بعدها ايقاظ من الزهد في الدنيا وتركها
لبنيها واهلها واعلم ان من ركن الى الدنيا ومال اليها اوقد الله بناره فصار
جوهرا فريدا لا قيمة له ودرة يتيمة لا مثل لها في الدنيا والاخرة وهذه صفة اهل الله و
احبائه واوليائه وقد اشرنا لك ان العوالم والنشآت ثلثة عالم الحس والدنيا وعالم
الغيب والعقبى وعالم القدس والماوى والمسافرون ثلثة اصناف صنف لها في
الدنيا ورأس ماله المتاع والثروة وربحه المعصية والندامة وصنف لها في الاخرة
ورأس ماله العبادة وربحه الجنة وصنف لله تعالى رأس ماله المعرفة وربحه

ذهبا خالصا ينتفع
به وهذه صفة اهل
الاخرة وارباب الملكوت
واصحاب الجنة ومن ركن
الى الله ومال اليه اوقد
الله بنوره فصار
صح

لقاء الله تعالى واعلم ان المعرفة اصل كل سعادة والجهل رأس كل شقاوة فان
سعادة كل شيء وعالم هو الشعور بما فيه خير لنا الدنيا مع حقارتها وقلتها وبطلانها
انما ينال اللذة فيها من كان ابلغ في الحواس واقوى في المشاعر الحيوانية فان كل لذة
هو نيل ملائم لشيء من حيث هو ملائم له وكل الم فقده او نيل ما يضاده فاذا كانت
اللذة والبهجة في هذه الدنيا منوطة بالمعرفة والشعور فما ظنك بعالم الاخرة التي
قوامها بالنيات والمعارف ثم ما ظنك بعالم القدس الذي هو معدن العقول
ومنبع المعارف فعليك بالحكمة والمعرفة واما الزهد والتقوى وسائر العبادات
والرياضات فانما هي كلها لاعداد الحكمة وتقدمة المعرفة وتصفية الباطن وتهذيب
السر وتصقيل مرآة القلب عن الغشاوة والرين حتى تصير مجلوة تحاذي بها
شطر الحق ويرى فيها وجه المطلوب واما نفس الصفاء والصقالة فلكونهما اعداديا
ليس مقصودة بالاصالة بل لاجل ما يظهر بها ويتصور فيها من آيات الحق وجلايا
وجهه على ان الزهد في الدنيا على اي وجه كان لا شيء محض لكون الدنيا لا شيئا محضا
والعاقل لا يزهد في اللاشيء وفي الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله لو كانت
الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء وفي القرآن
وما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور وهذه الحيوة الدنيا بالقياس الى مكان الاخرة
كذرة كانهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية او ضحيها وفي الحديث عنه صلى الله
عليه وآله ما الدنيا في الاخرة الا مثل احدكم غمس اصبعه في اليم فلينظر بم يرجع
فترك هذا القليل واجب وليس بزهد في الحقيقة وانما ورائها عالم او بل عوالم اخرى

اليها رجعن الطاهرات من النفوس وللاخرة اكبر درجات واكبر تفضيلا فمن اراد ان
يعرف عظم الدنيا وعظم اسمائه الحسنى الرحيمية عالم الاخرة ظلالها وهذا العالم
ظلال ظلالها ولكل منهم درجة نصيبا اكبر وحظا اوفر فليزهد في الاخرة وليزهد عن
الزهد فيهما ليتم حتى تخوض لجة الوصول ويخلص عن نفسه وقلبه بالكلية وقيل الزهد في الدنيا
يريح النفس والزهد في الاخرة يريح القلب والاقبال بالكلية الى الله يريح الروح واعلم
ان هذه العوالم والنشآت الوجودية بمنزلة طبقات بعضها محيط ببعض والسالك اذا
صعد من عالم وولج في عالم اخر كانه مات من الاول وتولد في الثاني قال عيسى عليه السلم
لن يلج ملكوت السموات من لم يولد مرتين ومن ههنا يعلم ان الكوكب وهو صورة الطبع
والحس الذي هو اول النشآت الحيوانية والقمر وهو صورة النفس الذي هو اول درجات
الانسان السالك والشمس وهي صورة العقل الذي هو اخر منازل عالم الامكان للنشأة
لا صورة العوالم الثلثة كان السالك في اول سلوكه في واحد منها بحسب رغبة
النفس وهويها ثم مات عنه اختيارا ودخل في الثاني ثم مات رغبة عنه ودخل
في ملكوت السموات لقوله وكذلك نري ابرهيم ملكوت السموات ليكون من الموقنين
ثم مات رغبته عن الكل بقوله لا احب الافلين وفني عن نفسه بربه ووجه وجه
ذاته لفاطر سموات العقول وارض النفوس حنيفا عن اثام الوجود والهوية مسلما
حنيفا موحدا لله تعالى من غير شرك لغيره ولئن كان هوية السالك هو هواه الذي اتخذ له
هو المعبود اصالة في كل عبادة ومحبة لغير الله كما دل عليه قوله افرايت من اتخذ
الهه هواه فصار الحق عنده ذلك الفاعل والغاية له في كل فعل وسعي وحركة و

انواع مبادي حركاته من القوى المدركة كالسمع والبصر والمحركة كاليد والرجل سواء كانت
داعية او فاعلة فليصح له ان يقول ان صلوتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين
ولله ان يقول من رآني فقد رأى الحق حيث صار الحق سمعه وبصره ويده ورجله كما في
الحديث المشهور لظهور الحق في مرآة قلبه واليه الاشارة بقوله تعالى ربنا اتمم لنا نورنا وقوله
نورهم يسعى من بين ايديهم وبايمانهم وفي الادعية النبوية اللهم اعطني نورا في قلبي ونورا
في سمعي ونورا في بصري ونورا في مخي ونورا في دمي حتى قال ونورا في شعري ونورا في
عظامي ونورا في قبري وفيها اللهم يا نور النور ويا مدبر الامور ويا عالما في الصدور و
ذلك نور وجهه وذاته فاعل جميع الموجودات ونورها في الارض والسموات ومنتهى كل
الخيرات وغاية ارتقاء الموجودات ان الى ربك المنتهى وانه هو اضحك وابكى
وانه هو امات واحيى وانه خلق الزوجين الذكر والانثى من نطفة اذا تمنى وان عليه
النشأة الاخرى وبه يؤمن كل مؤمن شهد الله انه لا اله الا هو والملئكة واولوا
العلم قائما بالقسط ومن اسمائه المؤمن المهيمن فان المؤمن اذا انقطع النظر عن هويته
وايمانه وعرفانه واثر المعروف ونفي بلا هو وعلم ان لا هو الا هو فتبدل ايمانه
بعيانه ووضح يوم البين وفني في العين وبقي ملك الوجود اليوم لله الواحد القهار
فشهد ذاته بالاحدية المطلقة والفردانية المحضة لا اله الا هو وشهد الله ذاته بلسان
الملئكة واولي العلم قائما بالقسط والعدل وهو احقاق الحق من بقاء وجهه وفناء
الوجوه لا مكانية وهذا هو الايمان الحقيقي المامور به في قوله عز اسمه يا ايها الذين
آمنوا امنوا واليه الاشارة بقوله من يؤمن بالله يهد قلبه وهذا الايمان يختم

ماده الشرك الخفي عن القلب لئن اشركت ليحبطن عملك وهذا الخفي من الشرك قل من
الناس من نجى منه وصفى قلبه عنه وما يؤمن اكثرهم بالله الا وهم مشركون فانت
يا اخي ما دمت معك فكيف يمكنك الصبر بالله وفي الله ومع الله واذا توكلت عليه
فهو حسبك ونعم الوكيل واعلم ان طلاب الحق طلبوا الحق بالحق فوجدوه وطلاب
الهوى طلبوا الهوى بالهوى فلم يجدوها ولن يجدوها ابدا فماذا بعد الحق الا الضلال
فان لم تسمع هذا الكلام مني ولم تصدق بفحواه فاسمع وتدبر فيما روي عن النبي صلى الله
عليه وآله انه قال ان المؤمن اخذ دينه عن الله وان المنافق نصب رايا واتخذ
دينه منه وقوله افرايت من اتخذ الهه هواه وقوله سبحانه كونوا ربانيين والحق
ان المؤمنين بالحقيقة والمتقين العابدين المخلصين لله ولرسوله ولاولي الامر
هم الحكماء الربانيون الراغبون عن الدنيا وغيرهم عبيد الهوى وعباد الاصنام
واولياء الطواغيت وصور الاجسام واصحاب القبور وسكان عالم الدثور و
سيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون اعاذنا الله واخواننا ايمانا كانوا من
الاغترار بالصور الباطلة وظواهر الاثار والركون الى مراتب اهل الحجاب و
منازل الاشرار والتستر بستر التقليد وغشاوة الامتراء والشك والانحراف
عن المحجة البيضاء هذا آخر ما قصدنا ابرازه وحاولنا اظهاره كتبه مؤلفه بيده
الجانية محمد بن ابرهيم المعروف بالصدر الشيرازي حامدا مسلما مستغفرا تم

على يدي اقل الخلايق رفيع الدين محمد بن محمد مومن
غفر الله لهما بحرمة نبيه واولاده المعصومين
في شهر محرم الحرام سنة ١٠٩٣

يا مبدا الوجود ويا مفيض الخير والجود ايدني بالنور
واعصمني عن الشرور ولا تؤاخذني بالنقصان الامكاني ولا تعاقبني بالنسيان
الانساني

ربنا اتمم لنا نورنا ويسر لنا امورنا

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين في التتميم

الحمد لله الذي انزل كلاما الهيا وكتابا سماويا فيه مجامع العلوم والحكم وبعث
نبيا هاديا ورسولا مبلغا اوتي جوامع الكلم والصلوة على مظهر اسم الله
الاعظم وصفوة صورة العالم وخلاصة بني آدم محمد واهل بيته المعظم المكرم
عليه وعليهم التحية والسلام من الله العظام الكرام مدى الليالي والايام والدهور و
الاعوام وبعد فيقول افقر الفقراء الى الله الحق المعين محمد المعروف بصدر
الدين الشيرازي نور الله عين قلبه بنور اليقين لفهم كتابه المبين لما كان نوع الانساني
في اول تكونه واقعا في حدود النقصان لكونه كباقي حاملي الصورة من مواد
العناصر والاركان وهي في مراتب السفل والهبوط بالقياس الى ساير الجواهر
والاعيان لكنه بحسب نوعه كان مختصا من بينها بمزيد خاصية هي قوة الترقي الى صدر
الكمال واستعداد الخلاص من معدن الشر والوبال والاتصال بانوار المبدا الفعال
ليصير احد سكان عالم الخير والنور متنعما بنعيم الاخرة ودار السرور متخلصا عن عالم الزور
ومخالط الآفات والشرور فلم يجز في دار الرحمة الالهية وسنة العناية الربانية اهمال
الانسان عما خلق لاجله واهماله بان يترك سدى وارساله كساير الحيوان في مراتع

البهائم غير هدى ومن المعلوم ان لكل شيء كمالا يخصه لاجله خلق وفعلا يختص به تتمة ذاته
وفوقه وكمال الانسان في ادراك الحقائق الكلية ونيل المعارف الالهية والتجرد عن
المحسوسات المادية والخلاص عن القيود الشهوية والغضبية وهذه لا تحصل الا بالهداية
والتعليم والتاديب والتقويم فبعث الله رسولا معلما وارسل كتابا جامعا فيه
لب اسرار التاويل وتفاصيل احكام التنزيل متضمنا لعلوم الاولين والاخرين
مشتملا على خلاصة الآداب والسنن التي كانت لساير النبيين والمرسلين مع زيادة
الكمال والتتميم وفصاحة معان في الفاظ الترقيم ونزلها منجما على حسب المصالح والاوقات
وفصلها في صور السور والآيات فكل سورة من سوره بحر مملوء من جواهر المعاني والبيان
بل فلك مشحون من كواكب الحقائق والاعيان وكل آية من آيه صدفة مكنونة فيها درر
ثمينة قيمة كل منها توازن روح الانسان بل ما في دار الدنيا الا وتستضيء في سماء
الهداية والنبوة والولاية فيشرق من لمعانها واضوائها حياة الانس والجان
في النشأة الآخرة ودار الحيوان والخلاص من ظلمة العمى والحرمان وعذاب القبر و
النيران وتلك سورة الواقعة من بينها مشتملة على اسرار شريفة من علم المعاد و
مقاصد عظيمة في معرفة نفوس العباد ودرجاتها بحسب حالاتها في الدار الآخرة و
اقسامها من جهة السعادة والشقاوة في النشأة الباقية وعلوم الآخرة مما تختص
بدركها عرفاء هذه الملة وحكماؤها الراسخون وليس لغيرهم من الفقهاء والمتكلمين
الا سماع الالفاظ والتصرف في مفهوماتها وجمهور الحكماء بعلومهم الفلسفية عن ادراك
احوال المعاد معزولون حتى ان رئيسهم اعترف بالعجز والقصور عن فهم المعاد الجسماني

وكذلك

وكذلك المجتهدون في مسايل الاعتقاد منخرطون في سلك التقليد مع ساير العباد
واني كنت سالفا كثير الاشتغال بالبحث والتكرار شديد المراجعة لمطالعة
كتب الحكماء النظار حتى ظننت اني على شيء فلما انفتحت بصيرتي قليلا ونظرت
الى حالي رايت نفسي وان حصلت شيئا من احوال المبدا وتنزيهه عن صفات الامكان
والحدثان وشيئا من احكام المعاد لنفوس الانسان فارغة عن علوم الحقيقة وحقائق
العيان مما لا يدرك الا بالذوق والوجدان وهي الواردة في الكتاب والسنة
من معرفة الله وصفاته واسمائه وكتبه ورسله ومعرفة النفس واحوالها من القبر و
البعث والحساب والميزان والصراط والجنة والنار وغير ذلك مما لا يعلم حقيقتها
الا بتعليم الله ولا ينكشف الا بنور النبوة والولاية والفرق بين علوم النظار و
بين علوم ذوي الابصار كما بين من يعلم احد حد الحلاوة وبين من يذوق الحلاوة
وكم بين من يدرك حد الصحة وحد السلطنة وبين من يكون صحيحا سلطانا وكذلك
مقابل هذه المعاني فعلمت يقينا ان هذه الحقايق الايمانية لا تدرك الا بالتصفية للقلب
عن الهوى والتهذيب عن اغراض الدنيا والعزلة عن صحبة الناس وخصوصا الاكياس
والتدبر في آيات الله وحديث رسوله وآله عليهم السلم والتتبع لسيره الصالحين في
بقية من العمر القليل وبين يدي السفر الطويل فلما احسست بعجزي وايقنت اني لست
على شيء وقد كنت قنعت عن الضوء والنور بظل وفيء استعملت نفسي لكثرة الاضطرار
اشتعالا قويا والتهبت قلبي لشدة الانضجار التهابا نوريا فتداركته العناية الازلية
بالرحمة ونظرت اليه العطوفة الربانية بسر من لوامع الملكوت فافاض علي

من بحر الجود شمام اسرار الوجود وافادني مظهر الخفيات ومنور المبهمات بعض اسرار
الآيات وشواهد البينات فاطلعت على بعض اسرار التنزيل وحقايق التاويل
فشرعت خيرة من الله ورسوله في تفسير طايفة من السور والآيات وقرعت باب رفع
الحجب عن وجوه البينات وكشف النقاب عن وجوه ابهاها بحمد الله كطبقات الجنان مفتحة لا بواب
فيها وجوه من الحور العين سادون اصحاب الكشف واليقين سلام عليكم طبتم فادخلوها
خالدين ففسرت كثيرا من الآيات والسور الطوال والقصار كما قضى الله واراد الملك
القوي والاقدار وانشاء وافاد وانبت العلوم وكانوا رفار ردت الآن ان اكتب ما
اجتمع لي وخطر ببالي من نكات التنزيل ومعارف التاويل المتعلقة بهذه السورة التي
هي بحر عميق في تحقيق علم المعاد وكنز من كنوز الآخرة يعرف بها عاقبة نفوس العباد ولا يمكن
غورها ولا يعرف قدرها الا بامداد علوي وتاييد الهي فشمرت عن ساق الجد مع طبع قاصر
وقلب منكسر ومزاج فاسد ومتاع كاسد وبضاعة قليلة وادوات كليلة وخاطر فاتر
خطر فيه البلايا وبال مبتلى بفنون الرزايا رجاء بلطف الله في اقتباس لوايح انواره
وتوكلا عليه في اقتناص سوارد اسراره وشرعت فيه سائلا من الله حسن التوفيق و
بيده مقاليد الهداية وازمة التحقيق قوله عز اسمه بسم الله الرحمن الرحيم
اذا وقعت الواقعة ليس لوقعتها كاذبة هذا من قبيل كانت الكاينة و
حدثت الحادثة والمراد القيمة وساعتها والناظرون في علم الكتاب يعني من اصحاب
يظنون ان زمان الآخرة وساعتها من جنس ازمنة الدنيا وساعاتها حتى انهم
يتوهمون ان يوم القيمة يوم مخصوص متصل اوله باخر ايام الدنيا فيشكل عليهم وقوع

السور

كالاخبار

كالاخبار عن وقوعه ووقوع حالاته بالفعل كما في هذه الآية وقد تكرر الاخبار عن وقوع
القيمة وحالاتها في القران بالفاظ دالة على ثبوتها وتحققها بالفعل مثل قوله تعالى
ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض وقوله ونزعنا ما في صدورهم
من غل الآية ونادى اصحاب الجنة ونادى اصحاب النار ونادى اصحاب الاعراف
واشباهها كثيرة فوقعوا في تكلف ارتكاب المجاز والمبالغة كما قيل في الكشاف
وغيره انها وصفت بالوقوع لانها تقع لا محالة ولم يتذكروا معنى قوله تعالى ما خلقكم و
لا بعثكم الا كنفس واحدة فنسبة البعث الكلية لجميع الخلق فكل النزاع يجاد الخلايق في ازمنتها
واوقاتها المتكثرة المتجددة انما هو من قبل الله وبالقياس الى مجاوريه ومتوسطيه من
ذوات الملائكة المقربين وعقول اوليائه الصديقين في دفعة واحدة واليه اشير بقوله
صلى الله عليه وآله جف القلم بما هو كائن مع انه تعالى كل يوم هو في شان اذ له تعالى
شان واحد في شئون كثيرة حيث لا يشغله شان عن شان ولا زمان عن زمان ولا مكان
عن مكان لتعاليه عن هذه الاشياء مع انبساط نور وجوده عليها وارتفاعه عن الاختصاص
في عالم الارض والسماء مع شمول علمه ونزول رحمته الى ما تحت الثرى فكذلك بعث الخلايق
كلهم عند احداثهم في لحظة واحدة من جهة لقوله وما امر الساعة الا واحدة كلمح بالبصر او
هو اقرب ومن خواص يوم القيمة ان مقداره بالقياس الى طائفة خمسون الف سنة لقوله تعالى
تعرج الملائكة والروح اليه في يوم كان مقداره خمسين الف سنة وبالقياس الى طائفة
اخرى كلمح بالبصر او هو اقرب انهم يرونه بعيدا ونريه قريبا وكذا من خواص الساعة
انها منتظرة الوقوع بالقياس الى طائفة يقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين

ولا يزال الذين كفروا في مرية حتى تأتيهم الساعة وهي واقعة بالعكس لطائفة اخرى
لان الساعة آتية لا ريب فيها فقوله ليس مع ما في حيزه صفة للواقعة ويحتمل ان يكون
عاملا في الظرف كما يقول القوم ليس لي عمل ولا يحتاج الى تأويل ليس بما يكون كما في
بعض التفاسير بناء على انه لنفي الحال فلا يكون عاملا في ظرف لم تقع بعد لما وقعت
في الاشارة اليه وعلى الاول يكون اذا منصوبا بفعل مضمر مثل اذكر ونحوه او بمحذوف
يعني اذا وقعت الواقعة كان كذا وكذا وفي الكشاف فسرت كاذبة وذكر في المعنى
اي لا يكون حين تقع نفس تكذب على الله وتكذب في تكذيب الغيب لان كل نفس حينئذ مؤمنة
صادقة مصدقة واكثر النفوس اليوم كواذب مكذبات كقوله فلما راوا باسنا قالوا
امنا بالله وحده لا يؤمنون حتى يروا العذاب الاليم ولا يزال الذين كفروا في
مرية حتى تأتيهم الساعة ولا يخفى ان القول بنفي الكذب على الله والتكذيب مطلقا عن
نفس اصلا مما يناقضه قوله تعالى ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة
كذلك كانوا يؤفكون وقوله ومن كان في هذه اعمى فهو في الآخرة اعمى والحق الحكم بان
كل نفس عند قيام الساعة مؤمنة صادقة مصدقة كلام ناش ممن لا بصيرة له في
ادراك المعارف الايمانية بل بناء معرفته على ظواهر المنقولات وما اشتهر وتقلد اولا
وذلك لان الايمان بالله واليوم الآخر هو غاية كمال النفس الانسانية لانه عبارة
عن نور من انوار الله يقذف في قلب من يشاء من عباده وهذا النور يطفئ نار
جهنم فكيف يتنور به نفوس الكفار والمنافقين وما ورد من الآيات في باب ايمانهم
عند نزول العذاب فبعضها محمول على ظهور الشقاوة عليهم يومئذ ومشاهدتهم

آثار

آثار السيئات ونتائج الكفر والعناد وتبعات المعاصي والفسوق واضداد
ما كانوا يحتسبون كما في قوله تعالى وبدا لهم ما لم يكونوا يحتسبون وبعضها مما لا
ينفعهم منه اذ بدء اعترافهم باللسان ودعواهم الايمان كما في قوله تعالى فلما راوا
باسنا قالوا امنا بالله وحده وربما كانوا الكاذبين في هذه الدعوى يومئذ
كما كذبوا في قولهم للرسول صلى الله عليه وآله نشهد انك لرسول الله والله
يشهد ان المنافقين لكاذبون لا انهم يصيرون بعد الموت عرفاء بالله و
آياته موحدين والا فكيف يعذبهم الله عذابا ابديا اذ البراهين العقلية و
السمعية ناهضة على خروج اهل التوحيد من النار فالقول بان كل نفس يوم
القيمة غير كاذبة في محل المنع نعم منشأ الكذب والغلط ومبدأ الشر والوبال
لا يكون الا في هذا العالم الذي هو منبع الشرور والظلمات ومعدن النقايص والآفات
كاين في معاده والنفس الشقية الكذوبة لا يكتسب مادة الكذب والبهتان والكفر والعصيان
ومنشأ التعذيب بالنيران الا بواسطة كونها عامرة في هذا العالم ولاجل تعلقها بالآلات
في حالة حطب نيرانها من هيهنا وكان في دار العمل والحجاب والعمى عن دار الشهود
والكتاب لا في اليوم فالاولى ان يحمل الكاذبة على المصدر كالعاقبة اي ليس لمجيئها وظهورها
كذب ومعناه انها واقعة حقا وصدقا وليس فيها ولا في الاخبار عن وقوعها كذب واللام
على الاول مثلها في قوله تعالى يا ليتني قدمت لحياتي وعلى ما ذكرناه مثلها في قوله عز اسمه
خافضة رافعة اما صفتان بعد الصفة او خبران لمبتدأ محذوف اي خافضة
تخفض اقواما ورافعة ترفع اخرين يعني انها الاشقياء المدبرين يهبطون ويخبطون فيها الى

الدركات الهاوية والسعداء المقبلين يصعدون فيها على الدرجات العالية وهذا امر
محقق الوقوع كما يدل عليه الاتيان بصيغة اسم الفاعل الدالة على الثبات والدوام فما
من نفس ما دامت في الدنيا الا وهي اما في الصعود او الهبوط بحسب النشأة الثانية من جهة
اعمالها الحسنة او السيئة لكن ظهور هذه الاحوال وكشف الاغطية عنها لجميع الخلائق موقوف على
قيام القيامة العظمى بموت الكل وظهورها لكل واحد بخصوصه موقوف على القيامة الصغرى بموته
قوله عز اسمه اذا رجت الارض رجا وبست الجبال بسا فكانت هباء
منبثا اذا مع ما يليه بدل من اذا وقعت او هو منصوب بخافضة رافعة والرج هو
التحريك الشديد فمعنى رجت الارض حركت تحريكا شديدا حتى ينهدم كل شيء عليها من الابنية
والجبال وهي كذلك عند قيام الساعة كما انها كذلك عند اهل الكشف الذين غلب على باطنهم ظهور
سلطان الاخرة فهم يرون الارض ومن عليها دائمة التحول والتنقل لا جرم لا تنهدم والزوال
من جبال الحالات والبس هو التفتيت للشيء والتفريق لاجزائه بعود كالسويق وبست الجبال
صارت متفرقة الاجزاء كالذرات المبثوثة في الهواء وكذلك اصل الجبال فانها في الاصل
كانت اجزاؤه متفرقة او اجزاء متفرقة في مدد طويلة لا يعلم كميتها الا الله فجمعتها ايدي
بعض ملائكة الله الموكلة بتصريف الرياح وتمويج البحار فانعقدت جبالا باذن الله في
بعض الاوقات ثم تعود الى ما كانت وزالت عن مواضعها في كل وقت على التدريج
ولو بهبوب الرياح ونزول الامطار وتأثير اشعة الشمس وغيرها من الانوار وتسخينها بالتحليل
والتبخير وعلى هذا القياس يرجع كل شيء الى اصله ويظهر على صورته الحقيقية التي كانت
عليها ولا شك ان الاخرة انما يحصل بارتفاع الحجب وظهور الحقائق وزوال التعينات

ولو

وتميز الحق عن الباطل على الذي اكتحل عين بصيرته بنور الايمان وتنور قلبه بطلوع شمس
العيان يجد اعيان الافلاك والاركان متبدلة وطبايع الصور والاكوان متحولة
من آن الى آن فهي ابدا في السيلان والزوال والحركة والانتقال حركة جوهرية وتجددا
ذاتيا لا بمجرد الصفات والاعراض فقط وفي المقولات الاربع لا غير كما زعمه المحجوبون
من اهل النظر بل كما اقيم عليه البرهان مطابقا لما وجده اصحاب المكاشفة والعيان
من ان الطبيعة السارية في اجسام هذا العالم هي حقيقة سيالة متجددة الذات غير قارة
بحسب الجوهر وعلم من ذلك ان الدنيا بجميع ما فيها حادثة وهي دار زوال وانتقال
والاخرة دار قرار وثبات كما يراه المليون حسبما وصل اليهم من حملة اسرار الوحي
والتنزيل وخزنة علم النبوة والتأويل قوله عز اسمه وكنتم ازواجا
ثلثة اي اصنافا ثلثة وذلك لان للانسان في مبادي ادراكاته ثلثة من
جهة قوى ثلث قوة العقل وقوة الخيال وقوة الحس ولكل قوة كمال فكمال القوة
العاقلة بادراك المعارف الالهية والعلوم الربانية وبه يحشر الانسان الى جوار الله
وملكوته وكمال القوة الخيالية في فعل الخيرات وتهذيب الصفات وتبديل السيئات
بالحسنات وكمال القوة الحسية بادراك الملائم الحسي من الملاذ الجسمانية والاغراض
البدنية وللانسان في اول تكونه بالقوة في كمال كل من هذه المبادي الثلثة وهو
بحسب كمال كل قوة يقع في عالم من العوالم بمقتضى طبيعة تلك القوة ان لم يكن لها
مانع فالناس ثلث بالقوة في اول الوجود فاول ما يخرج فيه من القوة الى الفعل
هو نشأة الحس وكماله بحسبه بمقتضى السكون في هذه الدار والانسراح في مراتع

الشهوات كالبهائم والحيوانات فاذا تجاوز عن هذا المنزل يحدث فيه العقل العملي
وقوة التخيل وكان له بحسب هذه القوة تعرض له التشوق الى الدار الآخرة والكون
بها كرم حيث تتخيل الخيرات المظنونة ويتقصد لافعال الحسنة ويتوق فعل الطاعات
وترك القبائح والسيئات ومعاد الانسان حسب همته ثم اذا ساعده التوفيق الالهي
وارتفع الى كمال القوة النظرية يحيط بالكليات ويتصل بالمفارقات ويعرف المبادي
والغايات علما برهانيا وادراكا مقدسا عن شوب تغير وتجدد او ظن وتخمين فمنزله
منزل المقدسين فعلم ان الانسان صار بحسب هذه المقامات منقسما على ثلثة اقسام
ولكل قسم احوال مخصوصة بحسب الآخرة وله منزل خاص من المنازل الكلية ولما كان
تحت كل قسم انواع بلا نهاية وهذا الانسان في وحدة النوع الانساني قبل ان يصير باطنه
خارجا من القوة الى الفعل الصوري الباطني في صنف من الصفات المكنونة
فيه المخزونة في طينته فوقعت الاشارة الى تفصيل هذه الاقسام الثلثة في قوله عز اسمه
واصحاب الميمنة ما اصحاب الميمنة واصحاب المشأمة ما اصحاب
المشأمة والسابقون السابقون فاصحاب الميمنة هم الذين يؤتون
صحائف اعمالهم بايمانهم واصحاب المشأمة هم الذين يؤتونها بشمائلهم وهما جميعا
من اصحاب الاعمال والغالب عليهم القوة العملية لكن الطائفة الاولى مبدا اعمالهم العقل
العملي بوساطة الادراكات الباطنة الجزئية كالتخيل وما يجري مجراه وغايتها طلب
الخيرات المظنونة والسعادات المقبولة والطائفة الثانية مبدا اعمالهم هو القوة
المحركة الحيوانية المسماة بالشوقية بوساطة الادراكات الحسية وغايتها اما طلب

الشهوة

الشهوة بالاكل والجماع وما يجري مجراهما او الغضب بالغلبة والانتقام وما يشبههما
واما السابقون فهم اعلى مرتبة من ان يكونوا من اهل العمل وانما شانهم مشاهدة
الحقائق وملاحظة عظمة الله وملكوته وقد شغلهم الله بمحبته عن محبة ما سواه و
اغناهم عن الطعام والشراب وعن النظر الى غيره فمنزلتهم منه منزلة الملئكة العقلية
المجردين عن الاجرام كلها وعن التعلق بها سواء كانت من جنس الاجسام الكدرة
الدنياوية او من الاجرام النورية الاخروية وعن الحسن المراد من اصحاب الميمنة و
اصحاب المشأمة اصحاب اليمن والشوم لان السعداء ميامين على انفسهم بطاعتهم
والاشقياء مشائيم عليها بمعصيتهم والسابقون هم المخلصون الذين سبقوا الى
ما دعاهم الله اليه وشقوا الغبار في طلب مرضاة الله تعالى وكلا وجه لما ذكرا اولا و
ههنا وجه آخر ذكر في كثير من التفاسير وهو ان اصحاب الميمنة هم الذين يوخذ بهم
ذات اليمين الى الجنة واصحاب المشأمة هم الذين يوخذ بهم ذات الشمال الى النار
وتحقيقه ان العالم بتمامه شخص واحد لان وجوده ظل الوجود الحق فله وحدة طبيعية
جمعية هي ظل للوحدة الحقة الالهية وله روح واحد هو الروح الاعظم والعقل الاول
المشتمل على مجموع الارواح الكلية العقلية اشتمالا عقليا وله كالانسان جانبان
احدهما جانب اليمين وفيه الملكوت الاعلى وهي المدبرات العلوية المتعلقة بالبرازخ النورية
وفيها جنة السعداء ومن ملئكتها من يسوقون عباد الله الى رضوانه ومنهم كتاب حسناتهم
يكتبون صحائف اعمالهم الحسنة وهم الملئكة العليون وبايديهم كتاب الابرار ان كتاب
الابرار لفي عليين والكتابة عبارة عن تصوير الحقائق والكتاب هم المصورون والنقا

والصحيفة هي محل التصوير والنقش وكذا القلم هو الواسطة بين يمين الكاتب والكتابة
فالمراد من الكاتب هاهنا جوهر ملكوتي فعال علوي ومن القلم قوة العملية المصورة
ومن الصحيفة نفوسنا الخالية عن النقوش في اول الفطرة ولا شك ان هذه الكتابة لا
يعلمها احد بهذه الحواس الكدرة الترابية لانها مكتوبات غيبية وقعت في
عالم الغيب لكن اكثر الناس لا يؤمنون بالغيب ولا يعتمدون ولا يثقون الا بالوجود
المحسوس باحدى هذه الحواس الخمس وثانيهما الشمال وفيه الملكوت السفلي وهي المدبرات
السفلية سدنة البرازخ الظلمانية وفيها جحيم الاشقياء واما طائفتان من الملئكة كما في
الاول احديهما اسباب نقم لاهل النار في النار والثانية الكاتبة لاعمال السيئات
للفجار لقوله تعالى وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد والطائفة الاولى منهما هي
ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون والطائفة
الثانية هي ملائكة بايديهم اقلام من النار يكتبون المعاصي والشرور واقوال الكذابين
واهل الزور في صحائف لائقة للاحتراق بالنار لما فيها من الاخبار الكاذبة والكلمات
الواهية الباطلة كما قال تعالى ان كتاب الفجار لفي سجين وما ادريك ما سجين ويل يومئذ
للمكذبين وهذا الوجه قريب المأخذ مما ذكر اولا وذلك لان المراد من اصحاب اليمين
واصحاب الشمال على الاول كل من اوتي كتابه بيمينه وكل من اوتي كتابه بشماله والمراد
منهما على الوجه الاخر كل من كان مآله الى الملكوت الاعلى وجنة السعداء مع العليين و
كل من كان مآله الى الملكوت الاسفل وجحيم الاشقياء مع اهل السجين ولا شبهة في ان
من اوتي كتابه بيمينه كان حشره الى ملائكة جانب اليمين والعليين ومن اوتي كتابه

بشماله

بشماله او من وراء ظهره كان معذبا بايدي سدنة النار وزبانية الجحيم المعذبين
لاهل النكال واصحاب الشمال وكان في طبقات السجين مع زمرة الشياطين
فالمآل في الوجهين واحد ولفظ ما في الموضعين للتعجب عجب الله رسوله من حال
الفريقين في السعادة والشقاوة والمعنى اي شيء هذه الطائفة في السعادة و
اي شيء هذه الاخرى في الشقاوة وهم السابقون السابقون الاول مبتدأ والثاني
خبره وفي الكواشي السابقون الى طاعة الله هم السابقون الى طاعة الله هم السابقون
الى رحمته ورضوانه وفي الكشاف السابقون من عرفت حالهم وبلغك وصفهم
كقول ابي النجم انا ابو النجم وشعري شعري كانه قيل وشعري ما انتهى اليك وسمعت
فصاحته وبراعته وههنا وجه اخر وهو انه كان ينبغي ان يقول والسابقون ما
السابقون الا انه اراد ان يصفهم بوصف لا كمية فقال هكذا فكانه قيل لا وصف
لهم افضل من هذا وهذا احد الوجوه ومنهم من جعل الثاني تاكيدا للاول وجعل
الخبر اولئك المقربون وليس بذاك ووقف بعضهم على الاول وابتدأ بالثاني وليس
بصواب لانه تمام الجملة وهو في مقابلة القولين الاولين قوله عز اسمه اولئك المقربون
هم الذين قربت درجاتهم عند الله واعليت مراتبهم في الجنة وهذا القرب ليس
بالمكان ولا بالزمان بل انما هو بحسب الذات وربما يعنون به لاهل الشرافة والبراعة
على الدنيا وشرورها ونقائص المواد وآفاتها وذلك لان ظل الوجود اذا امتد و
انبسط عن البارئ فابتدأت وترتبت الموجودات من جهة الابداع على ترتيب الاشرف
فالاشرف منتهية الى الاخس الذي لا اخس منه كالهاوية والظلمة عادت وتوجهت الى

الكمال بعد النقص وارتقى في الشرف بعد ان هبط منه من جهة التكوين على ترتيب
الاخس حتى انتهت في الاشرف الذي لا اشرف منه في الامكان وظاهر ان اشرف الممكنات
واعلاها رتبة في سلسلة البدو هو الروح الاول والقلم الاعلى ثم سلسلة العقول
وهم الملائكة المقربون السابقون ثم سلسلة النفوس المجردة ثم الملائكة المدبرون لها ثم القوى
ثم النفوس المنطبعة ثم الصور الطبيعية ثم المواد الجسمية في اسفل السافلين وهي غاية
تدبير الامر وتدبيره الامر من السماء الى الارض ثم يعرج اليه واخس الممكنات وادناها منزلة
في سلسلة العود هو الجسم بما هو جسم ويليه في الخسة الصور العنصرية ثم الجمادات ثم النباتات
ثم الحيوانات بنفوسها الحيوانية ومادة ارواحها البخارية التي هي اجرام لطيفة شفافة واشرف
انواع الحيوان الانسان نفسا وبدنا لان الكيفيات في بدنه امتزجت غاية الامتزاج
حتى انتهت بروحه التي هي جسم حار لطيف حاصل من صفوة الاخلاط ينبعث من القلب في
التجويف الايسر منه ثم اعتدلت في الدماغ اعتدالا بالغا حتى شابهت الجرم الفلكي في صفائه
ونقائه ونوره وضيائه وبعده عن التضاد الموجب للفساد فصارت مرآة للنفس
الناطقة بها تدرك الوجود كله على هيئة الترتيب عليها كليا وجزئيا اما كلياته فبذاته
المجردة واما جزئياته فبهذه المرآة المجلوة فاذن في الانسان شيء كالملك وشيء كالفلك
فمن حيث اعتدال المزاج وعدم الاضداد فقد شابه السبع الشداد ومن حيث مفارقة
صورته المواد القوابل ثم كل العلل الاوائل والعقول الفواعل واشرف الانسان
من بلغ في الشرف والبراءة الى رتبة ان يلحق بالاولين من الملائكة المقربين فصار
متحدا بالعقل الفعال اتحاد العاقل بالمعقول كما ذهب اليه كثير من الحكماء واشارت

اليه

اليه كلمة الاولياء وشهدت عليه اذواق الصوفية وبرهن عليه في الشواهد الربوبية
فانظر الى اتقان حكمة المبدع البديع وجود الصانع المنيع كيف بدا بالوجود من الاشرف
حتى اختتم بالاجسام وانتهى الى معدن الشرور والظلام ثم شرع في التلطيف والتشريف
والانارة والتصعيد والتكميل بافاضة ثانية ولطف جديد ففتح فاتحة اخرى للجود و
الافادة ونشاء النشأة الثانية للاعادة وقد قال سبحانه كما بدانا اول خلق
نعيده فعكس الترتيب الاول من الاخس فالاخس الى النفيس فالانفس حتى بلغ به الى
ارواح كالاملاك وابدان كالافلاك وهكذا الى ان وقع الاختتام بروح اشرف
الانام خاتم الرسل المطهر نوره نور العقل الاول ولهذا المعنى قال عليه السلام اول ما
خلق الله نوري فختمت به دائرة الوجود وعادت سلسلة الافاضة والجود في النهاية حيث
وقعت منه البداية وهو سبحانه المبدأ والمنتهى في البداية والرجعى قوله عز اسمه في جنات
النعيم اعلم ان هؤلاء الاصفياء ولئن كانوا من جهة ذواتهم العقلية مقربين منعما لانهم
جالسون تحت قبة الجبروت لكنهم من جهة نفوسهم الحيوانية المطيعة لامر الله المسلمة لحكمه
يسرحون في مراتع اللذات متنعمون بنعيم الجنات فان لكل حقيقة درجات في الوجود
ومراتب بعضها فوق بعض لاستكمال بعض مراتبه عن بعض فتمام حقيقة كلية هي مظهر اسم من
اسماء الله الاول لها بعد مرتبة ذلك الاسم الالهي عقل ونفس وطبيعة وجسم حتى ان لجزء الخلائق
الكونية انما هي اصنام واظلال للخلائق الاخر عقلية روحانية وجزء الارض انما هي صنم
لارض عقلية روحانية وهذا الانسان الحسي انما هو صنم للانسان العقلي والانسان
العقلي مظهر لاسم الله ونور من انواره حاصل من امره في عالم الغيب كما قال قل

الروح من امر ربي وما اوتيتم من العلم الا قليلا ثم اذا ثبت ان لكل حق حقيقة ولكل
محسوس معقولا فيحتمل ان يراد من الجنات الجنات العقلية فان الجنة جنتان جنة
محسوسة بالحواس الاخروية وجنة معقولة مشاهدة ببصيرة الباطن العقلي ولكل
منهما درجات كما ان العالم عالمان غيب وشهادة ولكل منهما منازل فالانسان
السعيد اوحد الذي هو عقل بالفعل جنة معنوية بما لهم من المعارف والعلوم اليقينية
وللنفس الحيوانية جنة صورية بما لهم من اللذات والشهوات وينالها من طريق
قواها العملية الحسية من اكل وشرب ونكاح وغيرها جزاء بما صبرت عنها في الدنيا وحبست
قواها عن نيل قشورها الكدرة الظلمانية حتى فازت بلبوبها الصافية النورانية
فان النفس كلما ارتاضت صفت وتنورت وبحسب صفائها ونورها كانت مخزوناتها
الاخروية وذخايرها العينية صافية نقية نورانية فالمراتب والدرجات والجنات بحسب
المراتب والدرجات في الاخلاق والرغبات قوله عز اسمه ثلة من الاولين وقليل
من الاخرين الثلة الجماعة من الناس الكثيرة واصلها من الثل وهو الكسر كما ان
الامة من الام وهو الشج كانها قطعت من الناس وكونها في مقابلة القليل دال على
الكثرة وثلة خبر مبتدا محذوف اي هم ثلة والمراد انه السابقين المقربين كثير من
الامم الماضية قبل بعثة محمد صلى الله عليه وآله وقليل من هذه الامة وقيل جماعة من
اوايل هذه الامة وقليل من اواخرها وعن النبي صلعم الثلتان جميعا من امتي والمراد
ان هذه في السابقين وتلك في اصحاب اليمين فعدد المقربين يتكاثر من متقدمي هذه
الامة دون متاخريها لان اكثر الاولياء والشهداء والائمة الكبراء كانوا في اوايل

حيث

حيث قربت ازمنتهم من زمان الوحي والتنزيل وعدد السعداء واصحاب اليمين
يتكاثر من الاولين والاخرين جميعا قوله عز اسمه على سرر موضونة قال المفسرون
موصولة بالذهب مشبكة بالدر والياقوت متداخلة بعضها في بعض كما توضن
حلق الدرع وقيل متواصلة ادني بعضها من بعض وقد ورد في الخبر انه يوم القيمة
منابر واسرة وكراسي كلها من النور فالمنابر للانبياء عليهم السلم والاسرة للاولياء
والكراسي للعلماء ويحتمل ان يكون كناية عن مظاهر قلوبهم او مصادر افعالهم
قوله عز اسمه متكئين عليها متقابلين اي مستندين جالسين جلوس
الملوك على اسرتهم او معتمدين عليها ساكنين اليها سكون الارواح الى الهو
وهو حال من الضمير في على اي استقروا عليها متكئين متقابلين ينظر بعضهم بعضا
لعدم الحجاب عنهم لا خارجا ولا داخلا اما نفي الحجاب الداخلي عنهم فلعدم العقود
الكفر والجهل والعمى والحسد والغضب وساير الامراض النفسانية في نفوسهم
فيشاهد كل منهم اذ ذات كل واحد منهم عين باصرة واذن واعية دائما و
عقل دراك بالفعل كانه نور مبصر وكلام حق مسموع دائما وحقيقة معقولة بالفعل
قوله جل اسمه يطوف عليهم ولدان مخلدون اي يدور حولهم ويستنير
بانوارهم القدسية ويستفيض من اشراقاتهم العقلية اولاد روحانيون لهم
نفوس مجردة متعلقة باجرام كريمة نورية مستديرة الحركات مخلدين في دوام حركاتهم
الشوقية لدوام الاشراقات العقلية عليهم من ابائهم العقلية في النشأة الاخروية لا
في هذا العالم الزوال والانقطاع وعدم استمرار الوجود فيها بالعدد لا في العنصريات

ياتي ظ

ولا في الفلكيات كما بين في موضعه وقيل هم اولاد اهل الدنيا لم يكن لهم حسنات فيثابوا
عليها ولا سيئات فيعاقبوا عليها عن امير المؤمنين عليه السلم وعن النبي صلعم انه سئل عن اطفال
المشركين فقال هم خدم اهل الجنة قوله عز اسمه باكواب واباريق وكاس من
معين يطوفون عليهم باكواب وهي القداح الواسعة الرؤس لا خراطيم ولا عرى لها واباريق
هي ذات العرى والخراطيم والمراد كما وصف التي تبرق لصفاء لونها واشراقها لا يوجد لها
امثلة في هذا العالم الا الكواكب والتداوير الفلكية الدائرة التي تدبرها النفوس السماوية بايدي
قواها العملية طربا وشوقا وتقربا الى مبادئها وغاياتها ومعشوقاتها العقلية ومحركاتها
الملكية باذن الله ويطوفون عليهم ايضا بكاس مملوء من شراب الاحدية معين جار في انهار
المدارك الشوقية والمشارب الذوقية مكشوف لاهل المشاهدة والعيان اذ منبعه منبع
الحيوة والعقل والشهود فكيف لا يعان ولا يعاين قوله عز اسمه لا يصدعون
عنها ولا ينزفون لا يأخذهم من شربها صداع لصفائها من كدر الشر وكل آفة
وفساد التركيب وغلبة احد الاضداد كخمور هذه الدنيا وتعاليهم عن تأثير المزاحمات و
تصديع المصادمات لتجردهم عن عوالم التركيب والاضداد وارتفاعهم عن الطبقات
السافلة التي يوجد فيها الشر والفساد وقيل لا ينزفون عنها وقرأ مجاهد لا يصدعون
بمعنى لا يتصدعون اي لا يتفرقون كقوله في حق الكفار يومئذ يصدعون وذلك لان
منشأ صحبتهم ومبدأ جمعيتهم هو شرب المحبة الالهية ونشأة الوحدة المعنوية والوصلة
الايمانية والرابطة الحكمية ليس باعثها الاغراض النفسانية والاوضاع الجسمانية المؤدية
سريعا الى التفرقة والوحشة والنفرة والحول ولا ينزفون لئن كان بفتح الزاء فمعناه

لا يذهب

لا يذهب عقولهم بالسكر كما في قوله لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون وهذا في قراءة الكوفيين
غير عاصم ولئن كان بكسر الزاء كما في قراءة الباقين فالمعنى لا تفنى شرابهم الروحاني ولا
يزول نشأة هدايتهم الحي الالهي لان منبعه منبع فيض الوجود كالبدر وعين ماء الحيوة
السرمدي الذي لن يبرح منه سكوب الفضل سائلا مائلا ومن منبع الافاضة والرحمة طائلا
نائلا قوله عز اسمه وفاكهة مما يتخيرون ولحم طير مما يشتهون يتخيرون
يأخذون خيره وافضله ويشتهون يتمنون فان اهل الجنة اذا تخيروا اشياء واشتهوه
خلقه الله دفعة فاذا تمنوا فاكهة اي فاكهة كانت تكونت باذن الله كما تخيروه و
اذا تمنوا لحم الطير النضيج خلق الله لهم لحم الطير نضيجا من غير حاجة الى ذبح الطير ولهذا
قال ابن عباس يخطر على قلبه الطير فيطير ممثلا بين يديه على ما اشتهى وهذا علم غفل
عنه الاكثرون وادركه المكاشفون علما ذوقيا بعد ان اعتقدوه اعتقادا ايمانيا
وربما يبلغ العارف الى مقام يتوله مقام كن في عرفهم فيكون حاله وله كان بعد في الدنيا
مثل حال اهل الجنة فيما يقول لشيء كن الا ويكون وروي عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال
حين كان في غزوة تبوك كن ابا ذر فكان ابا ذر وذلك لان الله قد حول باطنه
في النشأة الاخروية بل ما من عارف بالله من حيث التجلي الالهي الا وهو على النشأة الاخروية
قد حشر في دنياه ونشر في قبره فهو يرى ما لا يراه الناس ويشاهد ما لا يشاهدونه و
يفعل ما لا يفعلون عناية من الله ببعض عباده كما اعرب عنه بعض العرفاء حكاية عن
وبيانه مما يحتاج الى اظهاره من علوم المكاشفة وقريبة المأخذ من علوم المناظرة وهو ان الله
سبحانه قد خلق النفس الانسانية وابدعها مثالا له ذاتا وصفة وفعلا مع التفاوت العظيم

بين المثال والممثل له ولذلك جعل معرفتها وسيلة لمعرفته كما يدل عليه الحديث
المشهور من عرف نفسه فقد عرف ربه فهي قد ابدعت مغناطيس المعرفة الله تعالى ذاتا وصفة
وفعلا لكونها مثالا له لكن اما الذات فقد خلقها الباري وجودا نوريا مفارقة عن الاجرام
وكلا حيازة وكلا اوضاع في ذاتها واما الصفات فقد خلقت عالمة قادرة حية سميعة
بصيرة متكلمة وهذه كلها صفات الله من حيث المفهوم واما الافعال فبدنها عالمها
والبدن كانه نسخة مختصرة من مجموع العالم الدنياوي بافلاكه وعناصره وبسايط
ومركباته وجواهره واعراضه ولها اليد في ذاتها مملكة خاصة شبيهة بمملكة بارئها
مشتملة على امثلة الجواهر والاعراض المجردة والمادية واصناف الاجسام الفلكية و
العنصرية وساير الخلايق ثم بعد هذا النفس صورة لما منها ومثولها بين يديها شهودا
اشراقيا ومثولا نوريا والناس لفي غفلة وذهول عن عجايب فطرة الادمي وغرايب
القلب الانساني لاهتمامهم بعالم المحسوس ونسيانهم امر الآخرة ومعرفة الرب و
الرجوع اليه نسوا الله فانسيهم انفسهم فمن جملة المضاهاة الواقعة بين الرب والنفس انه
جعلها ذات نشأتين الغيب والشهادة كما انه تعالى عالم الغيب والشهادة وذات
عالمين عالم الملك والملكوت والخلق والامر كما له الخلق والامر فافعال النفس
بارادتها على ضربين فما يفعله باستخدام قواها البدنية وجنودها الجسمانية فهي متغيرة
متجددة لانها كاينة بواسطة الحركات وانفعالات المواد والالات والحركة لا تدوم لانها
عين الحدوث والانقضاء وربما تعصي القوى والطبايع لكلال الالات واما
ما يفعله بذاتها من غير توسط القوى الطبيعية والالات الجسمانية فهي امور ثابتة محفوظة

عندها ما دامت ذاتها مديمة لها وتحفظها بعد النسيان حصلت لها ملكة الحفظ ولا استرجاع من جهة
رجوعها الى الباري واتصالها بالملأ الاعلى والحفظة الكرام الكاتبين فكذلك افعال الله تعالى منقسم
الى ثابتات ومتغيرات مبدعات وكائنات فنعلم من هذا ان الله قد خلق النفس الانسانية
ذات اقتدار على ايجاد صور الاشياء في عالمها الخاص ومملكتها الغايبة عن هذا العالم تشبيها
وارادتها لانها من سنخ الملكوت وعالم القدرة والجبروت الا انها تخترعها وتنشيها
في عالمها ما دامت تكون في هذا العالم وتحجبه الاعدام والقوى والملكات تكون ضعيفة الوجود
شبيهة بالاشباح والاظلال فاذا قويت ذاتها وقربت من مبداها تنقطع عنها العلايق المادية
اصبحت مخترعة للصور العينية المناسبة لاخلاقها الحسنة او السيئة الملذة او الموذية ولم تغادر
الدنيا على الاخرى الا في كمال الصورة وقوة وجودها هناك ونقصها وضعف وجودها
هنا فلو كانت للنفس قدرة تامة على تصوير الصور الملذة في عالم الحس كما لها قوة على
تصويرها في عالم الخيال كان نعيمها كنعيم اهل الجنة حيث يكون شهوتهم سبب تخيلهم و
تخيلهم سبب حواسهم فلا يخطر ببالهم شيء يميلون اليه الا ويحضر عندهم دفعة واليه
الاشارة بقوله صلى الله عليه واله ان في الجنة سوقا يباع فيه الصور والسوق عبارة
عن اللطف الالهي الذي هو منبع القدرة على اختراع الصور بحسب المشية وانطباعها
ووجودها في العين وجودا ثابتا ما دامت المشية لا وجودا هو معرض الزوال كما في منام
هذا العالم وهذه القدرة اكمل واوسع من القدرة على الايجاد من خارج الحس لان الموجود
من خارج الحس يشغل بعضها عن ادراك بعض ويحجب بعضها عن بعض لضيق عالمه فاذا
صار الانسان مشغولا بسماع واحد او رؤية صار مستغرقا به محجوبا عن غيره واما من

للنشاءة فيتسع لها على الاضيق فيه حتى لو اراد احد من اهل الجنة لان ياكل جميع الفواكه دفعة واحدة
لاكلها بعد اخطارها بباله ولو اراد كل احد منهم لان ياكل ما ياكله غيره لو سعتهم لقوا
فيحضر تلك اللقمة الواحدة في ساعة واحدة لالف شخص في الف مكان وجملة الامور
الاخروية على ما هو اوسع واتم للشهوات واوفى للدواعي والرغبات اولى ومما ورد
في الخبر لاهل الجنة عن رسول الله صلعم انه ياتي اليهم الملك بعد ان يستاذن في الدخول
عليهم فاذا دخل ناولهم كتابا من عند الله بعد ان يسلم عليهم من الله فاذا في الكتاب
لكل انسان مخاطب به من الحي القيوم الذي لا يموت الى الحي القيوم الذي لا يموت
اما بعد فاني اقول للشيء كن فيكون وقد جعلتك اليوم تقول للشيء كن فيكون
فقال عليه واله السلم فلا يقول احد من اهل الجنة لشيء كن الا ويكون وقال بعض العرفا
من اراد ان يعرف كماله فلينظر في نفسه في امره ونهيه وتكوينه بلا واسطة لسان ولا
جارحة ولا مخلوق غيره فان صح له المضاء في ذلك فهو على بينة من ربه في كماله فان
امر او نهى او شرع من التكوين بواسطة جارحة ولم يقع او وقع ولم يعم مع عموم ذلك
بترك الواسطة فقد كمل ولا يقدح في كماله ما لم يقع في الوجود عن امره بالواسطة فان
الصورة الالهية بهذا ظهرت في الوجود فانه تعالى امر عباده على السنة رسله
وفي كتبه فمنهم من اطاع ومنهم من عصى وبارتفاع الوسائط لا سبيل الا الطاعة
خاصة ولا يتمكن من اباية قال صلعم يد الله مع الجماعة وقدرته نافذة ولهذا لو اجتمع
من الناس في نفس حتى صار شيئا واحدا انفذت همته فيما يريد وقال الشيخ في فصوص
الحكم بالوهم يخلق كل انسان في قوة خياله ما لا وجود له الا فيها وهذا هو الامر

العام

العام والعارف يخلق بالهمة ما يكون له وجود من خارج محل الهمة ولكن لا تزال الهمة
تحفظه ولا يؤودها حفظ ما خلقته فمتى طرأ على العارف غفلة عن حفظ ما خلق عدم
ذلك المخلوق وقال ابو علي في تعليقاته كلما كان اشد تصور الكمال اتم فعلا لا
لم ينته الا الاول الذي ليس فيه شيء بالقوة فيلزم ان يصدر عنه كل موجود وليس للنفس ما
دامت تصوراتها بالقوة لا يصح صدور فعل عنها الا بتصور بتصورها للاشياء
ويخرجها من القوة الى الفعل والكواكب تؤثر نفوسها في نفوسنا دون العكس لانها
غير متشعبة القوى ونحن قوانا متشعبة يصد بعضها عن بعض بالتمام وشغلها عنه كما
تشغل الحواس القوة الخيالية عن فعلها بالتمام واذا لم تشغلها تم فعلها كالحال في
المنام والكواكب قواها غير متشعبة ولا اضداده بعضها بعضا بل كانها قوة واحدة
فالباصرة فيها هي القوة السامعة وهي القوة المصورة فكانها متوفرة على
قوة واحدة فلهذا تؤثر فينا ولا نؤثر فيها انتهى والحاصل ان مبدا صدور
الافاعيل هو تصورات المبادي سواء كانت الافاعيل دنيوية او اخروية بشرط قوة الهمة
وشدة جمعية القوى فلما كان تفرق القوى وتوزع الدواعي مرتفعا في الاخرة لكمال النظام
والتوفر من خواص تلك النشاة فلا جرم يكون هناك للنفوس الكاملة اقتدار تام على انشاء
كل ما يشتهونه واختراع كل ما يتخيرونه من الصور المستلذة كالحور والقصور والشراب و
السلسبيل والزنجبيل فلكل نفس سعيدة عالم مثل هذا العالم الا انه عالم اشرف و
اصفى لكونه موضوعه الجوهر النفساني وموضوع هذا العالم هي المادة الكثيفة الظلمانية
وهذا اقل الدرجات وادنى المنازل للعوام اهل الجنة ولمن نجوا من عذاب النيران بالشفاعة

نؤثر ظم

فعل م

او التفضل وللجنة طبقات بعضها فوق بعض قوله عز اسمه وحور عين كامثال
اللؤلؤ المكنون قرئ بالرفع اما على وفيها حور عين او على العطف على ولدان
وبالجر اما عطفا على جنات النعيم او اكواب وبالنصب على ويؤتون حورا عينا اي
ذوات نفسانية نورية من النفوس الواقعة تحت مراتبهم العقلية في مقام تجليات الجمال و
سرادقات الجلال وفي مجالي مشاهداتهم الصفات في روضات القدس و
حضرات الاسماء لان نسبة العقل الى النفس المكمل لها بالافاضة والتشويق نسبة
حوا الى آدم وانما وصفت بالعين لان ذواتها كلها عيون لا تمتد الى طرفا عنهم
كما في قوله وعندهم قاصرات الطرف عين وذلك لفرط محبتها وعشقها اليهم لانهم هم
المعشوق لان المحبة من لوازم الوجود لانه خير محض وكل خير محبوب مؤثر اذا بري عن
الشرور وكل ما هو عقل بالفعل فهو وجود بري عن الشر طاهر عن دنس الآفات
والنقايص فيكون معشوقا بالفعل عاشقا غيره ام لا قوله عز اسمه جزاء بما كانوا
يعملون كل ذلك يؤتى لهم جزاء علومهم وتعقلاتهم ليس الجنة وما فيها بل مشاهدة
ذات الحق الاول وصفاته واسمائه وذوات العقول المقدسين والملائكة المقربين
وصفاتهم وآثارهم وتحقيق ذلك ان اللذات تابعة للادراكات وكل انسان
جامع لجملة من القوى والغرائز ولكل قوة وغريزة لذة ولذتها في نيلها مقتضى طبعها
الذي خلقت له والمها في فقدان ذلك عنها فلذة الغضب في التشفي والانتقام ولذة
الشهوة في النكاح والطعام ولذة البصر في ادراك الاضواء والالوان ولذة
السمع في الاصوات المناسبة والالحان ولذة الوهم في الرجاء والم كل منها في

فقد

فقد ما يناسبه فكذلك في قلب الانسان قوة تسمى بالنور الالهي لقوله افمن شرح الله
صدره للاسلام فهو على نور من ربه وقد تسمى بالروح الالهي لقوله فاذا سويته ونفخت فيه
من روحي وهو غير الروح الحيواني لكونه من عالم الخلق وهو من عالم الامر لقوله قل الروح من
امر ربي وقد تسمى بالعقل النظري وبالبصيرة الباطنة وهو ممتاز عن ساير القوى والمشاعر في
ان مدركاته من المعاني التي ليست متخيلة ولا محسوسة ولذته ونعيمه في نيلها وسعادته وجحيمه في
الجهل عنها والجحود لها فهذه القوة قد خلقت وابدعت لان تدرك حقايق الامور
كلها فمقتضى طبعها معرفة صور الاشياء العقلية من ادراك الحق الاله وملائكته وادراك خلق
العالم وافتقاره الى خالق مدبر حكيم موصوف بصفات الالهية وبها يحصل التذاذها و
سعادتها كما ان مقتضى طبع ساير القوى تحصيل لذتها ولا يخفى على ذوي البصاير ان في معرفة
الحكم لذة وفي تركها الما فكذلك لانه لم يخلق له بعد جزء الغريزة النورانية والبصيرة
الباطنية في قلبه فقد علم ان سعادة الجوهر العقلي من الانسان في ادراك الحقايق العقلية وفيها
نعيمه فنعيمه لا يوجد في السماء ولا في الارض ولا في الدنيا ولا في الآخرة ولا في الجنة ولا في
النار ويوجد في الجميع اذ الكل واحدة منها حقيقة عقلية وصورة مفارقة يشاهدها
العارف ويستلذ بها في مرائي محسوساتها ومظاهر قابلياتها محجوبة عن الابصار مختفية عن
انظار الاغيار الا انها لا ينكشف له حق الانكشاف ولا يتجلى له كل التجلي الا بعد الانقطاع
التام عن الدنيا والانتزاع عن المادة البدنية فيتجلى له حينئذ تجليا بالقياس الى ما علمه كانكشاف
تجلي المرئيات بلا حجاب بالقياس الى اشباحها الخيالية بل المعرفة الحاصلة في نفسها تستكمل
فرحه ويتقلب مشاهدة صريحة كما ان نفسه المدبرة لبدنه تتقلب في الاستكمال عقلا مفارقا

ولا يكون بين المشاهدة في الآخرة والمعلوم في الدنيا اختلاف إلا من حيث زيادة الكشف
وتمام الوضوح كما في قوله تعالى يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم يقولون ربنا أتمم لنا
نورنا ثم لا يخفى أن لذة كل علم وإدراك عقلي ليست في درجة واحدة لظهور أن لذة
العلم بالحراثة والخياطة ليست كلذة العلم بالله وصفاته وملائكته وملكوت السموات
لأن زيادة اللذة في العلم بقدر زيادة شرف المعلوم وزيادة شرف الوجود بقدر
كماله وشدته وبراءته عن النقص والإمكان والزوال والتغير فأجل اللذات وأعلى السعادات
هي معرفة الله تعالى والنظر إلى وجهه الكريم والاطلاع على أسرار الأمور الإلهية وكيفية تدبيره لعالمي الملك و
الملكوت وغاية العبارة عنه أنه فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين وأنه أعد لهم
ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فإذن جزاء المعرفة والحكمة
هو جميع أقطار ملكوت السموات والأرض فجميع صورها العقلية ميدان العارف يتبوأ
منها حيث يشاء من غير حاجة إلى أن يتحرك إليها بشخصه فهو من ملاحظة جمال الملكوت في
جنة عرضها السموات والأرض وكل عارف فله مثلها من غير أن يضيق على غيره إلا أنهم
يتفاوتون في سعة متنزهاتهم وكمال سعاداتهم بقدر كثرة علومهم وقوة نظرهم و
رسوخ معرفتهم وهم درجات عند الله وقد وقعت الإشارة فيما مر إلى أجناس العوالم
والنشآت منحصرة في ثلثة كالدرجات للإنسان ومداركه ثلث درجات وكل عالم ونشأة و
له مشعر خاص من الإنسان وهو أنه بحسب كل درجة من درجاته الثلث يقع في عالم
من العوالم الثلثة ويكون من الصور الموجودة في ذلك العالم فعالم الدنيا ونشأة المحسوسات
تختص بإدراك صورها الحسية الحواس الظاهرة والإنسان يقع فيها ويدرك صورها المادية

ويستلذ

ويستلذ بها من حيث اشتماله على الجوهر الحاس وبذلك يشارك الحيوانات اللحمية وأما
عالم الصور الأخروية والنشأة الغيبية فيختص بإدراكها الحواس الباطنية والإنسان يقع
فيها ويدرك صورها المجردة عن المادة دون المقدار والأشكال ويستلذ بها لاشتماله
على جوهر العقل العملي والتخيل بالفعل وبذلك يشارك الجن وضربا من الملائكة النفسانية
وأما عالم الصور المفارقة الإلهية والمثل النورية والنشأة القدسية فيختص بإدراكها
القوة الروحانية والبصيرة العقلية والإنسان يقع فيها ويدرك صورها ببصيرته
العقلية وقوته القدسية وهذه القوة مفقودة في أكثر الناس بل لا توجد إلا نادرا وعالم
الدنيا منبع الظلمات ومعدن الآفات كما أن العالم الثالث محض الأنوار والخيرات المفارقة
عن الشر بالكلية وأما العالم الأوسط فينقسم إلى صور نورية وظلمانية ولكل منهما طبقات
هي طبقات الجنة والنار فأهل الدنيا أشقياء محضة وأهل الله سعداء محضة وأهل
الآخرة ينقسم إلى السعداء وهم أصحاب اليمين وأهل الجنة وإلى الأشقياء وهم أصحاب الشمال
وأهل النار فمن عمل للدنيا كان أجره وجزاؤه المال والجاه وعاقبة الحسرة والندامة
والحرقة بالنار ومن عمل للآخرة كان أجره وجزاؤه الجنة والحور والقصور ومن نظر
في معرفة الله وعلم مبدأه ومعاده وتصور حقائق الأشياء كما هي وصدق بوجودها
كان أجره وجزاؤه الاتصال بالملأ الأعلى ومجاورة الحق الأول ومطالعة ملكوته
ودوام النظر إلى وجهه الكريم وذلك هو الفوز العظيم والفضل الجسيم والله يهدي
من يشاء إلى صراط مستقيم ولذلك جعل الله المذكورات من الحور والولدان و
الكأس من معين والفاكهة ولحم الطير والحور العين جزاء الأعمال لا جزاء العلوم والمعارف

اذ لا غاية لها الا الله تعالى قال بعض العرفاء ان لله عبادا ليس شغلهم عن الله خوف النار
ورجاء الجنة وهكذا الحكى عن نفسه الشريفة امير المؤمنين عليه السلام في خطبته وسئل بعض
اخوان معروف عنه اخبرني اي شيء هاجك الى العبادة والانقطاع عن الخلق فسكت
فقال ذكر الموت فقال اي شيء الموت فقال ذكر القبر فقال واي شيء هذا فقال خوف
النار ورجاء الجنة فقال واي هذا ان ملكا بيده هذا كله ان احببته انساك جميع ذلك
وان كانت بينك وبينه معرفة كفاك جميع هذا وفي اخبار عيسى عليه السلام اذا رايت الفتى
مشعوفا في طلب الرب فقد الهاه ذلك عن جميع ما سواه ولا يخفى عليك ان المشعوف
بمعرفة الله وملكوته هم العرفاء الالهيون والحكماء الربانيون ولذلك لم اجد في وجه
الارض من شغف بعلومهم ومعارفهم الا واحدا انقصد بعدا بقوام من قال جل
جناب الحق عن ان يكون شريعة لكل وارد او يطلع عليه الا واحد بعد واحد واذا بلغ
الاجل لا غاية يكون شغفه مقصورا على ادراك احوال الربوبية انحطت درجته
عند الناس او يخرج كلامهم عن حدود عقولهم فيهجرهم ويهجرونه ويتركهم ودينهم
وينفرد عنهم آخذا بدينه عاملا بوصية ربه قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون قوله
عز اسمه لا يسمعون فيها لغوا ولا تاثيما اللغو والعبث من فعل القوة المتخيلة
اذا لم يكن معها غاية عقلية او فكرية والتاثيم من فعل القوة الطبيعية عند عصيانها عن
طاعة النفس فالاول ناش عن ضعف العقل والثاني عن غلبة الطبيعة وانقهار النفس وعجزها
وهما منتفيان عن اهل الجنان واصحاب الرضوان قوله عز اسمه الا قيلا سلاما سلاما
سلاما سلاما لسلامة صدورهم ونقاء سرائرهم عن الغش والعداوة وسلام اقوالهم

واعتقاداتهم

واعتقاداتهم عن الكذب والغلط فلا يسمعون الا قول بعضهم لبعض على وجه التحية سلاما
سلاما فيفشون بينهم السلام ويحسن الكلام ونصب سلاما اما على البدلية لقيلا واما على
كونه مفعولا بدله واما على المصدرية بتقدير سلمك الله سلاما قوله عز اسمه واصحاب
اليمين ما اصحاب اليمين لما ذكر بعض آثار مناقب المقربين اراد ان يذكر بعض نتائج
مكاسب السعداء وجزاء اعمالهم فذكرهم اولا وعجب من حالهم تفخيما لشانهم وتحسينا لحالهم
قوله عز اسمه في سدر مخضود وطلح منضود وظل ممدود وماء
السدر شجر النبق والمخضود ما لا شوك له واصل الخضد عطف العود اللين فكان
المخضود لكونه لينا رطبا لا شوك له غالبا والطلح كل شجر عظيم الشوك وقيل شجر
الموز وقيل ام غيلان وله نوار كثير طيب الرائحة والمنضود الذي نضد بعضه
على بعض بالحمل من اسفل ساقه الى اعلى افنانه فليست له سوق بارزة بل كله
ثمر وظل ممدود اي منبسط دائم لا يتقلص ولا ينسخه الشمس وماء مسكوب اي مصبوب
فان قلت بعض هذه اللذات مما لا يرغب رغبة بالغة بل يعافه طبع اكثر الناس
وكذا الكلام في العسل واللبن والاستبرق فما سبب ايراد ذلك قلنا سبب ذكر امور
احدها انها مما خوطب به جماعة عظمت هذه الامور في اعينهم ويشتهونه غاية الشهوة
ولكل اقليم مطاعم ومشارب وملابس يختص بذوقها قوم دون قوم ولكل احد في
الجنة ما يشتهيه كما قال الله ولكم فيها ما تشتهي انفسكم ولكم فيها ما تدعون وثانيها
لكل شيء يكون في الدنيا فله صورة في الآخرة وكثيرا ما يكون صورته الدنيوية مستهجنة
كريهة وصورته الاخروية في غاية الحسن واللطافة ولا ترى ان اهل الايمان

شجر

انور منهم

كثيرا ما يكونون في الدنيا شعثاء غبراء صفر الوجوه او سودها وفي الآخرة وجوههم اضوء
من الشمس والقمر او ما سمعت ان خلوف فم الصائم عند الملائكة اطيب من رايحة المسك
الاذفر فهكذا فقس ساير هذه الامور فيحتمل ان يراد بهذه الالفاظ اما غير معانيها المعهوده
او خلاف افرادها الموجوده مخالفة نوعية او في الكمال والنقص اما السدر فلا يبعد ان
يراد به سدرة المنتهى وهي الحد الذي من تجاوز عنه تجاوز من عالم الصوره الى عالم المعنى
الصرف ولذا قيل انها في منتهى الجنة واقصاها وقيل في وصفها انها شجرة فوق السماء
السابعة عن يمين العرش ثمرها كقلال هجر وورقها كآذان الفيول تنبع من اصلها الانهار
التي ذكرها الله في كتابه يسير الراكب في ظلها سبعين عاما لا يقطعها وقيل لم يجاوز
احد واليها ينتهي علم الملائكة وغيرهم ولا يعلم احد ما ورائها وقيل انتهى اليها
ارواح الشهداء وقال تعالى عندها جنة المأوى اي تأوي اليها ارواح السعداء او
اصحاب اليمين ومن قال انها ينتهي اليها علم الملائكة وغيرهم ولا يعلم احد ما ورائها
اراد بالعلم العلوم المتخيلة الجزئية المتعلقة بعالم الصور والاشباح المقدارية دون
المعارف العقلية المتعلقة بعالم المعاني المحضة والمراد اطلاق الملائكة على الجواهر المتعلقة
بالاجسام وملكوتها وباطنها فيكون علومها جزئية دون علوم المقربين المجردين عن
عالم الصور واراد بغيرهم اصحاب اليمين المقتصرين في العلوم على ما يسمعون
بحسب النقل والرواية فيما يتعلق بالاعمال دون المكاشفات الغيبية المتعلقة بحقايق
الاشياء واما ما ورد عن رسول الله صـ رايت على كل ورقة من ورقها ملكا قائما يسبح الله
وعند العرفاء ان المراد من هذه الشجرة في عالم الكبير قوة ملكوتية مظهرها السماء السابعة

شانها

شانها تصوير الحقايق وتشخيصها وتنزيلها منزلة التخليق والتشكيك وهي متوسطة
بين عالمي الامر والخلق وفي العالم الصغير الانساني القوة الخيالية التي مظهرها اللطيفة
البخارية الواقعة في بعض تجاويف الدماغ التي في لطافتها وشفيفها تشبه السماء السابعة
وهي متوسطة بين العقل والحس شانها تجسيم المعقولات وتجريد المحسوسات ولهذا
وقع في بعض الروايات عن ابن مسعود والضحاك انها شجرة ينتهي اليها ما يعرج الى السماء و
ينزل اليها ما يهبط من فوقها من امر الله وروي ايضا انها ينتهي اليها ما يهبط من فوقها
فيقبض منها فاذا تقرر هذا فيحتمل ان يراد من السدر المذكور في هذه السورة هذه
القوة الانسانية ومن المذكور في سورة النجم تلك القوة الملكوتية العظيمة الواقعة بين
العالمين التي يبلغ الى حدها معراج النبي بشخصه وجسده ثم تجاوز عنها بروح القدس
واما الطلح المنضود ففيه شبه ما في السدر ونسبة صورته الاخروية وعن علي عليه السلم
انه قرأ عنده رجل وطلح منضود فقال وطلع وما شان الطلح وقرأ قوله طلع نضيد
فقيل له أو نحولها فقال ع ان القرآن لا يهاج اليوم ولا يحول وعن ابن عباس
ورواه اصحابنا عن يعقوب بن شعيب قال قلت لابي عبد الله ع وطلح منضود قال لا
وطلع منضود واما الظل الممدود فيراد به ظل رحمة الله وعكس نور وجوده الواقع
على المخلوقات الاقرب فالاقرب كما في قوله الم تر الى ربك كيف مد الظل ولو شاء
لجعله ساكنا كما لا به واما الماء المسكوب فيراد به عين ماء الحيوة الابدية السكب دايما
من الكوب منبع الفضل والرحمة وقيل مسكوب لهم دايما اين شاؤا وكيف شاؤا
لا يتعبون ولا يتعبون فيه وقيل مصبوب يجري على وجه الارض حيث ارادوا

من غير اخضود وقيل مسكوب ليشرب على ما يرى من حسنه وصفائه قوله عز اسمه وفاكهة
كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة تكرير ذكر الفاكهة لاختلاف الصفة فوصف
فاكهة المقربين بانها متخيرة لهم ووصف فاكهة اصحاب اليمين بانها كثيرة غير مقطوعة
ولا ممنوعة عنهم ولعل الوجه في هذا الاختلاف ان المقربين لكونهم في مقام الجمعية
ودرجة الكلام والتكوين فكل ما هو موجود لهم موجود عندهم وقد مر ان مشتهياتهم و
اراداتهم مبادي حصول الاشياء لان علومهم فعلية واما غيرهم فان كان من
اصحاب الشمال وسكان عالم الحس والطبع فهو مجبور محض في فعله لان مرتبته
مرتبة الطبيعة وهي ادون درجة الانفعال لمجاورتها واتصالها بالمواد الانفعالية
النازلة في صف النعال وفي الذراري وان كان من اصحاب اليمين فمقامه مقام النفس الا
انه نهى النفس عن الهوى والهوي الى درجة الطبيعة والدنيا والنفس من
حيث هي نفس وان كانت مختارة في فعلها لان فعلها كاختيارها ليس يصدر عنها
بالاستقلال بل بمشاركة مبدأ عقلي وامداد جوهر قدسي وتأييد ملك علوي من
الملائكة العلوية العقلية فمنه تفيض كمالاتها ومنه ياتي رزقها رغدا وليست ارزاقها
بتقديرها بل بتقدير مقدر عليم وانما شانها استدعاء الرزق والنعم واستجلابها
وطلبها لا غير واما في الاختيار والمشية بهذا المقدار لا يزيد عليه واما التكوين
والتحصيل فمما فوقها واما وصف فاكهتهم بالكثيرة وعدم الانقطاع المقابل
له تقابل العدم والملكة المستلزم للاستمرار الامتدادي الزماني وعدم المنع المقابل
له هذا التقابل دون فاكهة المقربين فلان عالمهم عالم الصورة والمقدار و

عالم

عالم المقربين عالم الوحدة الجمعية وعالم المعاني المجردة المرتفعة عن الكثرة العددية
الخارجة عن الامتداد واللاامتداد الاستمراري واللااستمرار المبرئة عن الانقطاع
واللاانقطاع لتجردهم عن الزمان والمكان وتجردهم عن التجدد والحدوث مع ان
في ذلك جميع ما يوجد في عالم المقادير من صور الانواع الكثيرة الا انها فيه على وجه اعلى و
اتم واحسن واحكم وهذا ما حققه وقرره بعض الحكماء الراسخين والاولياء الشامخين من
مشكوة الوحي والنبوة في كتابه المعروف بمعرفة الربوبية حيث قال ان العالم الحسي كله
مثال وصنم للعالم العقلي فان كان هذا العالم حيا فبالحري ان يكون ذلك العالم اتم تماما
واكمل كمالا لانه المفيض على هذا العالم الحيوة والقوة فلا محالة ان هناك الاشياء
كلها الا انها فيه بنوع اعلى واشرف فثم سماء ذات حيوة وفيها كواكب مثل هذه
الكواكب التي في هذه السماء غير انها انور واكمل وليس بينها افتراق كما يرى ههنا و
ذلك لانها ليست جسمانية وهناك ارض ذات سباخ لكنها كلها عامرة وفيها
الحيوانات كلها الارضية التي ههنا وفيها نبات مغروس في الحيوة وفيها بحار وانهار
جارية جريا حيوانيا وفيها الحيوانات المائية وهناك هواء وفيها حيوانات هوائية
حية شبيهة بذلك الهواء والاشياء التي هناك حية لانها في عالم الحيوة المحض لا تعتورها
الموت البتة وطبايع الحيوانات التي هناك مثل طبايع هذه الحيوانات الا ان الطبيعة
هناك اعلى واشرف من هذه الطبيعة لانها عقلية وقال ايضا ان الاشياء التي هناك
كلها مملوة غنى وحيوة كانها حيوة تغلي وتفور وجري حيوة تلك الاشياء انما ينبع
من عين واحدة لا كانها حيوة واحدة او ريح واحدة فقط بل كلها كيفية واحدة

فيها كل كيفية يوجد فيها كل طعم وانك تجد في تلك الكيفية الواحدة طعم الحلاوة و
الشراب وسائر الاشياء ذوات الطعوم وقواها وسائر الاشياء الطيبة الروائح
وجميع الروائح وجميع الالوان الواقعة تحت البصر وجميع الاشياء الواقعة تحت الحس و
هذه كلها موجودة في كيفية واحدة مبسوطة لان تلك الكيفية الواحدة حوت نسبة
عقلية تسع جميع الكيفيات التي وصفناها ولا تضيق عن شيء منها من غير ان يختلط بعضها
ببعض ويفسد بعضها ببعض بل كلها فيها محفوظة كان كلا منها قائم على حده انتهى
كلام شيخ حسين نسخ فقد صح لنا ان كل شيء في العالم الاعلى العقلي مع وحدته على
اشياء كثيرة ففاكهة واحدة هناك مع وحدتها مشتملة على فواكه كثيرة مما في العالم
الاوسط وجنة اصحاب اليمين وهذا امر محقق عند اهل الذوق والوجدان وثابت
عند الواغلين في الحكمة بالبرهان قوله عز اسمه وفرش مرفوعة انا انشاناهن
انشاء فجعلناهن ابكارا عربا اترابا وبسط عالية التي على وجه هذه الارض
السفلية كما تقول بناء مرفوع لانها كانت محفوظة ثم رفعت وقيل منضود بعضها
على بعض حتى ارتفعت او مرفوعة على الاسرة وعن الجبائي انهن النساء مرتفعات
القدر في عقولهن وحسنهن وكمالهن بدلالة تعقيبها بقوله انا انشاناهن انشاء
لان المرأة يكنى عنها بالفراش فيقال لامرأة الرجل فراشه ومنه قوله صلى الله
عليه وآله الولد للفراش وللعاهر الحجر وعلى التفسير الاول اضمر لهن لان ذكر الفرش
اي المضاجع دل عليهن انشاناهن اي ابتدانا خلقهن من غير مادة ولا ولادة لان
امور الآخرة كلها انشاءات من غير مادة واستعداد وحركة بخلاف امور الدنيا فان

كلها

كلها ماديات متجددة مقتضية فاعلها طبيعة سيالة الوجود وتدريجية الكون وقابلها قوة
انفعالية تجددية والتاثير من الفاعل ليس الا التحريك والاعداد دون الانشاء و
الايجاد فاما الذي يراد بها اللاتي ابتدئ انشاؤهن او اللاتي اعيد خلقهن على سبيل
الانشاء وعن رسول الله ص انه قال لام سلمة سالته عن قول الله تعالى انا انشاناهن فقال
يا ام سلمة هن اللواتي قبضن في دار الدنيا عجائز شمطاء رمصاء جعلهن الله بعد
الكبر اترابا على ميلاد واحد في الاستواء كلما اتاهن ازواجهن وجدوهن ابكارا فلما سمعت
رسول الله عايشة قالت واوجعاه فقال رسول الله ص ليس هناك وجع وقالت
عجوز لرسول الله ص ادع الله لي ان يدخلني الجنة فقال ان الجنة لا يدخلها العجائز
فولت وهي تبكي فقال عليه وآله السلام اخبروها انها ليست يومئذ بعجوز وقرأ الآية
عربا بضم الراء وقرئ بسكونها تخفيفا جمع عروب اي متحببات الى ازواجهن
متحببات اليهم حسنات التبعل اترابا متشابهات مستويات في السن بنات
ثلث وثلثين وكذلك ازواجهن لما روي عن النبي ص انه يدخل اهل الجنة الجنة
جردا مردا بيضاء جعادا مكحلين ابناء ثلث وثلثين قوله عز اسمه لاصحاب
اليمين اللام صلة انشانا او جعلنا ويحتمل كونه الظرف مستقر اي هذا المذكور حاصل
لاصحاب اليمين جزاء لاعمالهم وميراثا عن طاعاتهم قوله عز اسمه ثلة من الاولين و
ثلة من الآخرين اي طائفة من الامم السابقة وطائفة من مؤمني هذه الامة قال
الحسن سابقو الامم الماضية اكثر من سابقي هذه الامة وتابعو الامم الماضية مثل
تابعي هذه الامة ويوافقه قول مقاتل وعطاء وجماعة من المفسرين وكلا رجح لهن التلقيب

[illegible]

جمعا من هذه كلامه كما دل عليه الحديث المنقول آنفا وهو ايضا قول مجاهد والضحاك و
مختار الزجاج ومما يؤيد هذا النوع ان الانسان من حين اول بعثة آدم كان سالكا
سبيل الحق بالاهتداء متدرجا في الترقي والاستعلاء متطورا في اطوار الكمالات
من جهة تلاحق الاستعداد وظهور الاسماء بعقيب بعثة الانبياء ونزول الآيات
وترادف المعجزات بحسب خصوصيات الازمنة والاوقات حتى وصلت النوبة في
السعادة والاهتداء الى ظهور نبوة خاتم الانبياء عليه وعليهم السلام فبلغ الترقي
في الكمال الى منتهاه ووصل الروح الآدمي الى مبتغاه بحسب الفطرة الثانية والنشأة
الباقية وحكي عن ارسطاطاليس الحكيم انه قال وراء طور العقل طور آخر لكنه انما يكون
لاهل آخر الزمان كما ان طور الحواس كان للاوائل ومنهم ادريس ع فاطلعوا
بحواسهم على ما في السموات من عدد الكرات الفلكية والكواكب وهيئاتها وحركاتها
ثم طور الوهم والهم كان لمن بعدهم وكان منهم موسى عليه السلام وكان اذا اغتاظ
من قوم يهلك منهم بلحظ الوف كثيرة ثم طور العقل وهو لنا ثم طور وراء طور
العقل يكون لاهل آخر الزمان ثم قال رجل من الفلاسفة كان بعده صدق
قال ارسطو ونبي هؤلاء محمد بن عبد الله العربي سلام الله عليه وآله وانه
اطلع على امور بحسب الوحي من الله لم يدركه قبله ثم ان فضيلة هذا النبي على
ساير الانبياء عليهم السلام يدل على فضيلة امته على ساير الامم كما في قوله كنتم خير
امة اخرجت للناس وزيادة الشرف والفضيلة في النبي يدل على كثرة عدد
الصحابة والتابعين والائمة الهداة والمأمومين والاشياع والاتباع الصالحين

ومما يؤيد

ومما يؤيد ايضا هذا القول ويعضده من طريق الرواية ما رواه نقلة الاخبار عن ابن مسعود قال
تحدثنا عند رسول الله ص حتى اكرينا الحديث ثم رجعنا الى اهلنا فلما اصبحنا غدونا الى رسول الله
صلى الله عليه وآله فقال عرضت علي الانبياء الليلة باتباعها من اممها فكان النبي يجيء معه
الثلاثة من امته والنبي معه العصابة من امته والنبي معه النفر من امته والنبي معه الرجل من امته
احد حتى اتى اخي موسى في كبكبة من بني اسرائيل فلما رايتهم اعجبوني فقلت رب من هؤلاء
قال هذا اخوك موسى بن عمران ومن معه من بني اسرائيل قلت رب فاين امتي قال
انظر عن يمينك فاذا ظراب مكة قد سدت بوجوه الرجال قلت من هؤلاء قيل هؤلاء
امتك ارضيت فقلت رب رضيت قيل انظر عن يسارك فاذا الافق قد سد بوجوه
الرجال فقلت رب من هؤلاء فقيل هؤلاء امتك ارضيت فقلت رب رضيت فقيل
ان مع هؤلاء سبعين الفا من امتك يدخلون الجنة لا حساب لهم قال فانشأ عكاشة بن
محصن من بني اسد بن خزيمة فقال يا نبي الله ادع ربك ان يجعلني منهم فقال اللهم اجعله منهم
ثم انشأ رجل آخر فقال يا نبي الله ادع ربك ان يجعلني منهم فقال سبقك بها عكاشة
فقال نبي الله صلوات الله عليه وآله فداكم ابي وامي ان استطعتم ان تكونوا من السبعين
فكونوا وان عجزتم وقصرتم فكونوا من اهل الظراب فان عجزتم وقصرتم فكونوا من
الافق واني قد رايت ثمة ناسا كثيرا يتهاوشون كثيرا فقلت من هؤلاء السبعون الفا
فاتفق راينا على انهم ناس ولدوا في الاسلام فلم يزالوا يعملون به حتى ماتوا عليه فانتهى حديثهم
الى رسول الله ص فقال ليس كذلك ولكنهم الذين لا يسترقون ولا يتكبرون ولا يتطيرون
وعلى ربهم يتوكلون ثم قال اني لارجو ان يكون من تبعني ربع الجنة قال فكبرنا ثم قال

اني لارجو لكم ان تكونوا ثلث اهل الجنة فكبرنا ثم قال اني لارجو لكم ان تكونوا شطر اهل الجنة
ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وآله ثلة من الاولين وثلة من الآخرين قوله عز اسمه واصحاب الشمال ما
اصحاب الشمال ثم ذكر سبحانه اصحاب الشمال وعجب رسوله من حالهم وهم الذين
يؤخذ بهم ذات الشمال الى جهنم اي قعر العالم كما افصح عنه اسمها فيقال بئر جهنام اذا
كانت بعيدة القعر او الذين يأخذون كتبهم بشمالهم اي من جانب الحس والطبيعة وقد مر
بيان ان المعنيين متلازمان وبيانه بوجه اخر ان النفس الكلية الموصوفة بالقوتين
المعبر عنها بلسان الشرع باللوح المحفوظ ظل للعقل الكلي المعبر عنه بالقلم الاعلى
والنور المحمدي لقوله صلى الله عليه وآله اول ما خلق الله نوري كما ان الطبيعة ظلها فما
لم يمتد من ظل الشمس وبقيت في درجة النورية سميت بالزمردة الخضراء وما امتد من ظل
النفس فتسمى طبيعة وكان امتداده على جوهر الهيولى المظلمة فظهر من جوهر الهيولى والطبيعة
الجسم الطبيعي مظلما ولهذا اشبهوه بالشبح السوداء وفي هذا الجسم ظهرت صور هذا
العالم واشكاله وكما علمت هذا في النفس فاعلم ان الحال في النفوس الجزئية لانها
رقائق للنفس الكلية فلكل نفس جزئية جانبان من الاعلى وهو اليمين والاسفل وهو الشمال
وليس لها الانتقال من طرف الى طرف الا افراد النفوس الانسانية فان لكل منها
كالطير جناحان باحدهما يطير الى فوق وهي القوة النظرية وبالاخرى يهوي الى تحت
وهي القوة العملية فمن طارت نفسه الى العالم الاعلى اما بقوة ذاته كالمجتهدين العارفين
او بقوة غيره كالمقلدين المريدين فهو من اهل السعادة الاخروية امام المقربين الفائزين
او من اصحاب اليمين الناجين ومن هويت نفسه الى العالم الاسفل ونزلت الى درجة

النفس

الطبيعة

الطبيعة والحواس فهو من اهل الشقاوة الاخروية واصحاب الشمال والويل لكونه و
سكونه الى عالم الطبيعة فاذا زالت القوى الطبيعية وفقدت عنه هذه الحواس
كان كأن مقطوع الاعضاء ممنوع الاطراف في ظلمة شديدة لا ادوش منها فما
اصعب حال اصحاب الشمال وما اشد نكال اهل الظلمة والوبال فاراد سبحانه ان
يكشف عن سوء احوالهم وقبح مآلهم فقال قوله عز اسمه في سموم وحميم وظل
من يحموم لا بارد ولا كريم اي في ريح حارة من نار يدخل مسامهم وعرقهم
وفي ماء متناه حار متناهي الحرارة وظل من دخان اسود شديد السواد لا بارد
يستراح اليه ويسكن لديه ولا كريم ينتفع به ويتخلص من اذى اليوم الحار والحر اذى
الجحيم سماه ظلا ثم نفى عنه صفتي الظل والمراد اثبات مقابلهما يعني الصفتين
والمعنى انه حار ضار لا كظلال الجنة وللنفي في مثل هذا الكلام بلاغة ليست
للاثبات لاشتماله على ضرب من التهكم باصحاب الشمال وانهم قد حرموا عن روح تلك
الظلال العالية وبردها ونفعها واعلم انك ان كنت من اهله لن صورة جهنم واهلها
بعينها من حقيقة هذه الدنيا واهلها لكنه تظهر هناك باطنها ويبطن ظاهرها كما
انهما طويت سرائرها ونشرت ظواهرها فالسموم بالحقيقة هي من نار الطبيعة
الفاعلة للحرارة الشديدة في بواطن الاجسام المركبة من العناصر فان فعلها في
تحليل الرطوبات الحاصلة في بدن النبات والحيوان وافنا فضلاتها اقوى
من فعل النار المحسوسة في الحطب اليابس فنار الطبيعة المستورة عن الابصار الكامنة
في هذه الاجسام هي احق باسم النار من هذه النار التي هي احدى الطبقات

لانها تفعل في باطن الاجسام اكثر من ظاهرها بخلاف هذه ولانها اتم فعلا وادوم تاثيرا
لا يصادم تاثيرها مجاورة الماء ولانها جامعة وتؤثر فيه على ان هذه النار المحسوسة الفعم
مندرة بيتها ومنشأ احراقها وتوقيتها المحللات طبعه غير محسوسة ولها صورة اوقد
قريبة من نار الطبيعة الكلية في جميع الاجسام صور غيرها من العناصر وهي كلها بالقياس
الى نار البعض كالحارة الموقدة التي تطلع على الافئدة كشرارة من نار عظيمة وهاتان
الناران اي نار الطبيعة ونار النفس الشريرة كامنتان عن مشاهدة الخلق يظهرهما على
عليهم يوم القيمة واما الحميم فهو من حقيقة مياه هذا العالم اذا تسخنت في الاجساد
والابدان النباتية والحيوانية وشتدت سخونتها بفعل الحرارة الغريزية الكامنة
وخصوصا اذا انضمت اليها الحرارة الغريبة الحاصلة من التعب او المشقة او من استعمال
او من الحميات الشديدة او من الهواء المطيف بالبدن او من شدة تسخن الشمس او
تجميد القهر الموجب لاحتباس الحرارة ايضا في الباطن او غير ذلك مما لا تخ عنها
اهل الدنيا واهل السلامة الاخروية قد انقطعوا او تخلصوا ابباطنهم عنها فلا جرم
تجاوز علوق امثال هذه الامور واهل الشقاوة لما تعلقوا بهذه الامور ظاهرا
وباطنا ففي القيمة ايضا يتعذبون بها اشد العذاب لكشف الغطاء وحدة البصر
وقوة الحاجة الى الخلاص عن عذابها واما الظل من يحموم فهو من ظلال الادخنة
السوداء التي يسكن اليها ويستريح بها اهل الدنيا لفقرهم وحاجتهم الى ما يزيل
غمهم اذا احرّوا واعتقادهم لفرط الجهل والنقصان بان السكون عنده راحة
النفس واستماع لها وعدم تفطنهم بان جميع لذات الدنيا آلام ومصيبات وانما

بضغط

بضغط النفوس الى ارتكابها لانسداد طرق النجاة وانغلاق ابواب الخلاص عليها
عن عذاب جهنم الطبيعة ودواعي تاثيرها وتحللها ما دامت محبوسة في سجنها معقدة
بايدي سدنتها في جحيمها وزقومها ويحتمل ان يراد من اليحموم السماء الدنيا لانها
من حقيقة الدخان كما في قوله تعالى وهي دخان وكل دخان في ذاته فهو اسود وعند
التراكم يظهر سواده ويشتد ولذا لم يظهر عند التلطف او الجسم المطلق الذي هو ظل
ذو ثلث شعب لا ظليل ولا يغني من اللهب او هذه الارض المظلمة ولفظ من اما للبيان
او للتبعيض او النشية فيراد من الظل اما النفس من هذه الاجسام او جزءه او ما يتبعه
كالبدن ونحوه فان البدن ايضا كظل يسكن اليه النفس وهو جزء من الارض و
حاصل من الطبيعة الارضية المظلمة وروي ان اليحموم جبل في جهنم يستغيث اهل
ظله قوله عز اسمه انهم كانوا قبل ذلك مترفين وكانوا يصرون على
الحنث العظيم وكانوا يقولون ءاذا متنا وكنا ترابا وعظاما
ءانا لمبعوثون او اباؤنا الاولون لما ذكر سبحانه ما تقدم من احوال اهل
الضلال واصحاب الشمال بحسب العاقبة والمآل اراد ان يذكر ما تقدم من اسباب
شقاوتهم من افعالهم واحوالهم التي اوجبت لهم هذا النكال وذهبت بهم الى
مضيق هذا الوبال اذ العاقبة لكل احد من نتيجة السابقة والنهاية من مقولة البداية
لا شك ان مجامع مبادي الشرور والعصيان في افراد الانسان منحصرة في ثلثة امور
لان له قوى ثلث خلقها الله فيه لحاجته اليها ما دام في الدنيا لتكون وسيلة
له لحسن العاقبة في الآخرة اذا امر فيها فيما خلقت لاجله وهي بعينها اسباب الشقاوة

المستقبحات ط

عند انصرافها في غير وجوه مصارفها الشرعية ومواضعها الفطرية احدها القوة
الشهوية التي من شانها ان تستعمل المستقبحات وتدفع القاذورات والثانية القوة
الغضبية التي من شانها الغلبة والتهجم والايذاء والثالثة القوة الادراكية سيما
الوهمية من شانها الجربزة والمكر والحيلة فقوله انهم كانوا قبل ذلك مترفين اشارة
الى فعل القوة الشهوية على وجه الافراط اي كانوا في الدنيا منعمين منغمسين في
الماكل والمشارب اللذيذة والمناكحات الشهية وبين سبحانه ان الترف الهاهم
عن الانزجار وشغلهم عن الاعتبار فكانوا تاركين للواجبات طلبا لراحة ابدانهم
وقوله وكانوا يصرون على الحنث العظيم اي الذنب العظيم اشارة الى فعل القوة
الغضبية اذ الاصرار على الذنب ان يقيم عليه ولا يقلع عنه بمنع مانع ولا يتوب عنه
بلومة لائم ولا ينزجر بزجر زاجر لشدة القوة وافراط الداعية ولما كانت
القوة الغضبية اقوى من الشهوية واقرب الى الفعالة الباطنة فكان ذنبها عظيما
بالقياس الى ذنب الشهوة فكذلك ذنب القوة الوهمية اعظم من ساير الذنوب كما ان
طاعتها اعظم اجرا من طاعة هذه القوى التي تحتها وقد كانوا الحلفون لا يبعث
الله من يموت وان الاصنام انداد لله وقوله يقولون اذا متنا وكنا ترابا
الى آخره اشارة الى فعل القوة الوهمية وهو الاعتقاد الباطل في استحالة البعث
والنشور بناء على مقدمات وهمية وقضايا كاذبة تولف منها قياس مغالطي
او مقدمات مشهورة وقضايا شبيهة بالحق تولف منها قياس جدلي وهذا اشد
ضررا واكثر فسادا واصعب انقلاعا عن قلوب الجاهلين مثل قول من قال من

منكر

منكري المعاد ان الانسان اذا مات وتلاشت اعضاؤه وصار عظاما رميما
واجزاؤه ترابا فكيف تقبل الحيوة تارة اخرى فان قبلت الاجزاء الباقية
نفس الحيوة التي زالت عنها يلزم اعادة المعدوم وان قبلت غير تلك الحيوة
يلزم كونها حية بحيوة اخرى وحينئذ لم يبق فرق بين المعاد والمستانف ولا فرق ايضا
بين ان يقال ذلك الشخص عاد حيا او حدث شخص اخر ولد في نسبة الى ساير
الاشخاص لاختصاص بواحد دون واحد في كون هذا الشخص بعينه اذ لا عبرة
بالاجزاء الترابية فقوله ائنا لمبعوثون او آباؤنا الاولون يحتمل ان يكون كلا
لما ذكر على قراءة من قرأ او آباؤنا بالسكون الواو ليكون العاطفة فاصلة و
اما على قراءة من قرأ بفتح الواو ليكون واصله دخلت عليه همزة الاستفهام وهم
اكثر القراء وقراتهم احسن ليصح العطف على المضمر في المبعوثون من غير تاكيده بنحن
لوجود الفاصل الذي هو الهمزة فيحتمل ان يكون كلامه للاشارة الى شبهة اخرى
لهم وهي ان مقدار حجم الارض مقدار محصور محدود بالفراسخ والاميال بل ممسوح
بالذراع والاشبار وعدد النفوس غير متناه فلا يفي مقدار الارض ولا يسع لان
يحصل منه الابدان الغير المتناهية او لا يكون فيها اماكن جميع الخلايق السوابق منهم
واللواحق لعدم تناهيهم اذ لا قايل بان المحشور والمعاد بعض الناس دون
بعض وهذا الوجه ارتبط بما ذكره تعالى في الرد عليهم وهو قوله عز اسمه قل ان
الاولين والآخرين لمجموعون الى ميقات يوم معلوم وقوله
لمجموعون قد علم الله تعالى نبيه طريق دفع هذا الاعضال ولقنه تقرير الجواب عنه

السؤال

هذا الجواب فقال قلت يا محمد ان الاولين والآخرين اي الذين تقدموا عليكم من آبائكم و
غير آبائكم والذين يتأخرون عن زمانكم لمجموعون لميقات يوم معلوم اي المحشورون
لما اجل ووقت به الله عباده وهو يوم معلوم عند الله هو يوم القيمة فان الميقات
ما وقت به الشيء قال صاحب الكشاف ولنا بهذه الاضافة بمعنى من كخاتم فضة والحق
انها بيانية وهو يوم يسع الخلايق كلها لانه يشمل الايام كلها لكون مقداره خمسين
الف سنة كالذي ارض المحشر يسعهم اجمعين لانها جامعة للارضين كلهن كما حققه
العارفون فان هذه المعية والجمعية للخلايق على ضرب آخر ليست كمعية زمانية او جمعية
مكانية كونية وليس الجميع كالازمنة زمان ولا الجميع كالامكنة مكان ولا المجموع هذه الدار
دار اخرى الا بمعنى اخر ولعله نحو آخر من الكون ولنمثل لاجتماع الخلايق عند الله في
يوم واحد على ساهرة واحدة بمثال واحد جزئي وهو ان ملاقاة الكرة المدحرجة
مع السطح المستوى لا يكون في كل آن ولا في كل زمان من ازمنة السكون الا بنقطة واحدة
متعينة ويكون ملاقاتها معه في زمان الحركة الدورية بخط واحد متصل بل بنقط واحدة
يجتمع النقاط كلها لا بجمعية النقاط التي تكون في مقدار قار ساكن بل جمعية اخرى نحو
بسببها جميع اجزاء الخط وجميع النقاط التي كل منها واقعة في آن غير آن صاحبتها
في نقطة الملاقاة وكذلك حال اجتماع الخلايق في عرصة القيمة عند الله فافهم وتفهم ان
كنت من اهله قوله عز اسمه ثم انكم ايها الضالون المكذبون لآكلون
من شجر من زقوم فمالئون منها البطون ثم انكم ايها الذين ضللتم
عن طريق الهدى ونكبتم عن هذه المحجة البيضاء وعميت بصائركم عن مشاهدة انوار

ملكوت

ملكوت الارض والسماء وفسدت اذواقكم في الحكم عن ادراك حقايق الاشياء
من جهة متابعة النفس والهوى وتغيرت مدارك قلوبكم وارواحكم عما فطرها الله
عليها بمرارة المراء والامتراء في مواضع جدودها وحرم الله عليكم نعيم الجنة
وطعوم اهلها لآكلون كالبهائم والانعام من شجر من زقوم اي شجر هو الزقوم فمن الاولى
لابتداء الغاية والثانية لبيان الشجر وتفسيره لانه ابهم شجرة تنبت في اصل نار الجحيم
ثمرها رؤوس الشياطين كما وصفها سبحانه في سورة الصافات حيث قال انها شجرة تخرج
في اصل الجحيم طلعها كانه رؤوس الشياطين وهي شجرة النفس الخبيثة المتغيرة عن الفطرة العقلية
بسبب اعتقادات فاسدة فسدت بها كشجرة منتنة تغيرت رايحتها لفساد تطرق اليها
وغيرها عن الطبيعة الاصلية فصارت كريهة الطعم والرايحة وهي بحسب هذه الاعتقادات
نابتة في قعر جهنم الطبيعة المتشعبة اغصانها في دركاتها تعذب بها قلوب الكفار ونفوس
اهل النار لانها تنمو وتزيد بواطنهم في النفسانية وقوة الشرارة والقساوة و شدة
الجحود والعداوة لاهل الدين واصحاب اليمين واليه الاشارة بقوله فمالئون منها
البطون فشجرة الزقوم كانها مثال لنفوس الاشقياء وائمة الضلال المتصدين
المدعين للتعليم والارشاد واليها الاشارة بقوله انا جعلناها فتنة للظالمين
اذ قد صارت تلك النفوس من جهة طلعها اي حملها او ثمرها من العلوم المغالطية و
الاكاذيب الوهمية رؤوس الشياطين ولآكلون من زقوم اشارة الى نفوس الاتباع
المقلدين الذين ضلوا عن سبيلهم ونكبوا عن دليلهم واكلهم منها اخذهم الاعتقادات
الباطلة منه وتدينهم بدينه وامتلاء بطونهم منها تشوقهم في هذه العقايد الردية

المسودة للقلوب المغذية للنفوس الشقية المنزلية لها فضاضة وغلظ المورثة لها شدة وقسوة فان
الاشرار غذاؤهم من الشرور ومن اغذيتهم الاخروية وبازاء اغذية هؤلاء ارزاق اهل الله
ومقويات قلوبهم ومغذيات ارواحهم وهي المعلومات اليقينية والعقائد الصحيحة الايمانية من
معرفة المبدا والمعاد كما اشار اليه بقوله سبحانه اولئك لهم رزق معلوم فواكه وهم مكرمون
اذلك خير نزلا ام شجرة الزقوم اي معلوماتهم التي هي معلومات الله مقوية لقلوبهم مغذية لارواحهم
يتفكهون بها ويتلذذون في صحبة اتباعهم واصحابهم وقلوبهم بها مكرمة عند الله حاضرة
في مقعد صدق عند مليك مقتدر ولا شك ان اليقينيات التي تجعل العقول الهيولانية التي
هي ملائكة بالقوة ملائكة بالفعل خير نزلا وانزلا اليهم من الوهميات الكاذبة التي تجعل النفوس
الوهمانية التي هي شياطين بالقوة شياطين بالفعل وهي من شجرة من زقوم فعلى هذا تذكير
الضمير الراجع اليها في عليه لكونها على تاويل الزقوم لكونه في معناه واما على القراءة المعروفة
فتانيث ضمير الشجر في منها على المعنى وتذكيره في عليه للفظ قوله جل ذكره فشاربون
عليه من الحميم فشاربون شرب الهيم وفي شرب بالحركات الثلث في الفاء فالمفتوح
والمضموم مصدران وعن ابي عبد الله عليه السلام ايام منى ايام اكل وشرب بفتح الشين واما
المكسور فبمعنى المشروب والهيم الابل التي بها الداء المسماة بالهيام وهو داء تشرب منه
ولا تروى والمفرد اهيم وهيماء قال ذو الرمة فاصبحت كالهيماء لا الماء مبرد صداها
ولا يقضي عليها هيامها كذا في الكشاف وفيه ايضا الهيم الرمال ووجهه ان يكون جمع الهيام
بفتح الهاء وهو الرمل الذي لا يتماسك جمع على فعل كسحاب وسحب ثم خفف وفعل به
ما فعل بجمع ابيض يعني اذا امتلأت بطونهم بواطنهم من تناول شجرة الزقوم حتى

صاروا

صاروا كالممتلئ غضبا وحقدا وحسدا وقت هيجانهم سلط الله عليهم حرقة
القلب وعطش النفس لحب الدنيا والرياسة على الاقران والايذاء للخلق كمن به داء
الكلب الكلب فشربوا عليها كاسات من حميم الاهواء والاماني المذمومة الردية و
الاشواق للامور السفلية وتصورات الشرور الموذية التي يكسر بها بعض شرارة
النفس وسورة الغضب ولكن كانت موذية اخر الامر لما صارت به نفوسهم اسوء
حالا واكثر حرقة واضطرابا وطبايعهم اشد ثورانا وهيجانا من الاول لغلبة
الحرص والشهوة والحسد والعداوة كالناقة الهيماء والكلب العقور الذي
به سوء الداء قوله عز اسمه هذا نزلهم يوم الدين اعلم ان كل ما ياكلونه و
يشربونه اهل النار من اطعمة الدنيا واشربتها فيصير زقوما وحميما بحسب الباقية
وهذا امر مشهود لاهل الكشف والشهود لان كل ما يرد الى باطن الانسان يرتفع
منه اثر الى نفسه ويؤثر فيها بحسب نياته واعتقاداته في الخير والشر والنزل ما يعد
للنازل تكرمة له فالله سبحانه اشار الى ما كانوا يتمتعون به في الدنيا بقوله هذا اي
الزقوم والحميم نزلهم في الدنيا وعاقبته في يوم الدين وعلى هذا لا يكون الظرف متعلقا
بقوله نزلهم فلا يكون فيه تهكم بهم ويحتمل ان يكون المراد ان هذا الحميم والزقوم بصورتيهما
الاخروية نزلهم في الاخرة كما انهما بصورتيهما الدنياوية نزلهم في الدنيا فيكون
الظرف متعلقا به وعلى هذا ففيه تهكم كما في قوله فبشرهم بعذاب اليم وقرئ نزلهم
بالسكون تخفيفا قوله عز اسمه نحن خلقناكم فلولا تصدقون لولا كهلا كلمة
تحضيض اي نحن اوجدناكم اولا من غير مثال وحركة وارادة زائدة وداع فهلا

الا تحضيض

تصدقون به ولم لا تعلمون كيفية الايجاد حتى تعلموا منها كيفية الاعادة فان من قدر
على خلقكم في هذه النشأة الدنيا من غير مثال قدر على انشائكم نشأة اخرى من غير
مثال كابتدائكم تعودون والمنكرون للبعث كانوا بزعمهم مصدقين بالخلق و
الايجاد لكن لا يعلمون بحقيقته على وجهه ولا كيفية ارتباط الموجودات به حتى تعلموا
النشأة الثانية اللاحقة والا فلم يشكوا فيها فكانهم يكذبون بالخلق ويحملونه على
التخصيص على التجدد اي لما علمتم بالخلق فهلا تصدقون بامكان البعث لان من خلق
اولا لم يمتنع عليه ان يخلق ثانيا كما في قوله ولقد علمتم النشأة الاولى فلولا تذكرون
قوله عز اسمه افرايتم ما تمنون ءانتم تخلقونه ام نحن الخالقون هذا يرجع
المعنى الاول لقوله فلولا تصدقون اذ فيه تنبيه على ان جهلهم بالبعث لجهلهم بحقيقة
بالخلق ولو علموا بكيفية الاعادة وذلك لان القوم زعموا ان الفاعل ما يفعل
بحركة ومباشرة فكل من يباشر حركة او يستعمل جسما حتى يتهيأ لفيضان شكل
او يتشكل صورة من الواهب الحقيقي فهم يسمون ذلك المتحرك فاعلا ولهذا يظنون
الاب فاعلا ~~لهذا يظنون~~ للابن والممني فاعلا للمني والزارع فاعلا للزرع و
البناء فاعلا للبناء فهكذا تصوروا فاعلية الفاعل الاول جل اسمه فوقعوا في
الكفر اكثرهم والله سبحانه نبه على فساد ظنهم وبطلان عقيدتهم بان الممني ليس علة
للمني ولا البناء والزارع علة للبناء والزرع بل كل حركة منهم علة لحركة شيء اخر و
ذلك الى ان يصير مادة بتلك الحركة مستعدة لان يكسوها فاعل الكل صورة او
شكلا اما الاب فهو علة لحركة المني وحركة المني اذا انتهت على الجهة المذكورة تادت

لحصول

لحصول المني في القرار واما تصويره حيوانا او نباتا فلعلة اخرى ومبدأ اعلى و
اما البناء فحركته علة لحركة اللبنة ثم سكونه بعدها وتركه الحركة علة لانتهاء تلك
الحركة وانتهاؤه علة لاجتماع ما واما تشكيل المجتمع من اللبنات وحفظه وامساكه
مدة فله فاعل اخر هو الذي بقوته يمسك السموات والارض لئلا تزولا وكذا حكم الزارع
فان حركته سبب لحركة الحبة ثم سكونه بعدها او تركه حركته علة لسكون الحبة في قرارها
من الارض مثل سكون النطفة في قرار الرحم فاذا ثبت ان فعل الفاعل الحقيقي هو
افاضة الوجود لا التحريك وان اعداد المورثان لاستعداد المواد كالنطفة والبذر
لقبول صورة الحيوان والنبات من مبدا جواد تحقق الاعادة منه مثل الابداء لا
يفتقر فيها الى سبق مادة قابلة يستعملها ليتهيأ لحصول صورة ثانية بل اذا انشأ نشأة
ثانية من غير مثال فقوله افرايتم ما تمنون معناه افرايتم ما تقذفونه بالحركة الجماعية في
ارحام النساء من النطف انتم مقدروه ومصوروه ام نحن مقدروه ومصوروه
والاول باطل فتعين الثاني فاذا ثبت انه تعالى مقدر الحيوة بلا مادة فهو مقدر الموت بلا مادة
وقرأ ابو السمال تمنون بفتح التاء يقال امنى النطفة ومناها قال سبحانه من نطفة اذا
تمنى قال الرازي في الكبير وجه الاستدلال بهذه الاية ان المني انما يحصل من فضلة الهضم
الرابع وهو كالطل المنبث في اطراف الاعضاء ولهذا يشترك كل الاعضاء في
غسلها بالالتذاذ الواقع لحصول الانحلال عنها كلها ثم ان الله سلط قوة الشهوة
على البنية حتى يجمع تلك الاجزاء الطلية بل انها يجتمع مادتها الغذائية كانت متفرقة
في اطراف العالم ثم الله جمعها بقدرته في بدن الحيوان ثم في اوعية المني ثم اخرجها

ماءً دافقاً في قرار الرحم فاذا كانت هذه الاجزاء متفرقة فجمعها وكوّن منها هذا الشخص
فاذا افترق بالموت مرة اخرى فكيف يمتنع عليه جمعها مرة اخرى هذا الكلام وفيه ما لا
يخفى من وجوه التكلف حيث ادعى مقدمات لا دلالة عليها ولا حاجة اليها مع امكان
المناقشة فيها وفي استلزامها الدعوى بعد تسليمها قوله عز اسمه نحن قدرنا بينكم
الموت وما نحن بمسبوقين لما انه تعالى فاعل صورة الانسان ومقدر وجوده
هو الله سبحانه بحسب جهات فاعلية ترجع اليه من علمه وارادته وحكمته لا بحسب جهات قابلية
ترجع الى القابل من مادته ووضعه وحركته لان تلك الجهات حيثيات انفعالية والوجود
لحصول اصل الوجود وهذه الجهات منشأ القوة والامكان لنفسه ولا اختصاص له بزمان
ومكان وتعدد وانقسام فاشار الى انه المعيد كما انه المنشئ فان ايجاد الخلق افاد
اصل الوجود وثمرته وغايته فالمجيء الى الدنيا من الجنة هو النزول من الكمال الى النقص
والخروج من الفطرة الاصلية ولا محالة لصدور الخلق من الحق لم يكن الا على هذا الطريق الحق
والذهاب من الدنيا الى الاخرة هو الترقي من النقص الى الكمال او الرجوع من الحالة الغريبة الى
الفطرة الاصلية ولا محالة رجوع الخلق الى الخالق ليس الا على هذا الطريق الله يبدؤ الخلق
ثم يعيده ثم اليه يحشرون لكن السعداء يتوجهون اليه تعالى بنفوس راضية وقلوب سليمة
عن العلائق الظلمانية والعوائق الردية واما الاشقياء فيرجعون اليه بنفوس مظلمة كدرة
كثيرة التعلق بالدنيا ومؤذياتها وقلوب مسودة منكوسة متعلقة الى اسفل والتقدير
ترتيب الامر على مقداره فقوله نحن قدرنا بينكم الموت يحتمل ان يراد منه نحن خلقنا
لا بد ان يلاقوه عند الموت بهيئات مختلفة وقسمناها بين ارواحكم مناسبة لاعمالكم و

اخلاقكم

اخلاقكم فان الموت قد يطلق على حال الانسان بعد هذه الحيوة الدنياوية وفي
مقابل الاراد منه قدرنا بينكم الموت قسمنا عليكم قسمة الرزق على اختلاف وتفاوت
كما تقتضيه مشيتنا فاختلف اعماركم من قصير وطويل وعن الضحاك معناه سوينا
فيه بين المطيع والعاصي وبين اهل السماء والارض وقوله وما نحن بمسبوقين اي
لا يسبقنا احد منكم عليه ولا يعجزنا عليه يقول سبقته على شيء اذا اعجزته عنه وغلبته
عليه وقيل انه من تمام ما قبله فمعناه لا يغلبنا احد منكم على ما قدرناه من الموت بان
يدفعه وقيل انه متصل بما بعده وهو قوله عز اسمه على ان نبدل امثالكم و
ننشئكم فيما لا تعلمون اعلم ان الروح الانساني اوجده الله دائما مدبرا
لصورة طبيعية سواء كانت في الدنيا او في الجنة او في النار او في غيرها فاول
صورة لبسها بعد الصورة التي اخذ عليها الميثاق قبل صورة دنياوية حسية يلبسها في
رابع شهر من حين تكون صورة جسده في الرحم الى ساعة موته وله فيها انتقالات
متصلة يتوارد عليه الامثال على نعت الاتصال في نظر اكثر الناس انه بدنه بعينه واحد
شخص من ابتداء العمر الى انتهائه وليس كذلك بل هو في كل حين حشر من صورة الى اخرى
متشابهة ولتشابه الصور يلتبس ذلك عليهم كقوله تعالى بل هم في لبس من خلق جديد ويحتمل
ان يكون اللبس من اللباس وفي هذا التشبيه حسن كاف في تفسيره بالاشتباه والالتباس ثم اذا مات
حشر الى صورة اخرى من حين موته الى وقت سؤاله حشر من تلك الصورة الى صورة جسد
الموصوف بالموت فيجد نفسه الانسان الميت المقبور بعينه فيحرك ويؤخذ باسماع الناس
وابصارهم عن حيوته الا من خصه الله بالكشف عن ذلك من نبي او ولي من الثقلين ثم

يحشر بعد السؤال لا صورة لغيره في البرزخ بل بتلك الصورة بعينها في البرزخ يمسك فيها الى نفخة
البعث لقوله ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون فيبعث في تلك الصورة ويحشر الا الصورة
التي كان يقع عليه السؤال والحساب فان لم يكن من اهل ذلك الصنف حشر في الصورة التي
يدخل بها الجنة او النار واذا فرغ من السؤال حشر لا صورة يدخل بها الجنة او النار واهل
النار كلهم مسؤلون محاسبون فاذا استقر اهل الجنة فيها ثم دعوا الى الرؤية ونودي الى الكثيب نودوا
حشروا في صورة لا يصلح الا للرؤية فاذا عادوا حشروا الا صورة فاذا دخل سوق الجنة
فاي ما فيه من الصور فانه صورة رآها واستحسنها انسلخ اليها وحشر فيها فلا يزال في الجنة
دائما يحشر من صورة الى صورة الى ما لا نهاية له لان قدرة الله سبحانه واسعة فاعلم هذا
فانه من لباب المعرفة بالآية وقوله وننشئكم فيما لا تعلمون اشارة الى حشر الارواح الى
عالم المفارقات المحضة المقابل لحشر الاشباح والاجساد الى عالم الصور الجسمانية او
الجسمانية ذلك للمقربين وهذا لاصحاب الشمال او اليمين ويحتمل الذي يكون المراد منه وننشئكم
فيما لا تعلمون من الهيئات المختلفة على حسب اعمالكم ونياتكم فان المؤمن يخلق على احسن هيئة
واجمل صورة والمنافق على اقبح صورة واوحش شكل وربما يحشر بعض الناس على صورة
حيوان لم يعهد مثله في قبح المنظر وكراهة الصور بواسطة تركيب الاخلاق الرديئة في نفسه التي
يوجد كل منها في حيوان آخر قبيح الصورة متفرقة وقد اجتمعت في ذاته مثل من اجتمعت في
ذاته شهوة الحمار ودياثة الخنزير وتكبر الاسد وحرص النمل وحقد الجمل وحيل الغراب وجبن
الصلصل وغير ذلك فيتركب بهيئة صورة حيوان جديد من هيئات صور هذه الحيوانات وفي
الحديث يحشر بعض الناس على صورة يحسن عندها القردة والخنازير قوله عز اسمه ولقد

علمتم

علمتم النشأة الاولى فلولا تذكرون اعلم ان الرجل لو علم وتفطن بصنع الباري
ومسلك عنايته وحكمته في وجود النشأة الاولى للانسان ومذهب طبيعته وقوى
نفسه في التدرج في الاحوال والترقي من صورة الى صورة عند الاستكمال حيث ابتدأ
اولا من تراب ثم من نطفة من ماء مهين ثم كان علقة جامدة في قرار مكين ثم كان
جنينا مصورا تاما ثم كان طفلا متحركا حساسا ثم كان صبيا ذكيا فهما ثم شابا متصرفا
قويا نشيطا ثم كان كهلا مجربا ثم شيخا كاملا اماما في الحكمة والمعرفة فيكون حكيما او وليا من
اولياء الله ثم يكون بعد الموت ملكا سماويا او من الملائكة المقربين او في المكر و
الجربزة فيكون محتالا مكارا عدوا للدين من اعداء الله ثم يكون بعد الموت شيطانا
مريدا لعنه الله محشورا في حزب واصحاب النار واما في طلب اللذات من الشهوة و
الغضب فيكون اما ظالما محشورا بعد الموت في صورة السباع والحيات او فاجرا
محشورا في صورة البهائم والحشرات فيعلم يقينا ان للانسان نشأة اخرى فوق
هذه النشأة الاولى بل الدنيا والاخرة واقعتان تحت جنس المضاف بحسب
المفهوم فيعقل كل منهما وتذكرها يستلزم تعقل الاخرى وتذكرها اصلا فان الدنيا
عبارة عن حالتك القريبة قبل الموت والاخرة عن حالتك البعيدة بعد هذه
الحيوة فكل منهما متقدمة الى الاخرى ومضافة اليها وكما ان للانسان اطوارا متفاوتة
في الدنيا بعضها فوق بعض كذلك له مواطن واطوار متفاوتة في الاخرى بعضها
صورية وبعضها معنوية مما في بواطن الآخرة وسيتوارد عليه الامثال و
يتعاقب له الاحوال مثل العرض والحساب والميزان والكتاب والصراط و

الاعراف والجنة والنار ويحتمل ان يكون المراد انك يا انسان لما علمت نشأتك الدنيا
وحالتك الدنية الاولى التي قد وقع لك فيها الانتقالات من رتبة الى رتبة فوقها
فكنت اولا جمادا ثم نباتا ثم حيوانا ثم بشرا سويا سميعا بصيرا متفكرا ولم
ينتقل من رتبة من هذه المراتب الا وقد خلع عنك صورة خسيسة واعراض ناقصة
والبست ما هو اجود منها واشرف فهكذا ينبغي لك ويجب عليك ان لا تتوانى من
استعمال القوة العاقلة التي هي اشرف ما حصل لك في هذه النشأة وتتذكر امور الاخرة
والغايات التي كانت بازاء البدايات وموقن منه الابتداء واليه الرجوع
للكل فلا تترقى في درجة من العلوم والمعارف الا وتخلع عن نفسك اخلاقا وعادات
واعمالا كنت معتادا بها منذ الصبي من غير بصيرة ولا روية حتى يمكنك ان تفارق هذه
الصورة البشرية وتلبس لباس الاخيار وتتصور بالصور الملكية ويمكنك الصعود
في المنازل العالية والترقي في المراتب الجنانية مع الذين انعم الله عليهم من النبيين و
الصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا وقرن النشأة
دون الكتب ولم فهذه الاية دليلا على صحة القياس حيث جهلهم في ترك قياس النشأة
الاخرى على الاولى ولا يخفى ان هذا ليس من باب القياس فانه من باب ملاحظة النهايات
من البدايات والاستدلال من ذي الغاية على غاية تؤول اليها فكما ان النشأة النباتية
غاية النشأة الجمادية والحيوانية غاية النباتية والحيوة العقلية غاية الحيوة الحسية وكما انها
فكذلك النشأة الاخرى غاية النشأة الاولى فمن نظر الى ترتيب الامور وتفاوت الموجودات
في مراتب الشرف والخسة والكمال والنقص وجد ان لكل ناقص خسيس توجها غريزيا الى

ما هو اقرب منه في الشرف والكمال ثم نظر في حال الانسان فوجد ان له انتقالات
من صورة الى صورة فوقها واستحالات من صفة الى صفة لعلم يقينا ان له نشأة ثانية باقية
يقع الرجوع الى موجد الكل وغاية الجميع وهذا المسلك لمي برهاني ومسلك شريف جدا
فان الله تعالى قد ذكره ونبه عليه في مواضع كثيرة تعليما للعباد منها قال في سورة الحج
يا ايها الناس ان كنتم في ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة الى قوله و
ترى الارض هامدة ثم قال ذلك بان الله هو الحق وانه يحيي الموتى وانه على كل شيء قدير
وان الساعة آتية لا ريب فيها وان الله يبعث من في القبور وقال في سورة المؤمنين
بعد ذكر مراتب الخلقة ثم انكم بعد ذلك لميتون ثم انكم يوم القيمة تبعثون وقال في سورة لا
اقسم الم يك نطفة من مني يمنى ثم كان علقة فخلق فسوى وقال في سورة الطارق
فلينظر الانسان مم خلق الى قوله انه على رجعه لقادر فهذا المسلك في معرفة المعاد ليس
قياسا فقهيا كما توهم اذ القياس الفقهي من اضعف الادلة ومما لا يفيد الا ظنا ضعيفا
ثم القياس على تقدير صحته انما يصح في العمليات اذ الغرض فيها مجرد العمل دون الاعتقاد
فيكفي فيه الترجيح بالاجتهاد واما العقايد الحقة الدينية سيما معرفة المبدأ والمعاد فيجب على
المكلف تحصيل اليقين فيها ولا يكفي الظن وقد ذم الله تعالى اهل الظن والتخمين في
قوله وما يتبع اكثرهم الا ظنا ان الظن لا يغني من الحق شيئا قوله عز اسمه افرأيتم ما
تحرثون ءانتم تزرعونه ام نحن الزارعون لو نشاء لجعلناه حطاما
فظلتم تفكهون انا لمغرمون بل نحن محرومون قد نبه الله سبحانه في هذه
السورة على ثبوت المعاد وحقية حشر الاجساد بوجوه مختلفة بعضها لدفع شبهة

الجاحدين المنكرين والضالين المكذبين وبعضها لزيادة تنوير قلوب اهل الدين منها
قوله افرايتم ما تمنون الخ وقد مر وجه الاستدلال به ومنها ان الحبة المزروعة جوهر جامد
ارضي غاية فعل الانسان فيه انه يدفنه في التراب ويسقيه بالماء وغاية فعل التراب فيه
انه يفسده ويعفنه ويجعله مثله ترابا او رمادا كما يفعل باجساد الحيوانات وكذا
فعل الماء فيه لا شيء واما فعل طبيعة الحبة المزروعة في مادته التثقيل والتسكين لا
الاصعاد الى جانب السماء ثم الاثمار والايلاد وبعد حصول النشو والنماء فلولا انه
افاده الله بحكمته قوة اخرى باطنية وكلمة فعالة ملكوتية يفعل بها ما يغذيها اولا
ثم ينميها ثانيا ثم يولدها ثالثا بما يقع منه من انتفاع كجنود واعوان وخدم منتشرة فيها
يستخدمها ثلثة رؤساء الغاذية والنامية والمولدة لكانت اما رمادا او هشيما
تذروه الرياح او حطاما لا ينتفع به حيوان في مطعم ولا ملبس او تبنا لا قوة فيه ولا غذاء
منه فثبت وتحقق عند العارف المحقق ان الله قد اودع في مواد الكائنات
قبول فيضان الصور والكمالات والقوى والكيفيات واودع بعنايته وحكمته
في صورها توجها طبيعيا الى ما هو اشرف واقرب الى افق النور وعالم الرحمة ثم افاض
عليها رحمة بعد رحمة وهداية بعد هداية حتى اوصلها الى غاياتها ودرجاتها ونهايات
حركاتها وهكذا الى ان ينتهي حركاتها وانتقالاتها الى الحيوانية ثم الى الانسانية وكلما حصل
فيها كمال اتم وصورة اقوى كان عشقها وشوقها الى ما هو كمال وغاية لها اكثر واشد
فاذن ثبت وتحقق انه لا يجوز ان يقف حركة الوجود عند الانسان ويسكن لديه
ولا يتجاوزه الى ما هو خير منه لنقصانه ما دام في الدنيا عن تمام الارتقاء الى عالم الدوام

والبقاء

والبقاء فقوله افرايتم ما تحرثون اي تبذرون حبوبه في الارض وقوله ءانتم تزرعونه
اي تنبتونه وتغذونه وتنمونه وتجعلونه في اطوار الخلقة وتبلغونه الى ان يبلغ الغاية
وتصل النهاية وعن رسول الله صلعم لا يقولن احدكم زرعت وليقل حرثت و
سبب نهيه ع عن ذلك الاشتباه الواقع على الناس بين المعد والموجد كما مر وقوله
فظلتم وقرئ فظللتم على الاصل تفكهون اي تتعجبون بما نزل بكم في زرعكم
جعل حطاما وصار هشيما لا ينتفع به وعن الحسن وقتادة وعكرمة تندمون على
تعبكم فيه وانفاقكم عليه واصله من التفكه بالحديث وهو التلهي به فكانهم يروحون
الى التندم كما يروح التفكه الى الحديث مما يزيل الهم وقرئ تفكنون وفي الكشاف
ومنه الحديث مثل العالم كمثل الحمة ياتيها البعداء ويتركها القرباء فبينا هم
اذ غار ماؤها فانتفع بها قوم وبقي قوم يتفكنون اي يتندمون وقوله انا
لمغرمون وقرئ ائنا اي لملزمون غرامة ما انفقنا فيه او مهلكون لهلاك رزقنا
من الغرام وهو الهلاك وقوله بل نحن محرومون اي قوم منحوسون ممنوعون
من الرزق عادمو الحظ والبخت ولو كنا قوما مجدودين غير محارفين لما
جرى علينا ذلك قوله عز اسمه افرايتم الماء الذي تشربون ءانتم انزلتموه
من المزن ام نحن المنزلون لو نشاء جعلناه اجاجا فلولا تشكرون
الماء المشروب هو الماء العذب الصافي الصالح للشرب والمزن السحاب الواحدة
مزنة لما ذكر في الآية السابقة مادة المطعوم وصورته وفاعله الذي هو الخالق
الرازق وغايته التي هي انتفاع الانسان به وقوام نشأته الدنيوية مدة عمره

[illegible]

منه ليتهيأ في تلك المدة للعود في النشأة الآخرة والرجوع إلى غاية الأشياء واشير فيها
إلى الاستدلال على إثبات البعث فذكر في هذه الآية مادة المشروب وصورته و
كيفية نزوله ومبدأ وجوده وحكمة كونه وغايته وطريق الاستدلال على إثبات فاعل
الكل وغايته وهو أن الماء جسم ثقيل بالطبع يجره على النزول طبيعته فإصعاده على
خلاف مقتضى الطبع لا بد فيه من قوة قاهرة من عالم الأمر فوق المادة و الطبيعة
تجرهما على الصعود كما تجرهما على الإصعاد قوة العزيز الحميد الذي له الملك والملكوت
والخلق والأمر فإذا أصعده تلك القوة التي هي ملك نوراني من ملائكة الله أداه إلى ملك
من ملائكة السحاب وهو مع رخاوته حامل للماء الثقيل وممسك له في جو السماء إلى حين
يأذن له في إرسال الماء وتقطيع قطرات كل قطرة بالقدر الذي قدره الله وعلى
الشكل الذي شاء وهو أفضل الأشكال وأشرفها لكونه أبسطها وأوسعها وأدومها
وأتمها وفاعلها ومظهرها ودليلها ثم ترى تلك السحاب يرش الماء بتيسير الرياح و
ينزل المطر مدرارا في مظان الحاجة إلى الأرض الجرز ويرسله قطرا منفاصلة لا يدرك
قطرة منها قطرة ولا يتصل واحدة بأخرى ولا تزاحمها في الطريق بل تنزل كل منها في
الطريق الذي رسم لها لا تعدل عنه يمنة ويسرة ولا يتقدم المتأخر ولا يتأخر المتقدم
حتى يصيب الأرض التي عين لها ولكل حيوان فيهما من طير ووحش وبهيمة ودود ومكتوب
على تلك القطرة بخط إلهي لا يدرك بهذا البصر الظاهر أنه رزق الدود الفلاني في الموضع
الفلاني يصل إليه وقت حاجته وعطشه هذا وغير ذلك من الحكم التي شاء الله في
الماء وإنزاله من السحاب بوجوه مختلفة وعلى هيئات متعددة مثل البرد والثلج والصقيع

وغيرها مع انعقاد البرد الصلب من الماء اللطيف وتناثر الثلوج كالقطن المندوف
من تأثير محرك قوي نداف مع أنه لا يشاهده العين لغاية لطافته وشفيف حاله لا
يحصى عجائبه كل ذلك فضل من الجبار القاهر والخلاق القادر ما لأحد من الخلائق
فيه شرك ومدخل بل ليس للمؤمنين من خلقه ولا للملائكة المسبحين إلا الاستكانة والخضوع
تحت جلاله ولا للعميان الجاحدين إلا الجهل بكيفية خلقه وأمره في شيء ورجم الظن
بذكر سببه وعلته فيقول الجاهل المغرور القاصر إنما ينزل الماء من السحاب لأنه ثقيل
بالطبع وطبيعته سبب نزوله ويظن أن هذا معرفة انكشف له ويفرح به ولو قيل
له ما معنى الطبع وما الذي أجبر طبع الماء حتى رقى إلى جانب السماء ثم لو أحالوا
وتخيلوا وجها آخر وقالوا إن الهواء انقلب بطبعه ماء في كرة الزمهرير لبرودته
العارضة لا أنه صعد الماء إلى هناك قلنا أيها الجاهل بعلم ما فوق الطبيعة و
الغافل عن سر الخلق والأمر فمن الذي أجبر طبيعة الهواء حتى ينقلب ماء والبرودة
كيفية عرضية والعرض لا يفيد صورة الجوهر ثم من الذي أجبر طبيعة الماء المصبوب في
أسفل الأشجار حتى رقى إلى أعلى الأغصان وهو ثقيل بطبعه فإذا هوى إلى أسفل
كيف ارتفع ثانيا إلى فوق في داخل تجاويف الأشجار شيئا فشيئا بحيث ينتشر في جميع
أطراف الأغصان والأوراق فغذا لكل جزء من كل ورق يجري إليه في تجاويف عروق
شعرية دقيقة غير مرئية يرى منها العرق الذي هو أصل الورق ثم ينتشر من ذلك العرق
الكثير الممدود في الطول صغار فكان الكثير نهرا وما انشعب عنه جداول ثم تنشعب من
الجداول سواقي أصغر منها ثم ينتشر منها خطوط عنكبوتية دقيقة تخرج عن إدراك

البصر حتى ينبسط في جميع عرض الورق فيصل الماء في اجوافها الى ساير اجزاء الورق
لتغذيه وتنميه وتبقى طراوته ونضارته كذلك في ساير الاشجار وفي الحيوانات والغرض
منها كلها خلقة الانسان وانما كونت من فضالته ساير الاكوان كما حققه اهل الكشف
والبرهان فان كان زمام امر الماء بيده فكيف يتحرك الى فوق وهو مخالف طبعه
ولئن كان زمامه بيد جاذب فما الذي سخر ذلك الجاذب حتى يجذبه الى فوق وساير
الجوانب فان كان ينتهي بالاخرة الى خالق السموات والارض وجبار الملك والملكوت فلم
لا يحال عليه في اول الامر حتى تخلص من هذا الشرك فنهاية امر الجاهل بداية حال
العاقل فقوله الماء الذي تشربون اي تشربون انتم واشجاركم وزروعكم بل شرب
الاشجار والزروع لدى الاعتبار عند اولي الابصار هو شرب الانسان فان الماء
يبدرق الطعام اي ما يتغذى به النبات والحيوان ويسوقه من المواضع البعيدة الى
الانسان بعد الاستحالات وقوله لو نشاء جعلناه اجاجا اي جعلنا ملحا زعاقا
لا يقدر على شربه كما كان اولا في البحر او ابقيناه فيه على حاله من غير ان نصعده الى
فوق ثم نرسله الى مواضع الارض فلولا تشكرون اي لا تعرفون قدر هذه النعم العظيم
فان الشكر كساير المقامات له جزء علمي هو كالاصل وجزء عملي هو فرعه فمن عرف الاصول
التي منها يحصل الاطعمة ويصير صالحا لان يتغذى بها الانسان تعلم انه يملك الاسباب
لاجل سياقة العباد الى عالم المعاد فيعلم بالضرورة علم اليقين الاخرة كما قال تعالى
فلينظر الانسان الى طعامه انا صببنا الماء صبا الاية فانك اذا نظرت الى
طعامك عرفت انه قد حصل من الماء والتراب واذا نظرت اليهما عرفت انهما

بحرافيهما

بحرافيهما لا تغذيك فتحتاج الى البذر والحبوب فاذا وجدت حبة او حبات فلو اكلتها
لفنيت وبقيت جايعا فما احوجك الى ان ينمو الحبة في نفسها وتزيد وتتضاعف حتى يفي
بحاجاتك فخلق الله في حب الحنطة والشعير من القوى ما يغتذي به كما خلق فيك فان النبات
لا يفارقك في الاغتذاء والنماء بل يفارقك في الحس والحركة وكما انه ليس كل شيء لا يغذيك
فكذلك النبات لا يتغذى بكل شيء بل يحتاج الى طعام مخصوص بدليل انه لو تركته في البيت
لم يزد لمجرد مصادفة الهواء ولو تركتها في الماء لم ينمو وكذلك لو تركتها في ارض لا ماء
فيها بل لا بد فيه من ارض فيها ماء يمتزج بها ومن هواء يتخلل فيها ومن حرارة تؤثر
فيها فيحتاج الى العناصر الاربعة ليحصل منها مادة غذائه ثم الماء لا يتحرك بنفسه فالله
سبحانه يحركه بايدي ملائكة الموكلة عليه كما اشير اليه في قوله انا صببنا الماء صبا ثم
الهواء لا يتحرك بنفسه ولو تركت الحبة في ارض ندية صلبة متراكمة لم ينبت لفقد الهواء
في جوفه ولا بد من تركها في ارض رخوة متخلخلة يتغلغل اليه الهواء فيحتاج الى ريح
تحرك الهواء ويضرب بقهر وعنف على الارض حتى ينفذ فيها واليه الاشارة بقوله
وارسلنا الرياح لواقح وانما لقاحها في ايقاع الازدواج بين الهواء والماء
والارض ثم يحتاج الى حرارة الربيع والصيف فهي لا يحصل من الماء والارض
وهما باردان ولا من الهواء لقلة حرارته الذاتية ولبرده بمجاورتهما ولا من كرة
النار لبعدها فانظر كيف سخر الشمس وكيف جعلها مع بعدها عن الارض مسخنة لها وقت
دون وقت عند الحاجة وجعل القمر نائبا عنها في نضج الفواكه من الترطيب كما فيها
من التسخين وهذه احدى فوائد الشمس والقمر والحكم فيهما وفي السماويات كثيرة لا تحصى

ثم اذا عرف حاجة النبات الى الشمس والقمر والكواكب علم ان وجودها لا يكون ولا يتم الا
بالافلاك التي هي مركوزة فيها ولا يتم الافلاك الا بحركاتها ولا يتم حركاتها
الا بالارادة الشوقية الا بملائكة نفسانية تحركها بارادات واشواق الى ما هي فوقها من
غايات عقلية فلا يتم الا بملائكة عقلية مفارقة عن الاجسام وشوائبها واغراضها
لتعاليها عن النظر الى غير وجه الله لانهم المعتكفون تحت قبة الجبروت فهم ابدا في
مشاهدة جماله متحيرون لا يرومون النظر الى ما سواه لانهم صائرون اليه الا الى
الله تصير الامور فمن عرف ان كل نعمة من نعم الله الا باشياء هذه الامور المرتبة المذكورة
بعضها المطوية اكثرها لخفائها ودقتها من الاسباب المؤدية الى عظائم عوالم ملكه و
ملكوته وجبروته ثم الى مرتبة الهيته واسمائه ثم الى لجة ذاته الاحدية وكبريائه الغيبية
فيعلم ان مبدء الاشياء منه تعالى فياخذ في شكر نعمه ويجعل كل شيء في مصرفه الذي صرفه
الله اليه فينكشف له ان مواد الاغذية كالماء والارض والنار والهواء لغاية
الاغتذاء او حصول صورة الغذاء وهي لحصول النشو والنماء وهما لتمام خلقة الشخص وبقاء
النوع لما لا يقبل شخصه قوة البقاء ثم تمام الخلقة انما يكون لحصول النفس الحساسة
المحركة وهي للنفس المتخيلة وهي للناطقة العارفة بالحق وملكوته بالقوة وهي للقوة العاقلة
بالفعل الصائرة عقلا فعالا لافيض منه المعقولات لانه قلم الحق الاول الذي به
منه تصوير الحقائق على الواح القلوب والنفوس والقلم بيد القدرة مقبوضة مسخرة متحركة
بها ولاجلها والقدرة ينتهي الى القادر فمنه الابتداء واليه الانتهاء فاذا علم هذا
بلغ الى مقام التوكل والرضا فاذا بلغ اليهما واحكمهما يصل الى مقام الوحدة فيصير

عبدا مخلصا عن شوب الشرك بالكلية اذ في التوكل ضرب من الشرك الخفي لكونه كالتجلد
المزيد وكذا في التوكل فانه يستدعي متوكلا ومتوكلا عليه يتكلف المتوكل في حوالة
امره الى الوكيل والرضا وان كان باب الله الاعظم ففيه ايضا رائحة من الاشتراك
فان الراضي يدعي له وجودا مقابلا لوجود المرضي عنه وله مجال التصرف في تركه بالاختيار
وهذه المرتبة ايضا قاصرة عن درجات الواصلين الى درجة التوحيد فان ارتقى
من هذه الدرجات وصل الى مقام الفناء المحض ومحو الاثر بالكلية وهو منزل اهل
الوحدة المطلقة فان الى الله المنتهى والى الله الرجعى قوله عز اسمه افرايتم النار
التي تورون ءانتم انشاتم شجرتها ام نحن المنشئون ثم ذكر الله سبحانه
حكم النار بعد ذكر الارض المزروعة لدلالة الزرع عليها بالالتزام وذكر الماء وهو
المولد لكونها اشرف العناصر واصفاها وابعدها مكانا عنا محتاطا لنا للحث
على النظر في عجيب امرها وحكم تكونها في وجه الارض مع بعد حيزها الطبيعي عنها بقوله
افرايتم النار اي نظرتم نظر المعتبر المتفكر في خلقها وحكمها التي تورونها اي تقدحونها
وتستخرجونها من الزناد والمقادح وهما العودان شيء من قبول الصورة النارية قيل
ان العرب يقدح بعودين احدهما على الآخر ويسمون الاعلى الزند والاسفل الزندة
وشبهوهما بالفحل والطروقة وقدم في سورة يس عند قوله تعالى الذي جعل لكم من الشجر
الاخضر نارا فاذا انتم منه توقدون ان المرخ والعفار يقطع الرجل منهما غصنين
مثل السواكين وهما خضراوان يقطر منهما الماء فيسحق المرخ وهو ذكر على العفار
وهي انثى فتنقدح النار باذن الله فيتعلق بالحطب وغيره فنشاء شجرتها التي يقدح

منها النار أأنتم أنشأتم شجرتها أي أنبتموها وابتدأتموها أم نحن المنشئون إياها على وجه
ينصلح لأن تتعلق بها النار لتكون خليفة للشمس والقمر في وجه الأرض للإضاءة ليلاً ولأن ينضج
بها من الطعوم ما لا ينضجه الكواكب فلا يمكن لأحد أن يقول أني أنشأت تلك الشجرة غير الله ثم إن النار
صاعدة بالطبع كالهواء والماء والشجر وغيرهما هابط بالطبع وأيضاً النار نورانية والشجرة
ظلمانية والنار حارة يابسة والشجرة باردة رطبة فقد أمسك الله تعالى في داخل تلك الشجرة
الظلمانية بعض الأجزاء النورانية فقد جمع بقدرته بين هذه الأجزاء المتنافرة وجبرها على
الالتيام لينصلح بها حال النباتات ويتهيأ بها للإنسان الطعام وليأخذ من شاء من
عباده طريق الآخرة ودار السلام بهذا المركب البدني وزاد المعرفة التي هي نور من
أنوار الله العقلية يهتدي به في ظلمات بر الدنيا وبحر الآخرة ويستضيء به طريق المعاد
وسبيل النجاة وهو المحرك لأهل الإيمان إلى الجنة والرضوان والساعي بهم إلى عالم
القدس ومجاورة الرحمن كما في قوله يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم قوله عز اسمه
نحن جعلناها تذكرة ومتاعاً للمقوين لأن الله جعل النار تذكرة يتذكر
بها الإنسان كثيراً من دقائق صنع الله وعجائب حكمته منها ما مر ومنها أنها تدل على
النار الأخروية الكبرى لما روي عن رسول الله صلعم ناركم هذه التي توقد بنو آدم جزء من
سبعين جزءاً من حر جهنم فإذا رآها الإنسان ذكر جهنم وأهوالها فاستعاذ بالله
ومنها أنها تدل على نار النفس التي هي شعلة ملكوتية تتوقد بها القلب بواسطة الروح
البخاري الذي هو كفتيلة دخانية تستعد للاشتعال ولئن لم تمسسه نار كمادة فيها قابلية
كبريتية وتلك النفس هي التي سواها الله وألهمها فجورها وتقواها فيتذكر قوله قد

أفلح من زكاها وقد خاب من دساها فأخذ في تزكية النفس وتطهيرها من الآفة والنقص
ومنها أنها جوهر نوراني سماوي والنور حقيقة بسيطة تختلف مراتبه في الشدة و
الضعف وغاية كمال الأنوار العقلية والنفسية وهي كظلال وأضواء للنور الأحدي
الإلهي فيتذكر بها عالم الربوبية وليأنس منها إليه كما وقع لموسى على نبينا وآله وعليه السلام
ومنها أنها مادة خلقة الشيطان وجنوده فيتذكر بها إبليس وكيده ويتعوذ بالله تعالى
منه بأن ينور ناره بنور المعرفة ويتقي من استيلاء شرارة الغضب وحرارة الشهوة
ودخان المعصية ويطفئ بنور إيمانه نار جهنم كما ورد في الحديث أنها تقول للمؤمن
جز يا مؤمن فإن نورك أطفأ نوري تأويلاً لقوله تعالى وإن منكم إلا واردها ثم
ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا وقوله متاعاً للمقوين أي جعلناها بلغة
ومنفعة للمسافرين عن ابن عباس وضحاك وقتادة يعني الذين نزلوا الأرض
القواء وهي القفر وعن عكرمة ومجاهد للمستمتعين بها من الناس أجمعين المسافرين
بيابان
والحاضرين فيكون المقوين من الأضداد الذي صار ذا قوة من المال والنعم والذي
ذهب ماله ونزل بالقواء من الأرض وفيه إشارة لطيفة وهي أن الروح الإنساني
المسافر إلى عالم الغيب من عالم الشهادة ما دام نزوله بالبدن وهو مكان قفر
مظلم لا يوجد فيه نعيم الآخرة ينتفع بحرارة نار الطبيعة التي في البدن لأنها فاعلة
فيه لتسخين البدن فيستطلي بها قواه ويستضيء بها حواسه وتفعل التغذية ويهضم
الطعام ويطبخ الطبيخ من اللحوم والحبوب والتوابل وغيرها في قدر المعدة أولاً
ثم في قدر الكبد ثانياً وأما إذا ارتحل الروح عن البدن ووصل إلى موطنه

استغنى بانواع المعارف الآتية الفاعلة للحيوة الاخروية الدائمة عن انوار الحس والحركة
الناشية عن طبيعة البدن اذا رجع الى منزله نهارا بانوار الشمس واما اهل الجحيم المقوين
عن النار التي كان ينتفع بها ليلا في الارض القواء فهم عن الفقراء المحتاجين
الذين اشتدت حاجتهم الى النار حيث كانوا في شدة الفقر سواء كانوا في المسكن
او في القواء فانهم اذا رجعوا الى موطنهم في الشتاء سكنوا في الاتونات والمزابل و
المزابل والمواضع المظلمة وذلك لبرودة قواهم الطبيعية بالهرم والموت وانطفاء
انوار حواسهم فليس لاحدهم نور لا نور المعرفة ولا نور الحس ولا نار الطبيعة لانهم باعوا
حرارة الطبيعة وانوار الحواس بثمن بخس من اللذات الدنيوية ولم يصرفوها في كسب
نور المعرفة حتى ربحوا او فازوا فوزا عظيما فهم قد خسروا خسرانا مبينا كما قال سبحانه
فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين مثلهم كمثل الذي استوقد نارا فلما اضاءت
ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون صم بكم عمي فهم لا يرجعون
قوله عز اسمه فسبح باسم ربك العظيم لما ذكر سبحانه ما دل على قدرته وحكمته
وانعامه على وجه العناية الخالية عن شوب الاغراض التي تعود اليه امر نبيه تعليما للعباد
على الثناء والتسبيح له عما يقول الظالمون الذين يجحدون باياته ويكفرون بوحدانيته
واما التعجب من امر المبدع لهذه العجايب المصنوعة لامره او من امر من ينظر الى هذه
الآلاء الباهرة والايادي الظاهرة ثم يمر عليها معرضا عن التدبر فيها والتفكر في منافعها
ومباديها وغاياتها كما قال وكاين من آية في السموات والارض يمرون عليها وهم
عنها معرضون واما شكر الله على هذه النعم العظيمة التي عددها ونبه عليها وعلى منافعها

الدنيوية

الدنيوية وغاياتها الاخروية وحقيقة التسبيح ليس مجرد ان يقول الانسان سبحان الله
بل روح التسبيح ومعناه اعتقاد انه تعالى مجرد عن الاوصاف والنقايص الامكانية منزه عن
العلايق الجسمانية والعوايق الظلمانية وهذا لا يتيسر الا لمن كان له نصيب من التقدس و
التجرد كصنف من الملائكة وطائفة من اهل الوحدة واخوان التجريد فان كل معتقد
يعتقد في ذات الله وصفاته بحسب مقامه وحاله فاهل الحواس يعبدون الله في مقام
التشبيه والعقلاء والمجردون يعبدونه في مقام التنزيه واما اهل الله الواصلون
الكاملون فيشاهدون الله ويعبدونه في جميع المقامات والاحوال ويسبحونه ويعظمونه
عن الاشباه والامثال قوله عز اسمه فلا اقسم بمواقع النجوم وانه لقسم
لو تعلمون عظيم لا زايدة موكدة من قبيل قوله لئلا يعلم اهل الكتاب وقيل لا
مزاد في القسم فيقال لا والله ولا وعمرك كقول امرء القيس لا وابيك ابنة العامري
لا يدعي القوم اني افر وقيل لا رد لما يقوله الكفار في القرآن انه سحر او شعر او مفترى
او كهانة ثم استانف الكلام واقسم وقيل لا منبه والمعنى لا اقسم على هذه الاشياء فان
الامر اظهر من ان يحتاج الى اليمين ومواقع النجوم مساقطها ومغاربها ووجه
في الكشاف بانه لعل لله في آخر الليل اذا انحطت النجوم الى المغرب افعالا مخصوصة
عظيمة او للملائكة عبادات موصولة او لانه وقت قيام المتهجدين والمبتهلين اليه وفيه ما لا
يخفى من الحدس فان سقوط النجم وغروبه لا يختص باخر الليل بل ما من وقت الا وفيه
غروب نجم وغروب نور في الافق وقيل اراد بمواقعها منازلها ومسايرها وله
في ذلك من الدليل على عظم القدرة والحكمة ما لا يحيط به الوصف ولا يبعد ان يكون المراد بها

النجوم انفسها لانها مواقع قدرة الله ومنازل جوده وحكمته بان يكون الاضافة بيانية
او يراد بالنجوم نفوسها المنورة وبالمواقع اجرامها التي مواقع تلك الانوار فيكون
الاضافة لامية وفي الشواذ قرأ الحسن والثقفي فلأقسم بمعنى فلانا اقسم بلام ابتدائية
دخلت على جملة من مبتداء وخبر ثم حذف المبتداء وهو انا وليس لام للقسم لعدم قرانها
بالنون المؤكدة كما هو دابهم ولان فعل القسم يجب ان يكون للحال وجوابه للاستقبال و
قوله وانه لقسم لو تعلمون عظيم جملة وقعت اعتراضا بين القسم والمقسم عليه وهو قوله انه
لقرآن كريم ولو تعلمون اعتراض بين موصوف وصفة فهو اعتراض في اعتراض وانما
وصف هذا القسم بالعظمة لعظمة المقسم فان الله سبحانه قد عظم امر السماء وما فيها من
الكواكب فكم من صورة تشتمل على تفخيمها في مواضع وكم من قسم اقسم بها في القرآن كقوله
والسماء ذات البروج والسماء والطارق والشمس وضحيها والقمر اذا تليها فلا اقسم
بالخنس الجوار الكنس والنجم اذا هوى وذلك لشرفها ونورانيتها وملكوتها ودوام دورها
وطاعتها الله تعالى وسرعة حركاتها الدورية الارادية في طلب الحق الاول وتلالؤ جمالها
وورود اشراقاته عليها لا لداع حيواني من شهوة او غضب او التفات بما دونها فلها
في كل شوق وجد ورقص وخضوع ولكل حركة وسجود وركوع لمعة اخرى وبشر وفي نور
اخر فهكذا يدوم الاشراقات العقلية بدوام الحركات الدورية ويدوم الحركات الشوقية
بدوام اللمعات الالهية وما من موضع في السماء الا ومن الملئكة فيه ساجد وراكع من
نفس وعقل والعلوم شرفها وقربها من افق الالهية قسم الله تعالى بها واحال الارزاق
اليها فقال وفي السماء رزقكم وما توعدون ومدح الناظرين في امرها واثنى على المتفكرين

في خلقها القائلين ربنا ما خلقت هذا باطلا وقال رسول الله صلعم لما نظر الى السماء و
الكواكب وقرأ قوله تعالى ان في خلق السموات والارض لآية ويل لمن قرأها وتجاوزها ثم
غير لمن يتأمل فيها ويتدبر في ملكوتها وليس معنى التفكر ان يعرف احد زرقة السماء
وضوء الكواكب كالعوام والانعام اولا ترى ان الله تعالى قد ذم المعرضين عن التدبر
في آياتها فقال وجعلنا السماء سقفا محفوظا وهم عن آياتها معرضون فعلم ان
معنى النظر الى ملكوت السموات ليس بان يمتد البصر الى شكلها وزرقتها وضوء الكواكب
وحركتها من غير ان ينقطع محركها ومحرك محركها وهكذا الى الذي ينتهي الى لمعات انوار الربوبية
ومعاني اسماء الالهية فيرتقي الى عالم الاسماء من عالم السماء بان يعلم ان كل جرم سماوي له طبع
ونفس وعقل واسم الهي يتصل به الكل فانه كان مجرد ذلك هو المراد فلم مدح الله خليله
ابراهيم عم بقوله وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين بل كل ما
يدرك بحاسة البصر وسائر الحواس فهو من الدنيا ويشترك فيه البهائم مع الانسان و
القرآن يعبر عنه بالملك والشهادة وما غاب عن ادراك الحواس فهو من الاخرة ويعبر عنه
بالغيب والملكوت والله تعالى عالم الغيب والشهادة فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى
من رسول وهو جبار الملك والملكوت فلا يستطيع احد ان ينفذ فيهما الا من اصطفى
منهم يا معشر الجن والانس ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار السموات والارض فانفذوا
لا تنفذون الا بسلطان اي نور قاهر قال المسيح الممسوح بنور الله لن يلج ملكوت
السموات من لم يولد مرتين مرة من رحم المواد ومرة من مشيمة الحواس واعلم ان ارتباط
هذه الآية بما سبق انه سبحانه لما ذكر مواد خلقة الانسان واسباب غذائه الجسماني الذي

به قوام بقيته ونشأته الدنيوية من العناصر الاربعة وذكرها على الترتيب من الاسفل الاخس الى
الاعلى الاشرف حتى بلغ الى ذكر ما هو اشرفها واقصاها وهي النار فذكر حكمتها ومنفعتها في
الخلق اليها فاراد ان يهدي الناس الى معرفة السماء ومواقع النجوم لانها منشأ ارواح بني
آدم ومادة ميلاد نفوسهم في نشأة المعاد وقيامهم عند الله لان روح الانسان انما
يتغذى بمعارف القرآن ويحيى بحيوة العلم والعرفان والقرآن بما فيه من العلوم الحقة و
المعارف الالهية انما نبتت اولا من القلم الاعلى في اللوح المحفوظ وبواسطة السموات العلى نزل
الى هذه السماء الدنيا منجما ولهذا فسر بعضهم مواقع النجوم باوقات نجوم القرآن اي
اوقات نزولها وانما اقسم بتلك الاجرام العنصرية مع ما فيها من عجائب القدرة واقسم
بهذه المواضع لعظم امرها وشرف ملكوتها فاي نسبة لجميع العنصريات الى السماء وما فيها
من الكواكب وملكوتها ومن ادرك الكل وفاته عجائب ملكوت السماوات واعداد حكمة الله
فيها فقد فاته الكل جميعا اذ هو كلها فالارض والبحار والهواء وكل جسم سوى السماوات
بالاضافة اليها كقطرة في بحر عظيم قوله عز اسمه انه لقرآن كريم في كتاب مكنون
وقرئ المتطهرون والمطهرون بالادغام والمطهرون من اطهره بمعنى طهره والمطهر
بصيغة الفاعل بمعنى يطهرون انفسهم او غيرهم بالتعليم والاستغفار لهم لان القرآن
لكريم عند الله لكونه كلام الله يتكلم به خواص ملئكته وصفوة انبيائه في الدنيا وخواص
عباده المؤمنين في الاخرة لدلالة قوله ولا يكلمهم الله عليه بالمفهوم ولانه رفيع المرتبة
مصون عن النسخ محفوظ عن التغير والتبديل لكونه على الحقائق الاشياء التي لا يتبدل
بتغير الملل والمذاهب فهو عند الله شريف المنزلة وقيل انه كريم بمعنى انه كثير المنفعة

وهو ايضا حق لانه عام المنافع كثير الخيرات والبركات ينال الاجر العظيم بتلاوته
تاليه ويفوز بالثواب الجسيم العامل بما فيه ولكونه نورا يهتدي به في ظلمات الارض
كما قال ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عباده والنور كثير البركة ولكونه حكمة
والحكمة مفتاح كل سعادة لقوله ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا وقيل انه كريم
بمعنى انه حسن مرضي في جنسه لانه معجزة للنبي الكريم مشتمل على كل دقيق وجليل من العلوم
وعلى المواعظ والاحكام والاخبار عن المغيبات في كتاب مكنون اي مستور ما فيه
من الخلق لكونه في عالم الغيب والخلق في عالم الشهادة بل مصون من غير المقربين من
الملئكة لا يطلع عليه من سواهم وسوى من وصل الى مقامهم من الانبياء المصطفين
وذلك الكتاب هو اللوح المحفوظ عن المحو والتغير والنسخ لانه مجرد عال عن عالم الاجرام
التي تتطرق اليها الكون والفساد وعن عالم الارواح القدرية التي يعتريها المحو والاثبات
وارواحها التي يجري فيها النقل والتغير والنسخ والتبديل فهو جوهر عالم عقلي
محل للقضاء الالهي وروح كلي ملكوتي فيها جميع ما قضى الله تعالى على الخلق كما في
قوله ص ان الله كتب كتابا قبل ان يخلق الخلق ان رحمتي سبقت غضبي فهو مكتوب
عنده فوق العرش بقلم القدرة الالهية وهو المسمى بام الكتاب لقوله وانه في ام الكتاب
لدينا لعلي حكيم لان جميع العلوم الحقة الموسومة باللدنية التي لا تعلم الا بتوفيق الله
ثابتة فيه فائضة منه بافاضة الله على قلب من يشاء من عباده كما قال اقرأ وربك
الاكرم الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم وقوله وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل
الله عليك عظيما فكان اللوح القضائي وهو مجمع الجواهر العقلية والارواح المفارقة

بالكلية التي هي مفاتيح الغيب لقوله تعالى وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو ومحل القضاء
الالهي وهي ايضا خزاينها في علم الله فالعالم النفساني بجرمه السماوي محل القدر لقوله
تعالى وان من شيء الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم فمحل صور المعلومات
الكلية هو عالم النفوس الناطقة وانما ترتسم صورها في الالواح القدرية على سبيل
التنزيل اذ الصور العقلية في غاية الصفا لا ترى ولا تتمثل في معلومتها الكلية لكنها
لشدة نوريتها واجمالها كمرآة مضيئة ترد البصر عن ادراك ما فيها من الصور وشعاعها
فيها فينتسخ تلك الصور منه في لوح النفس الناطقة الكلية التي هي قلب العالم كما ينتسخ بالقلم
في اللوح صورا معلومة مضبوطة بعللها واسبابها على وجه كلي وهذا مثل ما يظهر في قلوبنا
عند استحضارنا المعلومات الكلية كالصور النوعية في باب حدود التصورات او كبريات
القياس في باب براهين التصديقات عند الطلب للامر الجزئي المنبعث عنه الارادة
للفعل والعزم عليه وذلك كالاول كالعلم الاجمالي الذي لنا وهو عقل بالفعل ينشأ منه
الصور الكلية عند الاستحضار ثم تنتقش من عالم النفوس الناطقة الكلية في النفوس الحيوانية
السماوية والحيوانية المنطبعة في اجرامها نقوشا جزئية متشخصة باشكال واوضاع معينة مقارنة
لاوقات معينة من لواحق المادة على ما يظهر في الخارج وهذا كما ينتقش في قوتنا الخيالية
كالصور الشخصية وكصغريات القياس ليحصل بانضمامها الى كبرياتها نتيجة جزئية ينبعث
منه راي جزئي يحصل عنه قصد جازم الى فعل معين فيجب عنه حصوله في الخارج وذلك
العالم هو لوح القدر وخيال العالم وكتاب المحو والاثبات لان جزئيات العلوم متبدلة
فيه وكلياتها مضبوطة فيما فوقه لقوله تعالى يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده ام الكتاب

وهذا

وهذا الكتاب بسر الله بالدفتين الي دنيانا وبالسماء الدنيا التي نزل اليها القرآن
الكريم اولا من اللوح المحفوظ وغيب الغيوب ثم يظهر في عالم الشهادة فقوله انه لقرآن
كريم اشارة الى مرتبته الجمعية الالهية الموسوم بالقلم الاعلى والعقل الاول اعني العقل
الاجمالي الذي هو فعال صور المعقولات في العقول والنفوس وقوله في كتاب
مكنون هو اللوح العقلي المحفوظ عن التجدد والتغير وفيه علم الفرقان وانما وصف
القرآن في الكريم دون الفرقان لانه العقل البسيط الذي ينشأ منه الصور
العقلية التفصيلية وينافي منه العلوم لاستحضاريه تأخر المحكم عن العلة والمركب عن
البسيط وانما علو العلام الفعال ومحله بالعقل القرآني لا بالعقول الفرقانية
قوله عز اسمه لا يمسه الا المطهرون لان القرآن كالانسان منقسم
الى سر وعلن ولكل منهما ظهر وبطن ولبطنه بطن آخر الى ان يعلمه الله ولعلنه علانية
اخرى الى ان يدركه الحواس واعلاها اما ظاهر علنه فهو المصحف المحسوس الملموس والرقم
المنقوش المحسوس واما باطن علنه فهو ما يدركه الحس الباطن ويستثبته القراء و
الحفاظ في خزانة محفوظاتهم كالخيال ونحوه والحس الباطن لا يدرك المعنى فابل
خلطا مع عوارض جسمانية الا انه يستثبته بعد زوال المحسوس والوهم ايضا كالحس
لا يحضران في الباطن المعنى الصرف كالانسانية المطلقة بل على نحو ما يدركه الحس من
خارج مخلوطا بزوايد وغواش من كم وكيف ووضع واين فاذا حاول احدهما
ان يتمثل له الصورة الانسانية المطلقة بلا زيادة لغرض لم يمكنه ذلك بل انما يمكنه
استثبات الصورة المقيدة بالعلايق الماخوذة عن ايدي الحواس ولن فارق

المحسوس بخلاف الحس فانه لا يمكنه ذلك فيما ان المرتبتان من القرآن اوليتان دنيويتان
مما يدركه كل انسان واما باطنه وسره فهما مرتبتان اخرويتان لكل منهما درجات
فالاولى مما يدركه الروح الانسانية التي تمكن من تصوير المعنى بحدوده وحقيقته منفوضا عنه
اللواحق الغريبة ماخوذا من المبادي الفعالة من حيث يشترك فيه الكثرة ويجتمع عنده الاعداد
في الوحدة ويضمحل فيه التخالف والتضاد ويتصالح عليه الآحاد ومثل هذا الامر لا
يدركه الروح الانسانية ما لم يتجرد عن مقام الخلق ولم ينفض عنها الحواس ولم يرتق الى
مقام الامر متصلا بالملاء الاعلى اذ ليس من شان المعقول من حيث هو معقول ان يحس كما
ليس من شان المحسوس من حيث هو محسوس ان يعقل ولن يستتم الادراك العقلي بآلة جسمانية
فان المتصور فيها مخصوص مقيد بوضع ومكان وزمان والحقيقة الجامعة العقلية لا تصور في
منقسم مشار اليه بالحس بل الروح الانسانية تتلقى المعقول بجوهر عقلي من جنس عالم الامر ليس
بمتحيز في جسم ولا متمكن في حس ولا داخل في وهم ثم لما كان الحس تصرفه فيما هو من عالم الخلق
والعقل تصرفه فيما هو من عالم الامر فما هو فوق الامر والخلق فهو محتجب عن الحس والعقل جميعا
ولا شك ان كلام الله من حيث هو كلامه قبل نزوله الى عالم الامر وهو اللوح المحفوظ
وقبل نزوله الى عالم السماء وهو لوح المحو والاثبات وعالم الخلق له مرتبة فوق مرتبة
الخلق والامر جميعا فلا يتلقاه ولا يدركه احد من الانبياء عليهم السلام الا في مقام الوحدة
الالهية عند تجرده عن الكونين الدنيا والآخرة وعروجه وخرقه العالمين الخلق والامر كما كان
افضل الانبياء عليه وآله وعليهم السلام لي مع الله وقت لا يسعني فيه ملك مقرب ولا نبي
مرسل فاذا تقرر هذا فثبت ان للقرآن مراتب ومنازل كما للانسان درجات ومعارج

فلابد

فلابد لمس القرآن في كل مرتبة ودرجة من طهارة وتجرد عن بعض العلائق فالضمير في
لا يمسه ان كان عائدا الى المصحف الذي بايدي الناس ويدركه جمهور ارباب الحواس
فلا يجوز لغير المتطهر من الاحداث والاخباث كالجنابة والحيض والنفاس مس كتابته
او مس المصحف كما هو عند البعض وروي عن محمد بن علي الباقر عليه السلام وعطا وطاوس
وسالم وهو مذهب مالك والشافعي ولا لغير المتطهر من نجاسة الكفر الغالب بالاقرار بالشهادتين
تلاوته وحفظ الفاظه فيكون لا يمسه خبرا بمعنى النهي وان كان عائدا الى كتاب
مكنون وجعل الجملة الفعلية صفة له فالمعنى لا يمس اللوح المحفوظ ولا يحمل ما فيه
الا المجردون عن جلباب البشرية من الانسان والملائكة الذين وصفوا بالطهارة
من اثام الاجرام كجبرئيل حامل التنزيل في مقام التفصيل وان كان عائدا الى القرآن
الكريم من حيث يحمله العلم الاعلى في مقام الاجمال صح ان يكون الجملة الاسمية صفة له
والفعلية صفة اخرى بعد صفة وهما جميعا صفتان له بعد صفة الكرام فيكون المعنى
لا يمسه الا المطهرون عن نقايص الامكان واحداث الحدثان وهم اعاظم الانبياء
المرسلين واكابر الملائكة المقربين وبالجملة للقرآن درجات كما ان للانسان
بحسبها ولكل درجة من درجاته حملة يحملونه وحفظة يحفظونه ولا يمسونه الا بعد
طهارتهم عن حدثهم او حدوثهم وتقدسهم عن شواغل مكانهم وامكانهم وادنى
المنازل في القرآن ما في الجلد والغلاف كما ان ادنى الدرجات للانسان هو ما في الجلد
والبشرة ويجب ان لا يحمله من الانسان البشري الا بعد تطهير بشرته وغلافه عن النجاسة و
هذا كما ورد ان الايمان ليس بابا واحدا بل هو نيف وسبعون بابا اعلاها شهادة

لئلا آله الا الله وادناها اماطة الاذى عن الطريق وبمثاله قول القايل ليس الانسان
موجودا واحدا بل هو نيف وسبعون موجودا اعلاها الروح وادناها اماطة
الاذى عن البشرة بان يكون مقصوص الشارب مقلوم الاظفار نقي البشرة عن الاخباث
حتى يتميز عن البهائم المرسلة الملوثة بارواثها المستكرهة الصور بطول مخالبها و
اظلافها فعلم من هذا ان للانسان درجات ومراتب مثل مطابق للايمان ومراتبه وكذا
حكم القرآن وسيأتيك زيادة كشف قوله عز اسمه تنزيل من رب العالمين
هذه صفة رابعة للقرآن اي منزل من عند رب العالمين لا لاهل هذا العالم وانما وصف
بالمصدر لانه من حيث هذا الوجود الكوني نزل نجما نجما بحسب الدواعي الكونية والمصالح
الخلقية في الاوقات المعينة فكانه في نفسه تنزيل لتعالي الباري القيوم عن وصف
التغير والتجدد وكثرة الدواعي والارادات واما كيفية هذا التنزيل فنقول في
بيانها ان الذات الاحدية بحقيقة الصمدانية مما لا سبيل لاحد الى ادراكه سواء كان
من الملائكة او من الاناسي وغاية السبيل اليه لاهل الكونين ادراك افعاله و
آثاره وكلامه وكتابه عندنا من جملة افعاله وآثاره الا انه احدهما وهو الكلام
من عالم الامر بل هو كلامه كله لقوله تعالى انما امرنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن
فيكون وامره منزه عن التجدد والتضاد لقوله وما امرنا الا واحدة وثانيهما
وهو الكتاب من عالم الخلق بل هو عالم الخلق لاشتماله على التجدد والتضاد لقوله
ولا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين ولكل منهما منازل ومراتب وكل واحدة
من مراتب الكلام قضاء وكل واحدة من مراتب الكتاب قدر واعلى مراتب

القضاء قضاء محض ليس فوقه قضاء وهو الكلام الالهي المبدع له بالحقيقة وادنى مراتب
القدر قدر محض لا قدر تحته وهو الكتاب الكوني الذي فيه كتابة اعمال اهل الشمال وكما
ان كلام الله مشتمل على الآيات وهي آيات الله الكبرى الواقعة في المواقف العقلية المسماة
تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق فكذلك كتابه المبين مشتمل على آيات الآفاق والانفس
تلك آيات الكتاب المبين وكل كلام اذا تنزل وتشخص يصير كتابا كما ان الكلام اذا انزل
صار فعلا لكن فيكون فالكتاب نائب الكلام واصل الكلام انما يراد لتصوير ما يتضمن
باطن المخاطب ليصير مثله فاذا عجز المخاطب عن مس باطن المخاطب مس الخاتم للشمع
ليجعله مثله نفسه في نقشه ورقمه اتخذ بين الباطنين سفيرا من الظاهر بين اما ان يكون
هوائيا متكلما به او رسالة لوحية ناطقة بما فيها فان الهواء بتموجه الصوتي على هيئاته
الحرفية كتاب بالقياس الى ما فوقه وهو نفس المتكلم وهو كلام بالقياس الى صحيفة الرسالة
او بسيط الصماخ بهيئاتها الكتابية فعلى هذا كل واحدة من الذوات المفارقة والملائكة
العقلية الذين هم علوم ابداعية وصور مجردة كلام الله باعتبار وقلم باعتبار وكل واحدة
من الجواهر النفسية والملائكة المدبرة كتاب الله باعتبار ولوح باعتبار وكذلك الالواح
القدرية والصحائف السماوية كل منها كتاب مشتمل على آيات الربوبية ودلائل القدرة
وهكذا صحيفة الاكوان وطومار حوادث الزمان ودفتر الصور الجسمانية كتاب
فيه آيات الليل والنهار التي ينشر بعضها ويطوى بعض آخر ويظهر ويكمن كما قال
ان في اختلاف الليل والنهار وما خلق الله في السماوات والارض لآيات لقوم يتفكرون
فعالم الكلام والقول فيه آيات امرية عقلية علمية وعالم الكتاب والفعل فيه آيات

خلقية كونية عملية ليطالع الانسان اولا بمشاعر نفسه وبدنه بعض الآيات الفعلية الكتابية
الآفاقية والانفسية ثم يترقى بها ذاته من مقام الحس والنفس الى مقام القلب والروح فيسمع
ويفهم تلك الآيات القولية الكمالية حتى يعرف بها الحق اولا كما قال سنريهم آياتنا في
الآفاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق فاذا علمت الفرق بين الكلام والكتاب
فاعلم ان هذا القرآن فيه كلام الله وكتابه جميعا وهو بما هو كلام الله كلام نور من انوار
الله المعنوية نازل من لدنه منزله الاول قلب من يشاء من عباده المحبوبين لقوله
ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا وقوله مخاطبا لحبيبه صلعم نزل على
قلبك وقوله بالحق انزلناه وبالحق نزل وهو بما هو كتاب نقوش وارقام فيها آيات
احكام نازلة من السماء بنحو ما على صحايف المحبين والواح نفوس السالكين وغيرهم
يكتبونها بايديهم في صحايف اعمالهم والواح افكارهم بحيث يقراها كل قارئ ويعمل
باحكامها كل عامل دينا وسياسة وهذا للانبياء وامهم كما في قوله تعالى وانزل التورية
والانجيل من قبل هدى للناس وقوله وعندهم التورية فيها حكم الله واما القرآن
الكريم ففيه عظائم علم الله يتعلم به نبي الله صلعم لقوله وعلمك ما لم تكن تعلم وكان
فضل الله عليك عظيما وفيه عظائم اخلاق الله يتخلق بها خاتم الانبياء عم
لقوله وانك لعلى خلق عظيم فاذا تقرر هذه المقدمات وتبينت فنقول في
كيفية تنزيل الكلام وانزال الكتاب ان الروح الانسانية كمرآة مجلوة اذا صقلت
بصقالة العقل النظري وزالت عنها غشاوة الطبيعة ورين المعصية فحينئذ لاح
لها نور المعرفة والايمان وهو المسمى عند ائمة الحكمة بالعقل بالفعل وبهذا النور تراءى

فيها

فيها حقائق الملكوت وخفايا الجبروت كما تتراءى الاشباح المثالية في المرايا الصقيلة
اذا لم يفسد صقالتها بطبع ورين لقوله فطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون كلا بل
ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون فاذا اعرضت عن البدن ولا شغلت بما تحتها
من الشهوة والغضب والحس والتخيل وتوجهت وولت بوجهها تلقاء عالم الملكوت
الاعلى تصل بالسعادة القصوى كما في قوله لقد راى من آيات ربه الكبرى ثم لم يزل
الروح اذا كانت قدسية شديدة القوى قوية الانارة لما تحتها لا يشغلها
جهة فوقها عن جهة تحتها فتفي للجانبين وتضبط للطرفين لا يستغرقها الغاية قوتها و
تمكنها حسها الباطن عن حسها الظاهر وليست كالارواح العامية الضعيفة اذا مالت
الى الجانب الباطن غابت عن الجانب الظاهر واذا رجعت الى مطالعة الظاهر غابت عن
مطالعة الباطن واذا حضرت في شهود شاهد احتجبت عن الشاهد الآخر بل اذا
ركنت الى مشعر من المشاعر ذهلت عن الآخر وكذلك في القوى العملية اذا شغلت بما يورده قوة
عما يورده قوة اخرى فكذلك البصر منها يختل بالسمع والخوف يشغلها عن الشهوة والشهوة تصدها
عن الغضب والفكر يعطلها عن الفعل والذكر يصرفها عن الفكر فاذن الروح القدسية لا يشغلها شان
عن شان ولا يحجبها شاهد عن شاهد فاذا توجهت الى الافق الاعلى وتلقت المعلومات
بلا تعليم البشر من الله وملائكة الله يتعدى تاثيرها الى قواها وتتمثل صور ما شاهدها في روحها
البشرية ومنها الى الحواس العالم فيعبر عنها طبيعة الخلق الاكبر وقواه من النفوس الحيوانية وكانه عن
الملائكة المقربين لاتصالها بهم فيكون حكمها حكمهم عند اتصالها بالافق النوراني الاعلى و
الملائكة العلوية ذوات حقيقية ولها ذوات مضافة الى ما دونها ينشأ منها الملائكة الحسية

وتشع

تعطلت صح

فاما ذواتها الحقيقية فهي امرية كلامية قضائية وذواتها الاضافية النفسية فهي خلقية كتابية
قدرية وانما يتلقى الصحف الاول لتمكنه من القوى البشرية الروح القدسية في اليقظة فاذا
اتصلت الروح النبوية بعالمهم عالم الوحي الالهي ويسمع كلام الله وهو اعلام الحقائق بالكلام
الحقيقي بينهما وبينه لكونهما في مقام القرب ومقعد الصدق والوحي هو الكلام الحقيقي الالهي
كما مر فكذلك يعاشر ملك الملكة ويخاطبهم ويسمع صرير اقلامهم كما حكاه النبي صلعم عن نفسه ثم
اذا نزل الى ساحة الملكوت السماوي تمثل له صورة ما شاهده في لوح نفسه الواقعة في
عالم نفسه الواقعة في عالم الالواح ثم يتعدى منه الاثر الى الظاهر ويقع للحواس الظاهرة شبه
نوم ودهش لما علمت ان الروح القدسي لضبط الجانبين يستعمل المشاعر الحسية ويشيعها في
سبيل معرفة الله تعالى وطاعة الحق فاذا خاطبه الله خطابا بلا حجاب من الخلق بوسط الملك
او بدونه واطلع على آيات ربه وانطبع في فص نفسه الناطقة نقش الملكوت وصورة
اللاهوت كان ينتشح له مثال من الوحي وحامله الى الحس الباطن فينجذب قوة الحس الظاهر
الى فوق وتمثل لها صورة الملك بحسب ما تحتملها فيرى ملكا على غير صورته التي كانت في عالم
الامر بل على صورة الخلقية القدرية ويسمع كلامه بعدما كان وحيا او يرى لوحا بيده مكتوبا
فيكون الوحي الذي يتصل بالملك بباطنه وروحه ويتلقى بروحه القدسية منه المعارف الالهية
ويشاهد آيات الله ويسمع الكلام الحقيقي العقلي من الملك الذي هو الروح الاعظم ثم يتمثل
له الملك بصورة محسوسة وكلامه بصورة اصوات وحروف منظومة مسموعة وفعله وكتابته
بصورة ارقام ونقوش مبصرة فيكون كل من الملك والوحي يتادى الى مشاعره وقواه
المدركة من وجهين ويعرض للقوى الحسية شبه الدهش وللموحى اليه شبه الغشي ثم يرى ويسمع

يسمع

يسمع ويتبع الانبياء فهذا معنى تنزيل الكلام وانزال الكتاب من رب العالمين وعلم من
وجه ما قيل ان الروح القدسية يخاطب الملائكة في اليقظة والروح النبوية يعاشرهم في
النوم ولكن يجب ان نفرق بين نوم الانبياء عم ونوم غيرهم فان نومهم عين اليقظة
قوله عز اسمه افبهذا الحديث انتم مدهنون وتجعلون رزقكم انكم
تكذبون افانتم بهذا الحديث الذي جاء من الغيب الى الشهادة متهاونون وتقديم
الظرف على عامله للاهتمام به والاعتناء بامره للمبالغة في ان المداهنة لين الجانب
وعدم التصلب في ما يستغرب ويتعجب منه بخلاف غيره من الاحاديث التي تنشأ
اولا من عالم المحسوس الى السمع ثم ترتقي الى الباطن فان اكثر الناس متخيلهم يتبع
محسوسهم وكذا معقولهم يتبع متخيلهم ولذا قيل من فقد حسا فقد علما وذلك لعكوف
اكثر النفوس في عالم المحسوس وليس كذلك نفوس الانبياء عليهم السلم فانهم كانوا يرون و
يسمعون في باطنهم اولا من عالم الغيب ثم يتكلمون بما شاهدوه والرزق ما يتغذى
ويتقوى به العبد سواء كان حراما او حلالا محسوسا او غير محسوس وما قيل ان الحرام
ليس من الرزق معناه انه لا يحصل به البقاء على السعادة الاخروية فكما ان الملائكة
غذاؤهم التسبيح والتقديس واهل السعادة من الناس غذاؤهم العلم وزادهم
التقوى فكذلك الشياطين واهل الشقاوة غذاؤهم تكذيب الحق والاعتماد عليه وترويج
الباطل وابطال الحقائق بالشبهات والتمويهات لانهم بهذه الافاعيل المزخرفة
يتظاهرون ويتفاخرون ويتطاولون على الناس ويترسخ في باطنهم نار الجحيم و
يشتد بزيادة الغلظة والغلظ عذابهم الاليم كما قال تعالى في قلوبهم مرض

فزادهم الله مرضا ولهم عذاب اليم بما كانوا يكذبون وفي الكشاف وتجعلون
رزقكم على حذف المضاف اي وتجعلون شكر رزقكم على حذو التكذيب اي
وضعتم التكذيب موضع الشكر وقيل نزلت في الانواء ونسبة المنافقين السقيا اليها
والرزق المطر وعن ابن عباس اصاب الناس عطش في بعض اسفاره فدعا عليه السلم
فسقوا فسمع رجلا يقول مطرنا بنوء كذا فنزلت الآية يعني وتجعلون شكر ما رزقكم
الله من الغيث انكم تكذبون بكونه من الله حيث تنسبونه الى النجوم وعن الحسن معناه
وتجعلون حظكم من القرآن الذي رزقكم التكذيب وقرئ تكذبون لانهم كذبوا
في قولهم القرآن سحر وشعر وافتراء وفي قولهم المطر هو من الانواء وكذا في تكذيبهم لما
هو حق فان كل مكذب بالحق كاذب قوله عز اسمه فلولا اذا بلغت الحلقوم
وانتم حينئذ تنظرون ونحن اقرب اليه منكم ولكن لا تبصرون فلولا
ان كنتم غير مدينين ترجعونها ان كنتم صادقين ترتيب الكلام واصله
هكذا فلولا ترجعونها اذا بلغت الحلقوم ان كنتم غير مدينين وباقي الكلام وقع اعتراضا و
تاكيدا اي فلولا ترجعون النفس اي روح المحتضر ان كنتم غير مدينين وفي تكذيبكم للبعث
وغيره صادقين اذا بلغت الحلقوم عند الموت وانتم يا اهل الميت وقتئذ ترون
تلك الحال منه وقد صار الى ان يخرج روحه وفلولا الثانية مكررة موكدة للاولى
والمستكن المرفوع في بلغت والبارز المنصوب في ترجعونها للنفس والمجرور في اقرب
اليه للمحتضر وغير مدينين اي غير مسوسين بسياسة من دان السلطان الرعية اذا
ساسهم وقوله ونحن اقرب اليه منكم اثبات المعية مع كل شيء وقربه اليه معية قيومية وقربا

بنوءٍ

معنويا

معنويا الهيا لا بمداخلة ولا بمماسة كمعية جسم لجسم ولا كمعية صورة لمادة او عرض لموضوع
ولا بالعكس ولا كمعية مقوم الماهية كالجنس والفصل للماهية او مقوم الوجود كالمادة والصورة
للوجود المتقوم بهما خارجا او عقلا فان الباري قيوم لكل شيء وغاية له لا انه
مقوم لشيء باحد هذه المعاني واقرب اسباب الشيء ومقوماته اليه هو الفاعل الحقيقي و
الغاية له لانه مسبب الاسباب من غير سبب وقيل المعنى ونحن اقرب اليه بقدرتنا وعلمنا
ومرجع هذا الكلام ايضا ما ذكرنا فان قدرته وعلمه غير زايدين على ذاته وقيل المعنى ورسلنا
الذين يقبضون روحه اقرب اليه منكم ولكن لا تبصرون رسلنا ولا تعلمون قبضهم للارواح
من الاجساد لان ادراك الامور الاخروية ومعدماتها موقوف على وجود البصيرة الباطنية
وهي انما تختص باهل الله واصحاب الكشف والشهود واما قوله ولو ترى اذ الظالمون
في غمرات الموت والملائكة باسطوا ايديهم اخرجوا انفسكم حيث اتى بلفظ لو الدالة على
النفي او الامتناع مع كون المخاطب هو الرسول صلعم فليس متعلقا بنفي الرؤية مطلقا لبعد
على نفيها او نفي امكانها مطلقا عنه عم بل مقيدة بجماعة مخصوصة او زمان مخصوص قبل
موتهم او بعده او بغير ذلك من الموانع الخارجية والا فالنبي صلعم كان عارفا بملائكة الموت
وعدد ايديهم وكيفية اخراجهم لنفوس الكفار عن ابدانهم وبملائكة الحيوة واعوانهم وكيفية
قبضهم لارواح المؤمنين عن ابدانهم ونفوسهم ومعنى الآية انكم ايها الجاحدون لحقايق
الايمان والمنكرون للنشأة الآخرة والبعث والصراط والميزان ورجوع الخلايق
كلها الى الله والذاهبون الى مذهب التعطيل والاهمال في كل شيء نسب الى الحق المنان و
ملائكته المدبرين للاكوان المقتصرون على عالم الحس والشهادة حيث انكم تجحدون فعال الله

وآياته وملائكته ورسله وكل شيء فتنسبون الكتب والكلام الى الشعر والافتراء وتنسبون
الارزاق الى النجوم التي في السماء ومصادفة الامطار في اوقات الحاجة ومظان
الدعاء الى الانواء والحيوة والموت والصحة والمرض وغيرها الى تاثير الامزجة والاهوية
وتطلبون الشفاء من الدواء فما لكم لا ترجعون الروح الى البدن بعد بلوغه الحلقوم
ولئن لم يكن ثم قابض ومخرج من الامور الغائبة عن عالمكم عالم الشهادة والاسباب
البعيدة عن شهود ادراككم فهلا ان كنتم صادقين في دعواكم ترجعونها بالتدابير اللطيفة
او المعجونات والدواء او النيرنجات والطلسمات النجومية ولو على سبيل الندرة و
الاتفاق لئن لم يكن ههنا قضاء حتم وقدر لازم من امر الله بموت كل انسان في
وقت معين لا يحيط به علم البشر واعلم ان هذا حال اكثر المنتسبين الى العلم والكياسة
كالمتفلسفة وعامة الاطباء والمنجمين وسائر الطبيعيين والدهريين المعطلين الذين
عطلوا الله عن جوده وتدبيره للعالم وانحصرت علومهم في احوال الطبايع الجسمية و
كيفياتها وبهم زمانة الجمود عن الارتقاء الى عالم الغيب فلا يؤمنون به حتى يروا العذاب
الاليم وهكذا درج اكثر المتكلمين من المجسمة والحنابلة والكرامية ومن يحذو حذوهم في
عدم الايمان بما وراء المحسوس وما بعد الطبيعة وانما امتازوا عن سائر الجحدة والمنكرين
واتباع المردة الشياطين باقرارهم باحكام الشرايع والاديان وعلمهم بظواهره
الاركان واما المؤمن الحقيقي فهم الذين يؤمنون بالغيب وبعالم الملكوت الرباني
ويذعنون بالنشأة الآخرة ضميرا وقلبا وليسوا الا العرفاء خاصة وما سواهم
لئن لم يكونوا من اهل سلامة الصدور والاقتداء باهل الدين والاصحاب اليقين

ولاتباع

ولاتباع لسبيل المؤمنين فكانوا من حزب الشياطين المبتدعين وجنود ابليس
اجمعين فمآلهم مآل اهل الكفر واصحاب البدع والضلال والاضلال الى الجحيم والحرمان عن
النعيم لقوله ومن يتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم فما بالك ايها المسلم الذي
ولدت على فطرة الاسلام بتركك متابعة الرسول واهل بيته عليهم السلام واتباعه الذين دبروا
بعقولهم المنورة وآرائهم الرزينة امر الدنيا والآخرة وسلكوا سبيل الله وانابوا اليه ولا
تتبع سبيل من اناب واتبعت رأي الفلاسفة فلو استنبطت من معادن وجودك باستعمال
الادوات والقوى فيما جاء به الرسول لانفجرت مياه العلوم من صميم قلبك وفتحت
عين عقلك ومددت باشعة بصيرتك الى عوالم الغيوب وشاهدت بعين بصيرتك الجنة والنار
ودار العذاب ودار القرار كما قال تعالى وفي انفسكم افلا تبصرون اوما علمت ان الفلاسفة
قد فنيت اعمارهم في الغوص في بحار الافكار وغرقت عقولهم فيها وتاهوا في سلوك اودية نظار
الافكار وانقطع بهم سير الفكر في منتهى عالم الملك والشهادة ولم يدخل اسكندر نظرهم في
تردده عالم الظلمات الى عين حيوة اليقين التي من شرب منها لا يموت فماتت اجنة نظرهم
في مضيق عالم الشهادة ولم يخرجوا من جوف الدنيا وظلماتها التي بعضها فوق بعض الى معرفة
عالم الآخرة وانوارها وعالم الغيب واسرارها اولم تتفكر في قول الله تعالى الله ولي الذين
آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور وقوله الذين يؤمنون بالغيب وقوله ولله غيب السموات
والارض وقوله عالم الغيب والشهادة فالله سبحانه اوجد الملك والشهادة لمقتضى اسمه الظاهر
واوجد الملكوت والغيب لمقتضى اسمه الباطن فما بك ايها العاقل صرت مخنوقا بان لا
يصدر عن الواحد الا الواحد وحرفت الكلم عن مواضعه فلو وقفت بمعلم الاسماء لرأيت

كل اسم آية ودليلا لك كالكواكب السماء على سر صفة مستودع فيها حقيقة علة ومعلول
فكثرت لذلك العلل والمعلولات وانعكس في مرآة وجودك جلال الاسماء والصفات
من غير انثلام قاعدة الوحدة في الافاضة والايجاد مع تعدد الانواع والاعداد
فاين هذا العلم الموهوب من خزاين الجود الازلي من العلم المتولد لابناء الشياطين
من الفكر الردي فطوبى لاهل الدين والشريعة المنقادين بالسمع والطاعة لله و
لرسوله ولائمة المسلمين وليعلم ان العقل حجة الله في ارضه وهو اول ما خلقه يهدي
به من يحبه فيجعله مكتحلا بنور الهداية ويضل به من يبغضه فيجعله عريا عن نور
الهداية لاثبات الحجة اذ لو غاب العقل ما ثبتت الحجة على ربها وهو مناط الثواب و
العقاب وليس للفلاسفة ومن يحذو حذوهم جرم الا العكوف على باب عقولهم والاقتصار
على ما ادركوه بمبادي عقولهم واوايلها وجحودهم لما وراءها وعدم اقتباسهم
انوار حقايق الاشياء من مشكوة النبوة والولاية فمن اثبت فلكا ولم ير ملكا او اثبت
معقولا وانكر منقولا فهو كالاعور الدجال فهلا تنظر بالعينين وما اثبت العالمين
بحسب كل موجود وما جمع بين المعقول والمنقول والعقل والشرع فالشرع عقل ظاهر
والعقل شرع باطن كما ان الفلك ملك ظاهر والملك فلك باطن فاذا حكمت
ايها العاقل بان الفلك له اختيار وفعل ولم تدر ان الفعل والاختيار للملك
الموكل به فقد اخطات فصورة الفلك وطبعه من عالم الشهادة وصورة الملك
وحقيقته من عالم الغيب فمن لم يؤمن بالملك لم يؤمن بالغيب وهكذا الكواكب وما
تضيف اليها من التدبير والتاثير هو من الاملاك الموكلين بها وهي في ذواتها موات

والفلك

والفلك كارض موات احياها الملائكة وعمرها بالذكر والتسبيح واذا سمعت صوت
الرعد وحكمت بعقلك انه اصطكاك الاجرام من الحرارة والبرودة فالذي ادركته
بعقلك القاصر صحيح لا ننكره ولكن حرمت العقيدة الاخرى بانه ملك يسوق السحاب لا يكاد
تدرك ذلك لانه من احكام عالم الغيب وبك زمانة السكون والوقوف في عالم
الشهادة لا سبيل لك الى سلوك بوادي عالم الملكوت فقس على هذا ساير التاثيرات
العلوية من الزلازل والصواعق والحدثان والطوفان وغير ذلك كالخسوف والكسوف
فانهما من تخويف الله عباده واظهار قدرته ليستدلوا بالقدرة على القادر الحق
ولم تعوا في الاسباب مع ما ثبت بالهندسة في علم الهيئة ان خسوف القمر لكونه محجوب نور
الشمس عن القمر بحيلولة الارض وخسوف الشمس لكونه محجوب نورها عن البصر بحيلولة القمر فاهل
الايمان لا ينكرون ما دلت عليه البراهين الهندسية ولكن الجاحدين لنور الشريعة
ينكرون احكام الغيب وعلى هذا القياس ما حكمت ان الارض كرية الخلقة والفلك كري
مسلم لك فهو منتهى الحدود وهذه مركزيته تعالى فاين انت من الارضين السبع التي
هي منتهى حدود عالم الملكوت ثم اين انت من السماوات العلى اللاتي اولاهن محيط
بجميع الافلاك وما فيها فكلها حشو السماء الاولى وكل سماء بالنسبة الى الاخرى كحلقة في
ارض فلاة وهكذا الى ان تصير الارضون السبع والسماوات السبع وساير ما احتوت
عليه من العناصر والافلاك بالنسبة الى الكرسي كحلقة في ارض فلاة والكرسي بما احتوى
عليه كذلك بالنسبة الى العرش الاعظم فسبحان فاطر السماء والارض ومبدع الخلق والامر
الذي تلاشت الاوهام وتضالت الافهام في ادراك عظمته ولم يدر من عظيم امره

وخلقه الا القدر اليسير واليه المرجع والمصير قوله عز اسمه فاما ان كان من المقربين
فروح وريحان وجنة نعيم قدم فى اوايل هذه السورة ان الناس بالقياس الى
العاقبة والسلوك الى الآخرة ينقسم على ثلثة انواع السابقين واصحاب الجنة واصحاب النار
الاخيار والابرار والاشرار المشار اليه فى قوله فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم
سابق بالخيرات ويشير الى احوال كل واحد من الثلثة فاعادة ذكرهم ههنا اما لان
المنظور اليه بيان احوال ارواحهم المفارقة بالموت اذ كان الكلام فى روح المحتضر
او لان الغرض ههنا بيان اوصاف اخرى لهم فاما ان كان روح المتوفى من
اهل الكشف واليقين والسابقين المقربين الذين هم اهل التوحيد والعلماء بالله
وآياته وهم الاخيار الاحرار المتنفرون عن عالم السير والسلوك لوصولهم الى المقصود
الحقيقى بل هم مقصد السالكين ولا تعد عيناك عنهم وهم الذين قيل فى وصفهم انهم حضروا
لم يعرفوا ولئن غابوا لم يفتقدوا وانما لهم بعينه حال الملئكة المقربين فروح اى فله روح
روح الاطمينان وراحة السكون عند الحق وبرد اليقين ولقلبه ريحان من رزق معلوم
يفوح منه رايحة اليقين التى بها قوت القلوب ولنفسها جنة نعيم يسرح فيها ويرتع
فى رياضها قضاء الشهوات التى انها الحيوانية فيها ما تشتهى الانفس وتلذ الاعين وقد اشتهيات
التى كانت ممنوعة عن قشورها باوامر رايض الشرع من الرياضة فى مطبك و
تات الدواب ومواطن الحيوانات الهالكة ولنعم الدار الآخرة لهى الحيوان فهى موطن
الحيوانات الباقية وقرأ يعقوب فروح بالضم وهو قراءة البزنطى وابن عباس و
الحسن ومعناه فله البلوغ الى مقام الروح العلوى من مقام الطبع والنفس او له الحياة

بالروح الاعظم والقلم الاعلى وقال الحسن الروح بالضم الرحمة لانها كالحيوة
للمرحوم وقيل البقاء والريحان الرزق اى فهذان له معا وهو الخلود مع الرزق
والنعيم وقيل والريحان لكل نباهة وشرف وقيل الريحان المشموم من رياحين
الجنة يؤتى به عند الموت فيشمه وقيل روح فى القبر وريحان فى البعث وجنة نعيم
عند الدخول فى دار القرار قوله عز اسمه واما ان كان من اصحاب اليمين
فسلام لك من اصحاب اليمين واما اذا كان المتوفى من اصحاب اليمين واهل
سلامة العقل من الامراض النفسانية كالجهل المركب والحسد والكبر والمكر والجحود سواء
كانت صحيفة اعمالهم ساذجة عن آثار الاعمال والواح نفوسهم خالية عن النقوش و
الافكار او كانوا لصفاء قلوبهم واقتدار نفوسهم وفقهم الله لفعل الحسنات والطاعات
والاجتناب عن المعاصى والسيئات او كانوا من اهل المعصية ثم تابوا وانابوا الى الله
فقد تاب الله عليهم وانغسلت صحيفة باطنهم بماء التوبة والتائب من الذنب كمن لا
ذنب له او كانوا ممن خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا لكن ترجح لهم جانب المغفرة و
النجاة اذ كل هؤلاء من اصحاب اليمين على تفاوت درجاتهم وهم من اهل السلامة
والنجاة من عذاب الجحيم فسلام لك يا صاحب اليمين من اخوانك واصحابك المؤمنين
اصحاب اليمين واهل سلامة القلب وصفاء الصدور يسلمون عليك ويلقون
اليك التحية كقوله الا قيلا سلاما سلاما وقوله تحيتهم فيها سلام وعن قتادة فسلام لك
ايها الانسان الذى هو من اصحاب اليمين من عذاب الله وسلمت عليك ملئكته و
قيل معناه فترى فيهم يا محمد ما تحب لهم من السلامة من الخوف والمكاره وقال الفراء

فسلام لك انك من اصحاب اليمين فحذف انك قوله عزّ اسمه فاما ان كان من المكذبين
الضالين فنزل من حميم وتصلية جحيم وقرئت وتصلية جحيم بالرفع عطفا
على نزل وبالجر عطفا على حميم اي لمن كان المتوفى من اهل الشمال والنكال والشرور
والوبال وهم المضلون المكذبون بيوم الدين والضالون الناكبون عن منهج الدين
لعدم نور المعرفة واليقين فله نزل من حميم جهنم بازاء ما يعد للضيف من الطعام والشراب
وتصلية نار الجحيم اي ادخاله اياها لان حقيقة ذواتهم النفسانية حصلت من نار الطبيعة و
شررها كما مرت اليه الاشارة فلا جرم يعود الى اصله وتلك النار الاخروية
كانت كامنة في بواطنهم مستجنة في قلوبهم وكانوا في الدنيا محترقة بها وهم لا يشعرون
لغلظ الحجاب فاذا زيل بالموت ظهر انها موقدة تطلع على الافئدة كما قال نار الله
الموقدة التي تطلع على الافئدة وطبايعها اصلها وقلوبهم القاسية كالحجارة والحديد
وقودها لقوله وقودها الناس والحجارة وقد قال فقست قلوبهم فهي كالحجارة او اشد قسوة
واعلم ان النار التي تصلى اليها من هو اهلها في الآخرة مشهودة اليوم لكن من حيث موضوعها
ومقصدها لا من حيث صورتها تتقلب فيها اهل الجحيم على الحالة التي هم عليها وكذا الجنة
مشهودة لك ايضا لكن وانت تتقلب فيها وتترقى من درجة ومن باب الى باب ان كنت
من اهل الجنة والترقي وانت لا تعلم ولا تشاهدها لان الصورة الدنياوية تحجبك عن
ملاحظة حقيقتها وصورتها الاخروية فاهل الكشف الذين ادركوا ما غاب عنهم يرون
موضوعات الامور الاخروية ويرون من كان من اهل الجنة في روضة خضراء ويرون
تقلبه في مراتبها وصعوده الى غرفاتها ويرون الجهنمي متى استقر له دار الجحيم وكيف

تتقلب

تتقلب فيها ويهوي الى منازلها ودركاتها وما يكون فيه من لغوب ونصب وحرور وزمهرير
كما في قوله وترى الظالمين مشفقين مما كسبوا وهو واقع بهم والذين آمنوا وعملوا الصالحات في
روضات الجنات واكثر اهل الكشف في ابتداء طريقتهم يرون هذا ومن لم يكشف الله
عن بصيرته وبقي في عماء حجابه لا يدرك هذا ويكون مثل الاعمى الذي في بستان فان لم
ير ما هو فيه فلم يلزم من ذلك انه لا يكون فيه بل هو فيه وقد نبه الشرع بذلك بقوله تعالى
وان جهنم لمحيطة بالكافرين وعلى بعض مواضع الجنة والنار بقوله صلعم ما بين قبري و
منبري روضة من رياض الجنة وبقوله في وادي محسر عين وغير ذلك انها من اودية النار و
لهذا الشرع كالاسراع في الخروج عنه لا لامة فانه يرى ما لا يرون ويشهد ما لا يشهدون
واخبر انه في نهر النيل والفرات وسيحان وجيحان انها من انهار الجنة واهل الكشف
يرون هذه الانهار نهر عسل وماء وخمر ولبن كما هو في الجنة ومن الناس من يستصحبه هذا
الكشف ومنهم من لا يستصحبه لحكمة اخفاها الله تعالى في خلقه والى هذا الكشف وقعت الاشارة
بقوله عز اسمه ان هذا لهو حق اليقين اي هذا المذكور من الاحكام الثلثة للطوائف
الثلث مما لا شبهة فيه ولا ريب يعتريه عند اهل الكشف بل هو مشهود لهم اذ معنى حق
اليقين هو اليقين البالغ حد الشهود فلاهل الله اعين يبصرون بها ولهم آذان
يسمعون بها وقلوب يعقلون بها والسنة يتكلمون بها غير ما هي لهذه الاعين والآذان
والقلوب والالسنة على هذه الصورة فكلامهم في كل ما يخبرون مصيب فانهم يبدون
ببصايرهم المنورة بنور حق اليقين فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في
الصدور عن الحق اي الصدور المنشرحة بالكفر لقوله ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم

غضب من الله واما الصدور المنشرحة للاسلام ففيها قلوب منورة من الله لقوله ومن
يشرح صدره للاسلام فهو على نور من ربه فويل للقاسية قلوبهم فانهم صم بكم عمي فهم لا
يعقلون عن الله فهم لا يرجعون الى الله والله لن عيونهم لفي وجوههم وان
اسماعهم لفي اذانهم ولكن قلوبهم لفي صدورهم ولكن السنتهم لفي افواههم ولكن
الغشاوة ما سبقت لهم بالحسنى فلا يرون ولا يسمعون ما يسمعون ولا يعقلون
ما يعقلون وعن السمع لمعزولون كما في قوله واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه و
قوله ونطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون وهكذا احال اهل النار من الاشرار كما اعترفوا
بذنبهم في القيمة لو كنا نسمع او نعقل ما كنا في اصحاب السعير ولله الحمد والشكر وله التسبيح
والتقديس على ما هدانا والا نا حيث حيانا بتلك القلوب وللاعين وللآذان وللالسن
ولقد ورد في حديث نبوي عند اهل الكشف صحيح ولكن لم يثبت طريقه عند اهل
النقل لضعف الراوي انه قال لولا تزييد في حديثكم وتمريج في قلوبكم لرأيتم ما ارى
ولسمعتم ما اسمع وقال الله تعالى لتبين للناس ما نزل اليهم واكثر من هذا البيان
الذي وقع في القرآن سيما في هذه السورة لا يمكن لكني اين من نوع محله الا نادرة ليتعقلها
وتنقلها من غير زيادة وتحريف هذا قليل نادر جدا والله ولي التوفيق قوله عز اسمه
فسبح باسم ربك العظيم اي قدس الله ونزهه عن التشبيه والتعطيل وعن الغرض
والتعليل في الافعال وقصد التشفي عن الغضب بالانتقام في تعذيب المكذبين
الضالين وايلام الكفرة والمنافقين وعظم بحسن الثناء عليه بما رباك و
هداك مولاك طريق الدين ونور قلبك بحق اليقين واراك معبودك ومن بداك في

اولاك

اولاك ودنياه واخرتك وعاقبة احبابك في الجمع مع الملائكة والمقربين ومقام اعدائك
في النار مع زمرة المردة والشياطين فترى بهم معذبين بالجحيم وتصلية حميم النار
يعرضون عليها غدوا وعشيا وهم مع ذلك لفرط غفلاتهم وتراكم جهالاتهم
فرحون بما عندهم مغترون بما هم عليه كما في قوله تعالى وزين لهم الشيطان اعمالهم
وقوله وقيضنا لهم شركاء فزينوا لهم ما بين ايديهم وما خلفهم وحق عليهم القول
وقوله فلولا اذ جاءهم بأسنا تضرعوا ولكن قست قلوبهم وزين لهم
الشيطان ما كانوا يعملون فلا جرم حالهم كما قيل شعرا ه

تسر بما يفنى وتشغل بالمنى ۝ كما اغتر باللذات في النوم حالم
نهارك يا مغرور سهو وغفلة ۝ ونومك نوم والردى لك لازم
وتعمل شيئا سوف تكره غبه ۝ كذلك في الدنيا تعيش البهائم

هذا آخر ما اراد ايراده اعلى الله مقامه في عليين في
كشف اسرار هذه السورة المباركة وقد شرفت بكتابته
ووقعت عنها في بلدة دلجان في شهور سنة ١٠٩١
وانا الفقير المذنب المحتاج الى
رحمة الله القيوم رفيع الدين
محمد ابن محمد معصوم الاصولي
عفي عنهما بالنبي والوصي

هو الله ثقتي وعليه توكلي وبه اعتضادي ومن غيره من خلقه احتجابي وهو ملجأي عند اضطراري ومآبي

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

اما بعد حمد الله ملهم الحق والصواب وولي الجود في المبدأ والمآب والصلوة على
نبيه محمد المبعوث بفصل الخطاب وآله المعصومين عما يوجب الاحتجاب الفائزين
بالكرامة والامامة الحائزين رتبة الولاية والهداية عليهم سلام الله في البداية والنهاية
فيقول الفقير المسكين محمد المعروف بصدر الدين الشيرازي ان هذه نكت ورموز وحكم
بديعة من كنوز متعلقة بسورة الطارق افاضها الله على قلب هذا العبد الآبق وهي قطرة
من بحارها الزاخرة ولمعة من بدورها الزاهرة ورأيت ان انضمها في سلك نظائرها من المسائل
المتعلقة ببعض سور القرآن وآيات الفرقان واجمعها مع سائر ما رفعت الحجب عن وجوه
فرائدها وزواهرها وكشفت قناع الاجمال عن جمال غرائبها وابكارها التي لم
يطمثهن انس ولا جان على ان سر كلام الله اجل من ان يحيطه تقرير وبيان
ولن يجمع اكنافه واطرافه لسان وبنان لكن محرك الكل حركني بقدرته الى حيث
اراد ومقلب القلوب قلبني حيث ما شاء واجاد ولا بعد في ان يطلع الله احداً
على بعض اسرار كتابه ويشرق على قلبه نبذاً من انوار خطابه فان لكل نفس طالبة
قسطاً من نور الله قل او كثر ولكل طالب غيره حظ من سر الله بطن او ظهر لان
رحمة الله تعالى واسعة وخزائن جوده مملوة وينابيع وجوده نابعة يفيض على من يشاء من عباده

من غير مانع ولا دافع تمهيد اعلم وفقك الله لفهم اسرار القرآن وجعلك
متخلصاً عن اسر عالم الحدثان ان المقصد الاقصى والغرض الاوثق في كون الانسان الذي
هو اشرف ما يوجد في عالم الحيوان معرفة احوال المبدأ والمعاد ولاجلها بعث الله
النبيين مبشرين ومنذرين الى العباد وانزل الكتاب نوراً يهتدي به الناس في سبيل
النجاة والرشاد واليها يرجع فائدة الحث على الطاعات المنورات للقلب بالترغيب
والزجر عن المعاصي المظلمات المكدرات للنفس بالترهيب ولان للانسان في الجملة احوالا
ثلثة يعبر عنها بالايام الثلثة وهي حال المبدأ والمعاش والمعاد المشار اليها في
قول امير المؤمنين وامام الموحدين عليه السلام والاكرام رحم الله امرأ اعد لنفسه واستعد
لرمسه وعلم من اين وفي اين والى اين فذكرها الحق سبحانه في هذه السورة الكريمة على
ترتيبها بالطف وجه واحسنه واوضح بيان وابينه فبين في اول السورة الى قوله
فلينظر الانسان مم خلق امر المبدأ ومنه الى قوله انه على رجعه لقادر امر المعاش
ومنه الى قوله والسماء ذات الرجع امر المعاد ثم اكد ثبوت هذه الاحوال بالقسم
وذكر بره كما هو دابه تعالى في اثبات الامور العظيمة المهم معرفتها للانسان لينتبه بها وينبعث
من نوم الغفلة ورقدة الطبيعة في عالم الجهل والنسيان ثم اشار الى جلالة قدر
كتابه المنزل وعلو منصب نبيه المرسل بقوله تعالى انه لقول فصل وانهم يكيدون كيداً واكيد
كيداً فان الاول مثبت لحقية القول والثاني مشير الى صدق الرسول وتعظيم شأن
النبي صلعم اذا علمت هذا فاعلم انه لما كان خلق السموات من اقوى الدلائل على وجود الواجب
الوجود عز شأنه وبهر برهانه واوضح الاسباب الموصلة الى معرفة توحيده ودوام عظمته

الطارق الكوكب البادي في الليل وهو في الاصل لسالك الطريق ليلا ثم خصص عرفا بالآتي ليلا ثم استعمل للبادي فيه

وسلطانه وكمال جلاله وجماله وعلو شأنه ورفعة مكانه عن ان يحيط به مكان ويعتريه
زمان فاقسم الله سبحانه بها فقال بسم الله الرحمن الرحيم والسماء والطارق
لما فيهما من الشواهد الجلية والخفية على معرفة ذاته وصفاته ولهذا اعظم الله امر السماء والنجوم
في كتابه المجيد فاقسم بهما في كثير من الآيات كقوله والسماء ذات البروج وقوله والشمس و
ضحيها والقمر اذا تليها وقوله فلا اقسم بالخنس الجوار الكنس وقوله والنجم اذا هوى
وقوله فلا اقسم بمواقع النجوم وانه لقسم لو تعلمون عظيم كل ذلك تنبيها على انها صومعة القدوسيين
ومعبد الروحانيين ودلائل صنع خلق السموات والارضين وآيات عظم اول الاولين هو الذي
نورها وصورها ودورها ورقصها ودوام اشراقه عليها وشوقها الى مزيد افاضاته ورسالاته
اليها وحركاتها التسبيح والتهليل وذكرها التوسل الى الرب الجليل فما من شخص من اشخاص السماء
الا وله عقل ونفس وحركاته شوقا وطربا الى حضرة البارى جل مجده رب الملأ الاعلى وما من جرم
كرى نورانى الا وفيه شواهد وآيات عظيمة دالة على عظمة مبدعها ومنشئها ولهذا كرر الله ذكرها
واشار الى شواهدها وآياتها الدالة عليه سبحانه في مثل قوله ان في خلق السموات والارض الاية
وقد مدح الناظرين فيها واثنى على المتفكرين في خلقها بقوله ويتفكرون في خلق السموات والارض
وقال رسول الله صلى الله عليه وآله ويل لمن قرأ هذه الاية ثم مسح بها سبلته اى تجاوزها
من غير فكر وذم المعرضين عن التدبر فيها فقال وجعلنا السماء سقفا محفوظا وهم عن آياتها معرضون
وقال اولم ينظروا في ملكوت السموات والارض الاية ولا تتوهمن احد ان معنى النظر الى عالم
ملكوت السماء بان يمد البصر اليه فيرى زرقة السماء وضوء الكواكب وصور البروج فان البهائم
يشارك في هذا النظر الانسان وما كان هذا هو المراد فلم مدح به ابرهيم على نبينا وآله وعليه السلام

وقوله

في قوله وكذلك نري ابرهيم ملكوت السموات بل المقصود منه التفطن بما فيهما من الدلائل و
الآيات العجيبة الشأن والشواهد العظيمة البرهان المنبئة عن ازلية الحق الاول ووجوب وجوده
وكمال قدرته وارادته وتمام حكمته وجوده فصل اما دلالتهما على وجود البارى
جل اسمه فمن وجوه من حيث الوجود والامكان والجسمية وطلوع الكواكب وافولها الى
غير ذلك وكونهما مركب الوجود من مادة وصورة وكونهما ذوات نفوس لها ارادة
وعلم وصلوة وتسبيح اما الاول فلان وجودهما الممكن هو المحوج الى السبب اذ الامكان
لكونه معناه سلب ضرورة طرفى الوجود والعدم بالنظر الى الذات المتصفة به هو علة
الحاجة الى المؤثر لانها لما استوى طرفاها امتنع وجودها الا لمرجح وهو الله سبحانه اما
لان الممكن ما يستوى طرفاه فلا يتحقق له الترجح في احد طرفيه اولى به لذاته لا يرجح الا في الممكن
طرفان الطرف الاخر فهو اما السبب او لا السبب فان كان الاول فيقتضى الاولوية الى عدم
ذلك السبب ولئن كان الثاني فيلزم امكان ترجح المرجوح من غير مرجح وهو باطل ولئن لم يمكن
طرفان الطرف الاخر كان ذلك الطرف ممتنعا وهذا الطرف واجبا فيقدح في امكانه
وهو خرق الفرض واذا علم استواء طرفي الممكن فلا بد من مرجح يرجح وجوده على عدمه
وهو الله سبحانه دفعا للدور والتسلسل واما الوجه الثاني فان الممكن ما لم يتعين
وجوده من وجود مؤثره لم يوجد وهو الوجوب السابق واللاحق وهما صفتان
عرضيتان له لا من ذاته بل من غيره وهو الصانع جل اسمه ولان الممكن يستصحب
الاحتياج الى المؤثر حال البقاء لبقاء الامكان المقتضى للحاجة الى المؤثر فلا بد له
من علة مبقية محفظة ولا يؤده حفظه وادامته وهو الحي تعالى فظهر ان امكان السماء

يدل على وجود الحق تعالى ولولا ارادة الاختصار لاطنبنا الكلام فيه واما الدليل
على امكانها فجسميتها الباعثة للتركيب عن مادة وصورة او عن جسمية مطلقة وامر
يخصصه ولعدم خلوها عن الانتقالات والحركات واما الوجه الثالث فهو
من حيث جسميتها فلانه قد دل البرهان عندنا على ان الاجسام من حيث جسميتها
حادثة اى واقعة في هوياتها الشخصية تحت جنس الحركة والزمان لان الزمان من
جملة مشخصاتها وهوية الزمان بعينها التجدد والتقضي وعدد التغيرات باوآ
المنفصل عند الوهم كالايام والشهور والسنين فالسموات بهوياتها الشخصية الواقعة
تحت الحركة والحدوث محتاج الى محدث غير حادث ولا متجدد بتجددها والا انقلب
الكلام الى علة حدوث ذلك المحدث ونقضنا الى المحدث او الدور وهما باطلان
واما الى علة قديمة لا يكون متغير الذات وهو الواجب جل ذكره فالله سبحانه هو قيوم السموات
والارض واليه ينتهى سلسلة الاسباب والمسببات وليس لغيره رتبة الافاضة والايجاد
بل التهيئة والاعداد ولا ينافي الافلاك والكواكب احياء ناطقون بادلة القرآن و
العقل وهي مؤثرة في العنصريات بدليل ارتباط الحوادث العنصرية بالحركات السماوية
والاتصالات الكوكبية لانا نقول هذا تمسك بالدوران وهو لا يفيد الا الظن فكيف
البرهان لان الظن لا يغني عن الحق شيئا والمتبع هو البرهان النير الوارد من الحق على
العقل على ان لنا دلائل قطعية على انه لا مؤثر في الوجود الا الله وما زعمتم مبني على علم
الهيئة والنجوم وهو لا يدل على الربط العقلي بين الاشياء بل على الارتباط الوضعي
والتأثير عقلي لا يستنبط الا بالبرهان قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين فان

التسم

فلن

قلت استناد الحوادث اليها الغزام لا قلت نعم كون لكن لو قيل ان المؤثر هو الله سبحانه
وهو قد اجرى حكمته على هذا النظم والترتيب وربط هذه الآثار بهذه الاسباب فلا باس اذ
نسبة الآثار اليها كنسبة القطع الى السكين والكتابة الى القلم لانها بمنزلة الصحائف المكتوبة
فيها آجال الخلق وارزاقهم وعقولها ونفوسها المتحركة اياها بمنزلة اقلام الحق الاول
والقدرة فيها بمنزلة يد الرحمن والكاتب هو الله ومن انكشف له امر العالم كما هو علم ان
الافلاك والكواكب لا تتحرك ما لم تحرك وكل محرك فانه ينتهي الى المحرك الاول الذى لا
محرك له ولا هو متحرك في نفسه لان كلها مسخرات بيده كتسخير القلم والقرطاس بيد الكاتب
فالتفات العبد في النجاة الى السماء يضاهي التفات من اخذ للمحبس او القتل فكتب
الملك توقيعا بالعفو عنه فرجى النجاة من القلم والقرطاس لا من محرك القلم عليه فاخذ
يشتغل بالحمد والشكر لهما وهذا غاية الجهل ومن علم ان القلم بما هو قلم لا حكم له في نفسه
وانما هو مسخر في يد الكاتب لم يلتفت اليه ولم يشكر الا الكاتب فالشمس والقمر والنجوم
والسحاب والمطر كلها مسخرات في قبضة القدرة كتسخير القلم والقرطاس في يد الكاتب
والمفتاح في يد مفتح الابواب كما في الادعية السجادية في الصحيفة الكاملة حيث قال الداعي
بها عليه السلام في مخاطبة القمر جعلك مفتاح شهر حادث لامر حادث واذا انكشف لك
ان جميع ما في السموات والارض مسخرات له كما اشار اليه بقوله يسجد من في السموات والارض الآية
انصرف عنك الشيطان خائبا وآيس عنك عن مزج توحيدك كما فعل بهذا الشرك
المستكن في طبع المنجم والطبيعي فيا بئسك لان يوقعك في المهلكة الاولى وهو الشرك في
الوجود والبقاء لغير الله فيحتاج الى سلوك طريق الموحدين للتنحي عنها ولنا بفضل الله

وملكوته طريقة خاصة لوجهنا اليها في مواضع يليق به واما الوجه الرابع وهو من حيث
طلوعها وافولها فلان التغير والحركة من خواص الاجسام ولواحقها مما يستدعي
موثرا غير الجسمية المشتركة تخص بعض الاجسام بها دون بعض اذ لو كانت الحركة مثلا
من مقتضيات الجسمية بما هي جسمية لم يوجد جسم الا متحركا وكذلك تخصصها بوجوه مخصوصة
وانحاء مختلفة من السرعة والبطوء والتشرق والتغرب يحتاج الى مبادئ تخصصها
بها لايق لكل واحد منها طبيعة خاصة تحركها على الوجه المخصوص لانا نقول الطبيعة
المخصصة غير كافية في افادة الحركة وتعينها على هذا الوجه كما سنشير اليه بل يحتاج الى
موثر غير متناهي القوة والتاثير وهو الله سبحانه كيف وكل من انصف من نفسه يعلم
ان التغير والحركة ولو باعتبار المادة والمحل والمتعلق بوجه ينادي عليه
بالامكان والحدوث والاحتياج الى موثر مقدس عن التغير والتجدد ولهذا اعرض
ابراهيم على نبينا وعليه السلام عن الاجسام النيرة وطبايعها المخصصة لما ظن فيها الربوبية
وقال فيها لا احب الآفلين بصيغة الجمع بالياء والنون الدالة على كونها ذوي
العقول فانه عم مع علمه بان لكل منها باطنا ملكوتيا له قوة نفسانية واخرى عقلية
نزه عنهم الالهية وحكم بان درجتهم لكونهم واقعة في نحو الحدوث والافول الامكان
منحطة عن استحقاق نسبة الالهية اليها فتوجه بلوح قلبه الى فاطر السموات والارض حنيفا
مسلما من غير اشراك كما حكى الله عنه بقوله وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض
حنيفا مسلما وما انا من المشركين واما الوجه الخامس فهو ان الهيولى لا فعل لها
والا لزمت في ذاتها جهتا قبول وفعل ثم ننقل الكلام على تقدير عدم بساطتها الى

هيولى

هيولى الهيولى وهكذا الى لا نهاية وهو قبيح والصورة دون الهيولى لا تعقل بل
تخص آثارها بما لها معه علاقة وضعية فلا بد من توسط للهيولى في فعلها بل في تعينها
ومع ذلك لكل منهما حاجة الى الاخرى من غير استقلال كما علمت اما الهيولى ففي وجودها
وبقائها والصورة ففي تشخصها وتشكلها فهما متلازمان في الوجود معان في التحقق
فلا بد لهما من مقيم يقيم كلا منهما بالاخرى وهو غير جسم ولا جسماني فيكون هو الواجب
الوجود او ملكا مقربا عقلانيا يديم كلا منهما بالاخرى باذن الله تعالى دفعا للدور
والتسلسل واما الوجه السادس فهو ان لكل من السماوات محركا نفسانيا لها
قوة عقلية وذلك لان حركة السماء والكوكب ليست طبيعية لوجوه احدها ان الحركة
الطبيعية يصدر عنها عند حالة غير طبيعية فهي مودية الى حالة طبيعية تسكن بها ولذلك
عند ارتفاع الحالة الغير الطبيعية والافلاك وما فيها دائمة الحركات ما دام وجودها
باذن الله وثانيها ان الحركة الطبيعية يطلب امرا يسكن عنده طلبا على اقرب الطرق
فهي اذن مستقيمة وحركاتها مستديرات كما نبه ولان المستقيم لا يصلح لان
يحفظ بها وجود الزمان المتصل الذي يستحيل ان ينفصل اجزاؤه في الوجود اللهم
الا في الوهم كما قرر في موضعه وثالثها ان الطبيعة لا تقصد مهروبا عنه مطلوبا
ولا تهرب عن مطلوبها والمستدير بخلاف ذلك فهي اذن غير طبيعية ولا قسرية اذ القسر
خلاف مقتضى الطبع فهي نفسانية حيوانية وليست بمجرد الحيوانية المطلقة تنشأ منها اذ
مطلوب الحيوان بما هو حيوان في حركته الارادية اما جلب منفعة وهو الشهوة او دفع مضرة
وهو الغضب وهما مختصان بالابدان القابلة للنمو والذبول وجسمية الافلاك لم يحصل

لم يحصل من الكمالات الا ما هي اجسام الى قصة الخلقة العنصرية المعطرة كالمن والبذور ونحوها
بل هي كظلال الانوار العالية الحاصلة من بعض الجهات للمبادي الفاعلية كالامكان و
نحوه على طريق الاستعداد والاقتضاء وهذا موضع تأمل يغفل عنه الاكثرون ولانها
لو كانت حركتها من باب الشهوة والغضب فلا تحتمل يسكن عنده واذ ليس فليس فهي اذن
ليست ارادية حيوانية فلا يخلو اما ان يكون غرضها شيئا واقعا فما طلبته بالحركة او مطلوبا
دفعي الحصول فسكنت لئن نالت او قنطت لئن لم ينله في مدة متطاولة فلها مطلب
كلي فلها ارادة كلية موجبة لعلم كلي دال على نفس ناطقة محركة لها مبطلة لجحود الجاحدين
المنكرين لارادتها وعلمها فالنفس الناطقة علة دورانها وحافظ زمانها من زيادتها
ونقصانها وممسك عنانها في جادة الحق ومجري سفينتها في بحر الحقيقة ثم ليس غرضها
او مطلوبها من الثناء والمدح فان الحركات الكلية الدائمة لابد وان تكون لامر مقطوع
به واجب الدوام وليس المظنون كذا المبدأ وكانها ليس امرا وهميا ثم هذا العالم الذي
هو موطن الاوهام وما ينبعث عنها احقر بالنسبة الى تلك الاجرام الشريفة النورية من ان
يتحرك لاجلها وصاحب الحدس الصحيح يحكم بهذا قبل المراجعة الى البرهان فتحركها لمعشوق
اما لنيل ذاته او لنيل شبه بصفة دفعية او لنيل شبه تجددي وكلا الاولان يوجبان ما يسوق من
الوقف فتعين الثالث وليس المتشبه به جرما فلكيا والا لكانت الحركات متفقة ولا نفسها
والا لاتحدت التحريكات والاشياء واحدا والا لانتفت على المتشبه به اما الواجب
سبحانه بتوسط امور عقلية صادرة عنه تعالى بكثرة الجهات التحريكات والاشياء واحدة
والتشبه بكمال تعالى واحد فكل سماء امرها واما تلك الامور العقلية فلابد من انتهائها

الى الله تعالى كما علمت ولانها لما اشتركت في دورية الحركات فلها معشوق واحد هو مبدأ الكل
وغاية الكل وهو الموجود المطلق والوجود الحق واختلفت في الجهات والسرعة والبطوء فلكل
منها ذات عقلية بالفعل من جميع الوجوه يتشبه بالحق الاول فعدد حركاتها بعدد
محركاتها العقلية ثم النفسية لان في الحركة لابد من ادراكات جزئية بقوة نفسانية
تخيل الحدود ولاجل فيه لان نسبة المراد العقلي الى جميع الحدود والمرادات الجزئية نسبة
واحدة فلا يقتضي تقديم بعضها على بعض فلكل سماء وكوكب محرك من اول متشوق
منفعل هو نفسه ومحرك غير متحرك بل مفارق ومعشوق غير منفعل بل فاعل هو
عقله وللكل محرك واحد ومعشوق واحد هو اله الكل وغاية الكل فثبت لمن
الافلاك وما فيها متقربات الى الله تعالى بوسيلة الحركات اذ بها يحصل الاستكمالات
اللائقة بها والكمال ما يوجب قرب المتكمل من الكامل بالفعل في جميع الوجوه فان
قلت لم صارت الحركات منشأ استكمالاتها دون شيء غير الحركة قلت لان الفلكيات
في جواهرها وصورها وكيفياتها وكمياتها اللائقة بها وساير الامور الممكنة في حقها
بالامكان العام كانت بالفعل بحسب اول فطرتها ولم يبق فيها شيء بالقوة الا
امر ضعيف الوجود سهل الحصول من باب النسب والاضافات وهي اوضاعها
فيقتضي وجودها عدم الجمع بينها فلو دامت على واحد لدامت الباقيات على القوة
العدمية والقاصر عن استبقاء ذات بالعدد يسعى في استبقائها النوع فاوجبت
اشخاصها الى الفعل بما امكنها من التبادل التعاقبي الجالب لافاضة الانوار من
العوالي الراشح للخير الدائم على السوافل قصدا الى تحصيل هذا الكمال الموجب

لعرض من النور في المبدأ الفعال والتشبه به فيما يتعرض من الاحوال والافعال لا قصدا الى
نفع السوافل الا على نحو التبع ولا استجرار الالام كعز الله على كمال الفاعل ومن ظن ان
المتشبه به واحد ولكن الافلاك جمعت بين غرضها ونفع السافل عند سهو الجاحظ كرجل خير
خيار سلوك احد الطريقين المتساويين لكن النفع غير محتاج فما در انه لو صح هذا في
اختيار اصل الحركة على السكون فهو لتساويها عنده فاختارت الحركة لنفع السافل
فلم لم يجز ذلك في اصل الحركة لتعاليها على لم يجز لتعيين الجهة وليس علينا ان نعلم كنه ذلك
التشبه الا بقدر ما نرى من نفسنا عند اهتزازنا وابتهاجنا بامور روحانية عند سماع
آيات قرآنية او قرائتها مشيرة الى احوال العاكفين حول جناب الحق كيف تستتبع ذلك
تغيرا واحمرارا في وجوهنا وقياما في شعورنا وقشعريرة في جلودنا كما قال الله تعالى
نزل احسن الحديث كتابا متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين
جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله فهي النفس في حركاتها كالمناجي مع ربه بامور عقلية يحرك شيئا من
اعضائه بحسب ما يتفكر فيه فحركاتها اذن عبادة ما فلكية وصلوة ملكية الى تجليات شوارق
النور وبوارق الحضور لمعة اشراقية يمكن ان يراد بقوله والسماء والطارق سماء
العالم الصغير وسماء العالم الكبير لصحة اطلاقها عليهما بحسب المفهوم وهو الفوقية والاحاطة
فان كان الاول فيكون اشارة الى راس الانسان بما فيه من انوار القوى الظاهرة و
الطارق اشارة الى النفس الناطقة او يكون السماء اشارة الى النفس الناطقة لانها محل
الواردات الغيبية الالهية كما ان السماء محل عجائب صنع الله في سير الكواكب وحركاتها المختلفة
سرعة وبطوءا ورجوعا واقامة واستقامة ونسب بعضها الى بعض بالمقارنة والمقابلة و

التثليث

والتثليث والتربيع والتسديس والخسف والكسوف وساير اوضاعها وحالاتها التي
شبه احوال الصور الادراكية للنفس والاحكام العلمية لها كاقتران بعضها ببعض ومقابلة
بعضها البعض والتعاكس بينها والتقارب والتباعد في المقدمات القياسية وانتقاض
بعضها ببعض واحتجابه بذلك فيكون الطارق اشارة الى ما يرد عليها من العالم الالهي
والفيض الاقدس من السوانح الملكوتية والمواهب الربانية ولئن كان الثاني فيكون المراد
من السماء مجموع الافلاك بما فيها ومن الطارق اما جنس الكوكب واما المفارقات
النورية المتعلقة بها تصريفا وتدبيرا وتشويقا وافاضة وتنويرا فقوله جل اسمه
وما ادريك ما الطارق النجم الثاقب كان حقيقة الانسان هي روح معناه
ونفسه الناطقة وعقله المدبر له كذلك حقيقة كل ذي روح عقلي وكما يصح اطلاق اسم
الانسان على كل من النفس والبدن وعلى المجموع ايضا كل باعتبار كما حقق في موضعه
كذلك القياس في اطلاق اللفظ وكل ما له روح وجسد فحقيقة كل كوكب هي نفسه المدبرة
له وعقله الفعال علية فاذا كان الطارق اشارة الى جنس المفارقات العقلية
فيمكن ان يراد بالنجم الثاقب عقله الذي يثقب ظلام عالم الامكان بتنويره واشراقه
على مادة الكوكب ويطرد العدم عن مهيته بافاضة وجوده عليها كما ان جسمية
الكوكب بصورتها النوعية وطبيعتها النورية الحسية تثقب ظلام الاجسام بضوءه
فينفذ فيه ولذلك الفرق للكوكب انه دري لانه يدرء الظلام اي يدفعها واما
وصفه بالطارق فلانه يبدو بالليل في عالم الحس عند احتجاب الشمس عن
الابصار كما ان حقيقته العقلية تبدو على العقل في ليل ظلام الامكان وجهة التعين

الامكاني قبل اشراق شمس الحقيقة على البصاير الماحية لانوار التعينات الامكانية
القاهرة على آثار الوجودات الاعيانية ولذلك تعالى في اللغة للآتي ليلا طارق و
قيل لانه يطرق الجزائر بصكه وبالجملة المراد بحسب عالم الحس النجوم او جنس الشهب
التي يطرد بها الظلام او يرجم بها الشياطين كما يرجم شياطين النفوس الوهمانية
عن بلوغ سماء عالم الحكم بانوارها العقلية وفي الكشاف فان قلت ما يشبه قوله
وما ادريك ما الطارق النجم الثاقب الا ترجمة كلمة باخرى فبين لي اي فايدة تحته
قلت اراد الله عز من قائل ان يقسم بالنجم الثاقب تعظيما له لما عرف فيه من عجيب
القدرة ولطيف الحكمة وان ينبه على ذلك فجاء بما هو صفة مشتركة بينه وبين غيره وهو
الطارق ثم قال وما ادريك ما الطارق ثم فسره بقوله النجم الثاقب كل هذا اظهار
لفخامة شانه كما قال فلا اقسم بمواقع النجوم وانه لقسم لو تعلمون عظيم قوله جل اسمه
ان كل نفس لما عليها حافظ هذا جواب القسم سواء كانت ان نافية وذلك
في قراءة لما مشددة بمعنى الا او كانت مخففة من الثقيلة وذلك في قراءتها مخففة على
ان ما صلة اذ على التقدير من رواية القراءتين ما يتلقى به القسم اي ما كل نفس الا
عليها حافظ مهيمن عليها رقيب او ان كل نفس لعليها قايم معقب وانما ادخل سور
الموجبة الكلية في الشق الاول على النفس ليعم جميع النفوس من المفارقات والفلكيات
والعنصريات واريد بالحافظ الرقيب لها على وجه العموم هو الله سبحانه لقوله وكان الله
على كل شيء مقيتا وكان الله على كل شيء رقيبا ولكل نفس رقيب خاص وهو ملك يحفظ
عملها ويحصي عليها ما يكتسب من خير وشر روي عن النبي صلعم وكل بالمومن مائة وستون

ابن ظ

ملكا

ملكا يذبون عنه كما يذب عن قصعة العسل الذباب ولو وكل العبد الى نفسه طرفة عين
لاختطفته الشياطين وللنفوس الانسانية رقيب واحد عقلي يسمى بروح القدس عند
اهل الشرع وبالعقل الفعال عند الحكماء وبروان بخش عند الفارسيين وفي شانه اختصام
فان قيل اذا حملت ان على المخففة كان صحيحا واما اذا حملت على النافية فيكون
المعنى ليس كل نفس فيكون السور سور السلب الجزئي فلا يعم فما وجه التوفيق بين القراءتين
قلنا نجيب عنه من وجهين احدهما ان السور وامثاله من المصطلحات المحدثة ولا يجب
تطبيق كلام الله عليه واللفظ في جوهره يفيد العموم لانه نكرة وقعت في سياق النفي
على ما هو مبين في كتب الاصول والعربية والثاني انه لما تبين بالدلايل العقلية ان لكل
نفس حافظا وقد عرفت من القراءة الاولى فالقراءة الثانية وان دلت على السلب
الجزئي فالاولى ان تحمل على العموم مجازا ولصدق السلب الجزئي على السلب الكلي صدق
العام على الخاص وذلك اذا اخذ لا بشرط شيء لا بشرط لا كما تقرر في علم الميزان
ليحصل التوافق بين القراءتين والجمع بين الدلالتين هداية عقلية
من تامل في حال النفوس الانسانية لعلم يقينا ان لها حافظا عقليا وهو ملك من
الملائكة المقربين وله جنود واعوان من جنس الملائكة الذين رتبتهم دون رتبة المقربين
كما دل عليه الحديث المنقول آنفا وذلك لان النفس جوهر مجرد واما جوهريتها فلكونها
محل الصفات المتعاقبة عليها مع بقائها وهو من خواص الجواهر واما تجردها فبادلة
كثيرة منها انها تدرك المعقولات وهي معاني مجردة عما سواها وكل ادراك
فهو بحصول صورة المدرك او حضور ذاته عند المدرك وكل ما يحصل في جسم فانه

يؤثر فيه بما يلزم الجسم في وجوده لا انفعالي وتشخصه المادي مثل الشكل والمقدار و
الوضع وغيرها فلو حصل معقول في جسم لكان يحصل له مقدار وشكل ووضع
فكان يخرج من ان يكون معقولا بل يكون محسوسا ينفعل عنه الحواس عند المصادفة
ومنها انها تشعر بذاتها ولو كانت موجودة في جسم او آلة لم تشعر بذاتها لعدم
حضورها لذاتها بل لمادة ذاتها ولذلك شهد معلم الفلاسفة ارسطاطاليس
الحكيم كل راجع الى النفس فهو روحاني اذ لو كان في آلة لا تدرك ذاتها ولا عند
ادراك آلتها فكانت بينها وبين آلتها آلة وهيئة اولا ترى ان البصر لا يدرك ذاته
ولا يدرك آلته ذاته الا بآلة اخرى تتوسط بينها وبين آلتها والنفس تدرك ذاتها وتدرك
آلاتها ايضا بذاتها لا بآلة لا لحضورها بذواتها حضورا اشراقيا عند النفس من غير
حاجة الى صورة اخرى وبالجملة فكل موجود في آلة فذاته لغيره وكل ما يناله ذاته فذاته
له لا لغيره فيكون مجردا عن الاغيار ومنها انها تدرك الاضداد معا بحيث يمتنع
ان يوجد على ذلك الوجه في المادة ومنها ان البدن في التحلل والذوبان دائما
لاستيلاء الحرارة الغريزية والغريبة الداخلة والمحيطة عليه والنفس ذاتها غير متبدلة
لانك انت الذي كنت صبيا وشابا بعينك فتعاليت عن الانطباع ومنها انك
تذهل عن كل عضو من اعضائك احيانا من قلب او دماغ او غيرهما وعن البدن مجموعا
وخصوصا وقت النوم او السكر ولا تذهل عن ذاتك فانت وراء ذلك كله فانت انت
لا ببدنك ولا بجزء بدنك فاعرفها ولا تكونن من الذين نسوا الله فانساهم انفسهم ولهذا
المطلب وجوه كثيرة من البراهين والاقناعيات لا نطول الكلام بذكرها وفيما ذكرناه كفاية

لما

لما تحصل بصدده ان شاء الله واذا ثبت انها جوهر غير جسم وهي قابلة لادراك المعقولات
بالقوة اولا ثم بالفعل اخيرا فلها مراتب اولها الاستعداد المحض سميت به العقل
الهيولاني ثم استعداد آخر قريب عند حصول اوائل العلوم المهيئة لادراك الثواني
اما بالفكر او الحدس سميت به العقل بالملكة ثم يحصل بعد ذلك قوة وكمال اما القوة
فهي ان يكون لها حالة عقيب الانظار وتكرر المشاهدات بها يحضر المعقولات متى شاءت
من غير طلب وتجشم وهذا هو اقرب الاستعدادات وسميت به العقل بالفعل يكاد زيتها
يضيء ولو لم تمسسه نار واما الكمال فهو ان يكون المعقولات لها حاصلة بالفعل
مشاهدة سميت به العقل بالمستفاد وعند ذلك تشبهت بالمبادي وصارت عالما عقليا
يضاهي العالم في الصور لا في المواد فاذا علمت هذا فاعلم ان مخرج النفس من القوة
الى الفعل في كمالها العقلي ليست في ذاتها اذ الشيء لا يخرج ذاته من النقص الى
الكمال والا لكان الشيء اشرف واكمل من ذاته ضرورة ان المعطي للكمال لا يقصر
عنه ولان جهة الفعل غير جهة الانفعال وهي ليست جسما مركبا من مادة وصورة
حتى تفعل باحدهما وتنفعل بالاخرى ولا آلة الجسم هو مكمل النفس لانه في مرتبة
دون مرتبتها ولا نفس اخرى من نوعها اذ لا اولوية لبعض افراد طبيعة واحدة
بحسب ذاتها النوعية ولان النفس بما هي نفس لا تؤثر الا بمشاركة الجسم وبواسطة
الوضع والا لكانت عقلا محضا وكم من نفس شريفة رمت اخراج نفس من القوة
الى الفعل واستمعت من الحق انك لا تهدي من احببت فاذن كليلة فمخرجها الى
الكمال ملك روحاني عنده صور الاشياء بالفعل وهو فعال المعقولات ومفيضها

على قلب من يشاء باذن الله وايضاً لان النفس اذا غابت عنها صورة عقلية كانت
ادركتها ولها الرجوع اليها متى شائت دون كسب فلا بد لها من خزانة عقلية يحفظ لها المعقولات
عند ذهولها وليست الخزانة فيها او في جسمها اما الاول فلعدم تجزيها بجزئين باحدهما
تدرك وتتصرف وبالآخر تحفظ وتخزن واما الثاني فلما علمت من ان المعقول لا يحل الجسم
المنقسم بالمقادير الوضعية فاذن لها ممكن هو ملك عقلي مقرب لم يكن فيه جهة القوة و
الاستعداد اصلاً والا لكان نفساً محوجة الى مخرج آخر اياها ومكمل لها فيتسلسل او يدور
وكلاهما ممتنع او ينتهي الى امر عقلي بالفعل وهو مطلوبنا فلكل نفس لها حافظ من الجواهر
الملكية المقربين يحفظ لها او عليها كمالاتها اذا اتصلت به ايدنا بالانوار وكتب في
قلوبنا الايمان لانه قلم الحق الاول واذا اعرضنا عنه بالتوجه الى المحسوسات انمحت الكتابة
ونفوسنا كمرآة اذا اقبلت اليه عند نقائها من الكدورات والمعاصي قبلت واذا
اعرضت او احتجبت تخلت ونسبته الى نفوسنا كنسبة الشمس الى الابصار وليست
المقدمات بذاتها موجدة للنتيجة لانها اعراض والاعراض لا توجد شيئاً بل المقدمات
وغيرها معدات والواهب غيرها فان قلت ما الحاجة الى اثبات هذا المبدأ العقلي بعد
اثبات الحق الاول قلت النفوس كثيرة لا بد لها من مبدأ ذي جهات كثيرة في الفاعلية
والجهات الكثيرة مرتبتها منحطة عن مرتبة الذات الاحدية الصرفة بمراحل كثيرة فلا بد من
وسايط بيننا وبينه لغاية مجده وعلوه ونهاية عجزنا وقصورنا فلا نصل الى جنابه
الا بعد طي مراتب حجابه وفي الحديث ان لله سبعين الف حجاب من نور وظلمة لو كشفها
لاحرقت سبحات وجهه كل ما انتهى اليه بصره فاذا تحقق ذلك فاعلم ان الله خلق للانسان

جنوداً

جنوداً وحفظة غايبة عن عالم الحواس تخدمه وتحفظه عن الآفات وتكتب عليه اعماله و
تضبط له آجاله فبعض هذه الجنود مبادي الادراكات والانفعالات وبعضها
مبادي التحريكات وبعضها كتبة الاعمال وبعضها حفظة الاقوال ولكل صنف منها
رؤساء ومرؤسين وخدام ومخاديم فمخدوم المبادي الادراكية مبدأ النظر شهيد وعليها
ثم بعده مخاديم عشرة مرتبتها دون مرتبته هو ينظر اليها ويستخدمها كما يستخدم
هو غيرها من صور شيئاً ويكون من نوعها او جنسها وبعضها جنود واعوان لا
يمكن احصاؤها لكثرة انبثت في مملكة البدن ليس فيه موضع قدم تخلو عنها ومخدوم
المبادي الشوقية ايضاً مبدأ الشوق مخدوم لها وله جندان خادمان له احدهما
تخدمه لجلب ما تشتهيه من الاشياء الكثيرة الملائمة لطبعه والآخر تخدمه لدفع ما يكرهه
من المضار والمنافيات لطبعه ولها جنود غير محصورة تخدمها سبعة منها بمنزلة
الزعايم والرؤساء للبواقي ولكل منها اسم خاص عند الله وصفة خاصة وفعل
خاص ولكل منها محل خاص هو موضع سلطانها ومحل عام هو موضع تصرفاتها وقد
مكن الله جميعاً على التصرف في مواد الاجسام الحيوانية والنباتية وغيرها مما في الارض
بالجذب والدفع والقبض والبسط والحبس والامساك والاحالة والتبديل والنضج
والالصاق والتصوير والتشكيل كما اشار اليه بقوله وخلق لكم ما في الارض
جميعاً كما قد مكن جميع الصنف الاول على التصرف في صور تلك المواد وغيرها
بنزعها واحضارها وادخالها في صقع النفس وعالمها وتقديمها وتاخيرها
وتاليف بعضها ببعض وانتاجها الى غير ذلك من انحاء التصرفات كالحفظ و

لكثرة جاع كل ذلك بامر الله المطاع وعنايته بتعمير هذه النشاة الانسانية في هذا
العالم كما دل عليه الحديث المنقول آنفا فان معنى قوله عم لو وكل العبد الى نفسه
لاختطفته الشياطين انه لولا افادة الله له هذه الجنود الباطنية الطبيعية والنفسية و
حرسه بها ويديمه مدة في هذه الدنيا ليتزود ويحصل للآخرة بالاعمال الصالحة ويكتسب
المعارف الحقيقية بتأييد الملك المفارق المكمل له لاختطفته شياطين هذا العالم
من الجواهر الطبيعية والنفسانية المستولية على الاجسام بالافساد والقطع والتحليل
والقتل والاهلاك فان بدن الانسان في معرض الآفات ومعرض البليات كالحرق
بالنار والغرق في الماء والتسخين والتبريد المفرطين من الهواء والخسف والزلازل
من الارض وشرب السموم والادوية الضارة الجمادية النباتية ومصادفة العدو
الحيواني كالسبع الضاري والكلب العقور والافاعي ومواجهة الخصماء الانسية و
غير ذلك فكل من هذه من توابع الشياطين بصدد اختطاف العبد في هذا العالم لو
وكل الى نفسه ولم يحفظه الحفظة بامر الله ولولا افادة الله لعباده المخلصين ايضا
جنودا آخرين يحفظونه ويذبون عنه في طريق الآخرة عن اختطاف ضرب آخر من مردة
الشياطين وهم الذين يريدون ان يسمعوا الى الملاء الاعلى فيقذفون من كل جانب
دحورا ولهم عذاب واصب الا من خطف الخطفة فاتبعه شهاب ثاقب ويقول سفيههم على
الله شططا من اثبات الصاحبة والولد سبحانه ويحكم على غير المحسوس بالمحسوس والا
فمن الذي خلص من شر اضلالهم وفسادهم ووساوسهم ووعدهم بالشر وايعادهم
على الخير واراءتهم الباطل على صورة الحق والحق على صورة الباطل والله يهدي

من يشاء

من يشاء الى صراط مستقيم قوله جل اسمه فلينظر الانسان مم خلق لما ذكر سبحانه
ان على كل نفس حافظا ومبقيا لوجوده وهو علته الفاعلية اراد ان يهديه سبيل
معرفة الله تعالى وصفاته وافعاله اذ بها يتم حيوته الكاملة في النشاة الآخرة الدائمة
وبدونها موت الجهالة وهلاك السرمد وعذاب الابد وهي متوقفة على معرفة النفس اذ
النفس سلم المعارف كلها والمرقاة الى الحضرة الالهية فعرفها ان معرفة الشيء ذاتا
وصفة وفعلا والشيء ذو الاسباب لا يمكن العلم به الا من جهة العلم باسبابه وهي اسباب اربعة
في المركب فاعل وغاية ومادة وصورة وفي الامر الصوري ثلثة كالنفس لان صورته
ذاته بخلاف المركب فان صورته ليست ذاته بل جزؤه وعلة جزئه الآخر بمعنى انه لو كان
المادة جزؤه الآخر وهي ايضا علة الصورة لا بهذا المعنى بل بمعنى آخر فالانسان صورته
نفسه الناطقة ومادته حاصلة من الطين اللازب ثم من المني الممتزج من العناصر الحاصل
منه الاخلاط الاربعة ومن لطافتها ودخانيتها الارواح البخارية ومن كثافتها وارضيتها
الاعضاء ويتوسط بينهما الاعصاب والعروق والاوردة والشرائين والعضلات ومجموعها
البدن وهو المادة القريبة المأخوذ منها جنسه وفصله مأخوذ من النفس التي هي صورته و
فاعله الملك المتصرف فيه بامر الله باعداد ملكه الذي هو وكله على السموات والارضين كما اشار
اليه بقوله عليها حافظ وغايته عبادة الله وطاعته كما اشار اليه بقوله وما خلقت
الجن والانس الا ليعبدون فلذلك امره ووصاه بالنظر في اسباب وجوده وماهيته في النشاة
الاولى ليعلم ويستدل بها على قدرته تعالى على النشاة الثانية كما نبه عليه قوله تعالى ولقد علمتم
النشاة الاولى فلولا تذكرون في احالات نشاتكم الثانية والنظر ترتيب امور معلومة للتادي

في مجهول فادته خلقة الانسان وصورته من حيث هي صورته من بدء النشاة واما فاعله
وغايته فلهما النشاة الآخرة والمادة اقدم في الزمان فقدمت معرفتها وسبيل النظر اليها
والاستدلال بها على غيرها فقال فلينظر الانسان مم خلق اتى بما الاستفهامية المستعملة
لطلب تمام حقيقة الشيء او شرح مهيته ومرتبتها باول الوجهين بعد هل البسيطة الطالبة للتصديق
بوجوده وباللام قبلها اذ ما لم يعلم شرح اسم الشيء لا يطلب معرفة وجوده فاجاب بقوله
جل اسمه خلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب والدفق
صب فيه دفع ومعنى الدافق اما المدفوق كعيشة راضية بمعنى مرضية والغرض فيه
الانتساب في الدفق الذي هو مصدر لا قيام المصدر به كالحداد والمشمس واما الاسناد
المجازي لان الدفق للمني لا يقطع لصاحب السكين قال الفراء واهل الحجاز يجعلون
الفاعل بمعنى المفعول في كثير من كلامهم كسر كاتم وهم ناصب وليل نايم وانما قال
من ماء ولم يقل من مائين مع ان اصل المولود منهما جميعا لامتزاجهما واتصالهما ماء
واحدا في الرحم حين ابتداء الخلقة واما قول بعض الاطباء ان ماء المراة هو الاصل
كاللبن وماء الرجل للانعقاد كالانفحة فهو قول مرجوح لا يصار اليه على ان الدفق لا
يلايمه بل الحمل على مني الرجل اولى لانه كالصورة للمركب ومني المراة كالمادة له والشيء
بالصورة هو بالفعل وبالمادة هو بالقوة او لا ترى ان نسبة المولود الى الاب اوكد من
نسبته الى الام يخرج من بين صلب الرجل وترائب المراة وهي عظام الصدر والصلب فيه
اربع لغات بفتحتين وبضمتين وبالضم والسكون وبصيغة الفاعل وفي الكشاف
قيل العظم والعصب من الرجل واللحم والدم من المراة وهذا القول موكد لما مر كون مني

الرجل

الرجل هو الاصل اذ قد ثبت ان مثل العظم والعصب من الاعضاء الاصلية متكونة
من المني والزائدة كاللحم وغيره متكونة من الغذاء فان قلت ان النطفة تتكون من فضل
الهضم الرابع وتنفصل عن جميع الاعضاء فلم قال يخرج من بين الصلب والترائب التي
هي عظام الصدر قلت اختلفت الحكماء والاطباء في انفصال المني عن جميع الاعضاء
او عن الانثيين وفي كونه المني متشابه الاجزاء او مختلف الاجزاء فارسطو وشيعته
ذهبوا الى تشابه اجزائه لانفصاله عن الانثيين وذهب بقراط وشيعته الى انه
ليس متشابه الاجزاء لانه يخرج عن كل البدن فيخرج عن اللحم شبيه به ومن العظم شبيه به و
هكذا من جميع الاعضاء فاجزاؤه غير متشابهة الحقيقة بل مختلفتها متخالفة بحسب اختلاف
حقايق ما ينفصل عنها فهو غير متشابه لامتزاج متصل عند الحس ولكل من الطرفين
حجج كثيرة مسطورة في كتب الاطباء اما ما تمسك به بقراط في تصحيح مذهبه فمنها عموم اللذة
لجميع البدن ومنها المشاكلة الكلية فلولا ان كل عضو يرسل قسطا لكانت المشابهة بحسب
عضو واحد ومنها مشاكلة عضو الولد بعضو ناقص من والديه او عضو ذي شامة او
زيادة وقد قدح ارسطو في هذا المذهب وابطله بوجوه احدها ان المشابهة تقع في الظفر و
الشعر وليس يخرج منهما شيء وثانيها ان المني لا يرسله الاعضاء الآلية مع ان المشابهة تقع
بها وثالثها لزوم كون المولود في الرحم انثيين ورابعها جواز تكون الولد من المراة وحدها
لانفصاله من جميع اعضائها وخامسها ان الحيوان قد يسفد سفادا واحدا فيتولد منه
اكثر من واحد فلو لم يكن منيه متشابه الاجزاء لم يتولد منه الا واحد وسادسها مشابهة
الولد للجد بعيد لا الوالديه وقد حكى ابو علي في حيوان الشفاء ان امرأة واحدة ولدت من

الاشياء بل متشابه
ص

حبشي بنتا بيضاء ثم هي ولدت بنتا سوداء وسابعها كثير من الحيوانات يلد من غير
جنسه وتمام منها لزوم المني حيوانا صغيرا فهذه حجج الفريقين وفي الكل نظر يؤدي ذكره صغيرا
الى تطويل وعلى اي المذهبين بيان الجواب على قلت اما على مذهب ارسطو وتابعيه فلقرب
الموضعين منه او عليه المني خصا بالذكر واما على مذهب الاخرين فلورود هذه الفضلة من كل اعضاء
الى الانثيين بعد ورودها على هذه العظام صلب الرجل وترائب المرأة ولذلك ورد استحباب
وضع اليد على ثديي المرأة عند ارادة المجامعة معها قبل الدخول لتشتد عليها بسبب
تهيج مادة الشهوة وتحريكها من ذلك الموضع وفي الكشاف الترائب عظام الصدر حيث
تكون القلادة وقيل الترائب اليدان والرجلان والعينان عن الضحاك وسئل عكرمة
عن الترائب فقال هذه ووضع يده على صدره بين ثدييه وقيل ما بين المنكبين والصدر عن
مجاهد وقيل المشهور في كلام العرب انها عظام الصدر والنحر شك وتحقيق قيل
لكن المني متشابه الاجزاء والقوة المولدة لا شك انها قوة عديمة الشعور والادراك وعلى
تقدير شعورها وادراكها فسبيلها سبيل البسائط المؤثرة على نهج واحد وسنة متشابهة
والتي هذا شانها اذا فعلت في مادة متشابهة الاجزاء وجب لئن تفعل فيها فعلا واحدا
متشابها فكان يلزم لئن يكون المولود من المني كرة واحدة لها طبع واحد والمشاهد خلافه و
هذا هو الحجة في اثبات كروية البسائط وهذا الشك مدفوع لا بما ذكره صاحب التفسير الكبير من
اللازم المذكور وهو كون المتولد كرة لازم على تقدير كون المني مختلف الاجزاء ايضا لانا
اذا فرضنا مركبا فلا بد ولئن يكون الاجزاء البسيطة حاصلة فيه بالفعل ولكل منها قوة بسيطة
تفعل في مادة بسيطة فيجب لئن يكون كل واحد منها كرة والمتولد من الكرات مضمومة بعضها

ببعض

ببعض فانه ايضا فاسد لانه جدلي كما لا يخفى بل لانه لا يلزم من اقتضاء القوة البسيط
استدارة الجسم المتشابه الاجزاء المقدارية التي لم يتألف من اجسام مختلفة الصور لظهور الفرق
القادح فان القوة البسيطة يمتنع اختلاف تأثيرها في الاول لا في الثاني لاختلاف المادة المتصرف
فيها بتهيئة المغيرة لكل عضو مادة تليق به ثم بافادة المصورة ما يحسن لها من التصوير و
التشكيل كما ذكرنا ولبعض الحكماء كلام في هذا الباب ليس ببعيد عن الصواب لا
بأس بذكره وهو لئن المادة المنوية تستعد لامر واحد هو النفس ولكن النفس لها الآلات ولوازم
وقوى متخالفة يتحد ضربا من الاتحاد فيجب لئن يكون في المادة استعدادات ما لقوة مختلفة يتحد على
ضرب من وجوه الوحدة وهي كيفية المزاج كاتحاد اشياء بالانتساب الى مبدأ واحد لان من
اختلاف الاستعدادات في المادة امور بالفعل فكان اشياء فيها تركيب ثم لكل قوة يجب لئن
يكون قد تركبت فيها هيئات هي لوازم لتلك القوى بها يصير فعالة فبسبب هذه الآلات
تنقسم عضو واحد الى اعضاء كثيرة وبسبب اختلاف ترتيبات القوى تختلف اوضاع هذه الاعضاء
كالذي بالمعلوم والمعقول الا ان وجدت للاول والمعقول وحدها بعده وكما ينتقش في
العقول تلك الصور على سبيل اللزوم من دون شركة المادة واستعداداتها فكذلك ينتقش
في القوة المصورة من النفس هيئات ينبعث منها صورة شكل الانسان بشركة المادة
لوجود هذه القوة في المادة تتمة يجب للمتفكر لئن يعلم لئن النفس اذا تعلقت باول
عضو كالقلب صار البدن نفسا نباتيا فالنفس تحرك الحيوان بالقلب ولئن فرض تجردا
عن باقي الاعضاء ما دام صلوحه للتعلق باقيا وهو كونه ذا بخار لطيف في تجويفه
ولكن انما يتم مزاج الروح الذي يصلح لحمل قوى الحس والحركة في الدماغ لحصول

الا عند الرضا کی على وجه الكمال كالان قوى التغذية يتم فعلها بالكبد وينشأ حاملها من
القلب فجميع هذه القوى اولا منبعث من القلب لا غيره كما انه عنده مخالف هذا القول
مبدأ الحس في الدماغ لكن افعال الحس لا يتم به بل باعضاء اخر وانما وقع هؤلاء فيما
وقعوا لغفلتهم عن ان القلب هو بالحقيقة هو بالحقيقة العضو الرئيس الذي به يصير الجسم
حيوانا ذا النفس وما سواه خدام له والكلام في تفصيل الآلات والقوى النفسانية وكيفية
ظهورها وكيفية تكون الجنين خروج عن طور هذا المقام والله ولي الفضل والانعام قوله
جل اسمه انه على رجعه لقادر يعني الحق سبحانه في الاول خالق المبدأ وامر الانسان
بان ينظر بدو امره ومادة وجوده واشار ثانيا الى انه يعلم من اصل خلقته ومادته
ما تسبب به امر معاشه ومعاده وليكتسب الحكمة الخلقية والمنزلية والمدنية ويعلم
انه محل العجز والافتقار ومعانه النقص والاضطرار ليس له على شيء يد ولا له على نفسه
سلطان ويستفيد من ذلك العلم بقدرة الحق وسلطانه وباهر حكمته وبرهانه وتفرده
بوجوب الوجود واستغنائه عن كل موجود واشار ثالثا الى معاده وانه ممكن
مقدور عليه ولا يتقاصر عنه القدرة الالهية والمكنة الجبروتية ولما كان العلم بالمبدأ
من اليقينيات التي لا شبهة فيها اعرض عن ذكره صريحا وذكر المعاد الذي هو مزال
الاقدام ومداحض العقول والافهام وتعرض لبيانه على وجه التعريض والتلويح
ورب تعريض ابلغ من التصريح فقال انه الضمير للخالق لدلالة خلق عليه لقادر لبين
القدرة لا يتابى عنه شيء من المقدورات ولا العجز يعتريه لان الذي خلق الانسان ابتداء
من نطفة هي امر بالقوة في غاية الوهن والسخافة وقبول الآفة والفساد فهو قادر

التنكير

على اعادته والتنكير في قوله لقادر للتفخيم اي لقادر واي قادر ونظيره ابن المقفع و
معنى الرجع رد الشيء الى اول حاله فعن الحسن والضحاك وقتادة انه الذي خلقه ابتداء من
هذا الماء لقادر على ان يرجعه حيا بعد الموت وعن عكرمة ومجاهد انه لقادر على رد الماء
في الصلب وعن الضحاك انه على رد الانسان ماء كما كان قادر وقال مقاتل ان شاء رده
كانه يقول انه قادر على رد الانسان من الكبر الى الشباب ومنه الى الصبي ومنه الى النطفة
ومنه الى الاحليل ومنه الى الصلب فكيف لا يقدر على احيائه بعد الموت والاصح
القول الاول لان قوله جل اسمه يوم تبلى السرائر منصوب برجعه الا انه
نصب من جعل الضمير في رجعه للماء وفسره برجعه الى مخرجه من الصلب والترائب او
الاحليل او للانسان وفسره برده ماء او بما فسره مقاتل بمضمر كالابتلاء كالاعتبار
والسرائر جمع السريرة وهي ما اسر في القلب من العقائد والنيات او من الهواجس
الاخلاق والصفات وبلاؤها تعرفها والتميز بين حقها وباطلها وحسنها وقبيحها
وطيبها وخبيثها قال الشاعر سيبقى لها في مضمر القلب والحشا سريرة ود يوم
تبلى السرائر وعن الحسن انه سمع رجلا ينشد هذا البيت فقال ما اغفله عما في و
السماء والطارق تنبيه اعلم ان الله خلق الوجود ثلث عوالم دنيا و
برزخا واخرى ويعبر عن كل منها بيوم فكل يوم من ايام الدنيا دورة الفلك الاعظم
وربما يطلق على زمان دورة القمر بل على زمان دورة الشمس ايضا ومجموعها سبعة الآف
سنة وكل يوم من ايام البرزخ سنة مما تعدون او سبعة آلاف سنين مما تعدون و
كل يوم من ايام الاخرة وهي ايام الله خمسين الف سنة لقوله تعالى يعرج الملائكة و

والروح اليه في يوم كان مقداره خمسين الف سنة فتخلو الله الجسم عن الدنيا و
النفس عن البرزخ والروح عن الآخرة وجعل الوسائط الحاكمة الى قابل تنوعات
عوالم الانسان ثلثة ملك الموت ونفخ الفزع ونفخ الصعق فالموت للاجسام والفزع
للنفوس والصعق للارواح فاذا كان الانسان في هذه الدار كان الحكم فيها ظاهرا
للجسم وهو المشهود بشاهد الحس والمباشر للاحكام والافعال الترتيبية ويليق به والنفس و
احوالها والروح واسرارها مندرجتان في وجوده مختفيتان تحت حجابه وحجب
صفاته واثاره والامدادات متصلة بهما بواسطته فاذا شاء الحق تعالى نقل النفس و
الروح الى دار البرزخ امات الجسم بواسطة ملك الموت واعوانه ثم ينشئ النفس في البرزخ
النشأة النفسانية الثانوية ويكون في عالمها البرزخي وكانت هي المشهود بجوهرها ومشاعرها
فان للنفس في ذاتها سمعا وبصرا وذوقا وشما وهذه الحواس الدنياوية ظلال تلك
الحواس وحجاباتها اولا ترى انها تنفع وتعمل فعلها عند ركود هذه الحواس كما في المنام
والنوم اخ الموت وهي النفس هناك مباشرة للاحكام وقادرة على الافعال بنفس
تلك الحواس لان مبادي الحواس ومبادي الافاعيل هناك متحدة والامدادات يومئذ
متصلة بالجسم والروح بواسطتها وصورتها في البرزخ على صورة ما غلب عليها من الاعمال
والاخلاق والنيات فقوله تعالى انه على رجعه لقادر اي على رجع النفس والتذكير باعتبار
انها عين الانسان المذكور صريحا او المخلوق المذكور ضمنا واليوم في قوله يوم
تبلى السرائر يوم البرزخ وهو القيمة الوسطى اذ فيه تختبر سرائر النفوس لانه يوم علنت
الضمائر النفسية وخفيت الظواهر الجسمية وفيه يحشر الناس على صور نياتهم كما ورد في

الحديث

الحديث وورد ايضا يحشر بعض الناس على صورة يحسن عندها القردة والخنازير
وذلك لاستيلاء الصفات الشهوية والغضبية على نفوسهم اكثر مما يستولي على نفوس تلك
الحيوانات وفيه يتميز الخبيث من الطيب المشار اليه حتى يميز الخبيث من الطيب الآية وفيه
امتاز المجرمون عن المؤمنين كما في قوله تعالى وامتازوا اليوم ايها المجرمون فالبرزخ
عالم مستقل بين عالمي الدنيا والآخرة المحضة كالشفق والفجر بين الليل والنهار وهو مستقر
الانفس والارواح المنتقلة عن هذه الدار منذ بدو الزمان الى حين انقضائه بقيام
الساعة الكبرى والقيمة العظمى والآيات تشير اليه قال الله ومن ورائهم برزخ الى يوم
يبعثون لهم رزقهم فيها بكرة وعشيا وقال النار يعرضون عليها غدوا وعشيا يعني
دار البرزخ ونبه عن الدار الآخرة بقوله ويوم تقوم الساعة ادخلوا آل فرعون
اشد العذاب لان فرعون وآله كانوا من اهل الشقاوة العقلية والحجاب السرمدي
عن رؤية ربهم كما اشير اليه في قوله كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون وذلك لكثافة
استعدادهم وعلو فطرتهم بسبب ارتكابهم العلوم الجدلية والمحاجات السفسطية
ومما يدل على عالم البرزخ ايضا قوله فاما الذين شقوا ففي النار الآيتان يعني والله اعلم
جنة البرزخ وجحيمه لان مدة الخلود فيهما مقدر بدوام السموات والارض فاذا انقضى حكمهما
جسما ونفسا بالتبديل الاخروي للعالم العقلي الجبروت وموطن الارواح العقلية
انقضت مدة الخلود فيهما فخلودهما لا ابد وجوده بشرط غيره وليس كذلك دوام اهل الآخرة
الكبرى اذ لا امد لها ولا وجودها مقدر بوجود غيرها ومما يدل على البرزخ قوله صلى الله
عليه وآله القبر روضة من رياض الجنة او حفرة من حفر النيران وما روي انه صلعم

لنا ارواح المؤمنين في حواصل طير ابيض وارواح الشهداء في حواصل طير خضر تتوقع في يرتع
الجنة وتأوي الى قناديل معلقة بالعرش وهذه حالة الروح في جنة البرزخ حين تصور النفس
بالصور الكمالية البرزخية فهي في هذه الحالة في عالم بين العالمين عالم الاجسام وعالم
الارواح فاذا اراد الله تعالى نقل الانفس من البرزخ بنفخة الفزع وتعاد اليها الاجسام
الدنيوية كما قال تعالى ويوم ينفخ في الصور ففزع من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله
ثم يأتي لنا نفخة الفزع مختصة بنقل الانفس من دار البرزخ بقوله وكل اتوه داخرين
وقال الله مجازاة النشأة الاخروية الروحانية بقوله ثم ينشئ النشأة الاخرة وهذه نشأة
يكون بعد صعق الارواح حين يقول سبحانه لمن الملك اليوم فلا يجيبه احد فيجيب نفسه لله
الواحد القهار وذلك لانه المحجب قبل ذلك هو الروح السامعة المجيبة المنزهة الطائعة فلا اثر
عليها بهذه الوفاة المميزة لها بصفة الحدوث المنزهة لبادئها بصفة القدم لم يكن ويدا
الصعق هو نهاية الاجل المسمى عنده المعبر عنه بخمسين الف سنة ثم يحي من هذا الصعق
بالنفخة الثانية بمزيد اقتضائه التجلي الاكمل في المظهر الاعظم المظهر للاسماء الباطنة الله
نبه عليها بقوله صلى الله عليه وسلم على ما روي عنه فاحمده بمحامد لا اعرفها الآن فهو بهذه النشأة
الاخروية الروحانية كانت الروح هي المشهودة المباشرة للاحكام الاخروية والنفس
والجسم مندمجان فيها مختفيان تحتها وفي قوله الله يبدؤ الخلق ثم يعيده ثم اليه
ترجعون اشارة الى هذه النشآت الثلث والله اعلم بسرائر الامور قوله جل اسمه
فما له من قوة ولا ناصر القوة كالسمع والبصر والنامية والغاذية والناصر
كالاب والولد والجد والبنات كلاهما مسلوبان في النشأة الثانية عن الانسان وذلك لا

وجودهما

وجودهما بامداد الاسباب العرضية والعلل الخارجية الاتفاقية التي تختص وجودها بهذا العالم
وهو عالم المواد والاستعدادات الناشئة عن جهات القابلة والحركات واما النشأة
الاخرى فالمبادي هناك ذاتية لا اتفاقية والجهات منحصرة في الجهات الفاعلية الاحدية
من المبدأ الاعلى فبكلمة الحق متفردا في ذلك بالحكم والاقتدار والتمكين والاقتدار
والنصرة والانتصار فلا قوة ولا منعة للانسان في ذلك اليوم يمتنع بها ولا ناصر
يمنع ويذب عنه لارتفاع النسب الوضعية والاسباب العنصرية البشرية فالامر يومئذ
لله يفعل ما يشاء ويعذب من يشاء ليس لاحد غيره ملك ولا سلطان ولا قدرة ولا
قوة على شئ بل الكل تكونون يومئذ مشغولين بانفسهم يوم يفر المرء من اخيه
وامه وابيه وصاحبته وبنيه لكل امرئ يومئذ شان يغنيه فان قيل هل فيه دليل
على نفي الشفاعة قلت لا لان الضمير في له راجع الى الانسان وهو كالمهملة في قوة الجزئية
هذا ما قيل وتحقيقه قوله تعالى لكل امرئ يومئذ شان يغنيه لانه يدل على العموم و
الحق نفي الشفاعة لا يثبت الا بعد تحقق المناسبة بين الشافع والمشفوع له وكونه الشافع
من الوسائط العقلية لا الوضعية فعلى هذا الانتفاء وثبوتها كلية الحكم المذكور اذ السلب
جهة والاثبات من جهة اخرى قوله جل اسمه والسماء ذات الرجع والارض
ذات الصدع هذا قسم آخر منه سبحانه تأكيدا لامر القيامة والرجع المطر سمي رجعا
كاسمه او بالانه يرجع ويتوب كل حين من باب اطلاق المصدر وارادة المشتق او
من باب حمل معناه عليه مبالغة او لارادة التفاؤل فسموه رجعا او بالرجوع ويتوب
ولا يبعد ان يكون تسمية بالرجع لان الريح يرفع الابخرة والادخنة من البحر والارض ويسيرهما

في الجو وينعقد سحابا ماطرا فيمطر والمطر يرجع الى حيث رفع منه لان السيول اولا وقد
يجريان وينصبان الى البحر اخيرا او فيكون رجع السماء اعطاؤها الخير الذي يكون
من جهتها حالا بعد حال في دور كل زمان فيرجع بالغيث وارزاق العباد ولا
ان يقول السماء ذات الرجع لاستدارة حركتها فهي في كل آن يرجع الى موضع فارقه
او انها ذات الرجع لكونها ذات كواكب راجعة في سيرها وسير الكوكب رجعا باحد
الوجهين المذكورين وهي الخمسة المتحيرة لكون كل منها في فلك غير شامل للارض يسمى بالتدوير
محله فلك شامل لها يسمى بالحامل ونسبة حركة احدهما وهو التدوير الى حركة الاخر سرعة
اعظم من نسبة نصف قطر الاخر الى نصف قطره ونسبة حركة الاخر الى الاول بطوءا او بالعكس
كما برهن عليه في علم الهيئة بمقدمات هندسية وهذا يوافق ما نقل عن ابن زيد في مجمع
البيان ان المعني بالرجع شمسها وقمرها ونجومها لانها تغيب ثم تطلع وههنا وجه اخر
وهو ان الانسان لما كان عالما صغيرا فيه جميع ما في هذا العالم فلا يبعد ان يراد بقوله
السماء ذات الرجع الدماغ وما فيه من القوى المدركة والمتصرفة وما يحصل لها من
الاحوال المذكورة والالهامات والعلوم المرجعة المتكررة ولئن شئت خصصت الرجع
بالقوة المذكرة التي لها المسترجعة ومحلها التجويف المؤخر من الدماغ فان فيها فانها المذكره
دقيقة نفيسة وعند تأويل السماء بالدماغ ينبغي ان يأول الارض بمثل المعدة او
الكبد حيث ينصدع عما ينبعث منه من الاغذية والابخرة والصدع اسم ما يتصدع
عنه الارض من النبات او ينشق به من الاشجار والعيون وغيرهما ولا يبعد ان يراد
من الارض والنبات قلب الانسان عن نفسه الناطقة ومراتب استعداداتها الناشية

منها بامداد العقل الفعال الذي هو كالسماء فان النبات له ازواج متفاوتة و
اصناف مختلفة فيكون بعضها اشارة الى المرتبة الاولى للاستعداد وهو العقل الهيولاني
الذي هو اول مراتب النفس القابلة للمعاني الكلية وبعضها تلويحا الى ثاني مراتبها المسمى
بالعقل بالملكة الحاصل باستعمال الحواس وحصول الاوليات وهو مناط التكليف
وبعضها ايماء الى المرتبة الثالثة وتسمى حينئذ عقلا بالفعل عند تحصيل النظريات
لها بحيث متى شاءت والتفتت اليها حصلتها بلا كسب وتعمل وبعضها اشارة
الى المرتبة الرابعة وهو حصول العلوم الكلية والحقائق العقلية لها مشاهدة وتسمى العقل
المستفاد المصير في دار المعاد وعند هذا التأويل يكون معنى السماء ذات الرجع
العقل الفعال لانه يسترجع النفوس من هذا العالم الى ما هبطت منه من المحل الاعلى
كما قال بعض الحكماء شعر هبطت اليك من المحل الارفع ورقاء ذات تعزز و
تمنع وما اشبه حال هذه المراتب الحاصلة من ارض النفس الناطقة بتأثير سماء
عالم العقل بحال المواليد الحاصلة من الارض فان الجماد بازاء العقل الهيولاني
لما فيه من قابلية كونه غذاء للانسان والنبات بازاء العقل بالملكة وفيه استعداد
تغذيته والحيوان وخصوصا الحصة من الجنس التي تكون في الانسان بازاء العقل بالفعل
لانه قريب التهيؤ لان يصير انسانا والانسان الحي بازاء العقل المستفاد الذي
هو كالانسان العقلي فاعلم فانه كثير الجدوى قوله جل اسمه انه لقول فصل
هذا جواب القسم والضمير للقرآن يعني ان القرآن يفصل بين الحق والباطل بالبيان
عن كل واحد منهما وهذا هو المروي عن الصادق عليه السلام ولذلك يقال له الفرقان فان قلت

لم يسبق ذكر القرآن ليصح ارجاع الضمير اليه قلت كلامهم من الالتباس بوقوع هذا الاضمار قبل
الذكر لان وصف كونه فصلا ليس بهزل مشعر بان المراد هو الكتاب العزيز الذي لا يأتيه
الباطل من بين يديه ولا من خلفه وقيل الضمير للوعد بالبعث والاحياء بعد الموت قول فصل
اي مقطوع به لا خلاف ولا ريب فيه ولا يبعد ان يراد بالقول ما هو بمعنى التكوين على ارادة
المفعول وفيه بشارة بتحقق البعث وفيه تمييز المحق عن المبطل لان الآخرة دار الفصل
والتمييز والافتراق يتفرق فيها المختلفات بعضها عن بعض ويتميز فيها المتشابهات صورة ويوم تقوم
الساعة يومئذ يتفرقون ولهذا يسمى يوم القيمة يوم الفصل والدنيا دار اشتباه ومغالطة
يشتبك فيها الحق والباطل ويتعانق فيها الخير والشر والنور والظلمة ولهذا صدق على
الآخرة انها يوم الجمع لان هذه الازمنة والامكنة الدنياوية سبب لاحتجاب الكائنات
بعضها عن بعض فاذا ارتفعتا في الآخرة ارتفعت الحجب بين الخلائق فيجتمع الخلائق
كلهم الاولون والآخرون قل ان الاولين والآخرين لمجموعون الى ميقات يوم معلوم
فهو يوم الجمع ويوم الفصل ولا منافاة بين هذا الجمع وذلك الفصل بل هذا يوجب ذلك
كما قال سبحانه هذا يوم الفصل جمعناكم والاولين وما هو بالهزل اي القرآن بل هو جد
كله او القول بوقوع الساعة ليس بمجازفة بل امر يقيني وعلى التأويل يكون معناه ان تكوين
القيامة ليس عبثا بل لغرض المجازاة واصابة كل احد بما قدمت يداه على نحو قوله تعالى
وما خلقنا السماء والارض وما بينهما لاعبين وذلك لان الهزل والجزاف والعبث
ينبئ عن نقصان قائله او قصور فاعله والله سبحانه هو الكامل المطلق والقيوم بالحق
والعزيز العليم الذي لا يحوم حول سرادقات عزته وجلاله نقصان كيف وليست

الركابيد در ٢٢

ارادته

ارادته ومشيته ناشيتان عن داع زائد على ذاته يتعهد وغرض يجره لان كبرياءه ارفع
من ان يتطرق اليه تمثال احد وجنابه اشمخ من ان يتخطاه قدم ممكن فقد جل جناب الحق
عن ان يكون شريعة لكل وارد او يطلع عليه واحد بعد واحد مناجاة فانتبهي يا نفس عن
الهزل واللهو وتخلقي باخلاق الله الواحد الاحد وانتبهي من رقدة الغافلين واستيقظي عن
نوم الغافلين الجاهلين الذين لا يهمهم الا هواهم ولا يحكم الا مناهم وشهواتهم الم يأن للذين
آمنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق يا نفس دعي الهوى واسلكي سبل ربك
بالهدى الم يان لك قد شبت وما انتبهت بلغت سنك الى خمسين وما خرجت من باب
عتبتك قدما الى ادنى منازل القدسيين اللهم اتمم لنا نورنا واغفر لنا ذنوبنا انك على
كل شيء قدير وباغاثة الملهوفين جدير قوله جل اسمه انهم يكيدون كيدا و
اكيد كيدا الضمير راجع الى مشركي مكة لان السورة مكية اي يعملون المكايد والحيل
في ابطال القرآن واطفاء نور الله ويأبى الله الا ان يتم نوره فكايدهم وقابلهم
بكيده اي يدبر ما ينقض تدابيرهم ويهدم مكايدهم وسمى ذلك كيدا من حيث خفائه عليهم
او لا وظهوره اخيرا على نحو الاستدراج ونحوه ولا يبعد ان يراد بالكايدين القوى
النفسانية وخصوصا الوهمية المكاره المنازعة للقوة القدسية في طريق الحق فانها
ولئن كانت منازعة اياها الا ان الله بافاضة الهدى على قلب عبده المؤمن واعطائه
له البرهان النير القدسي والتأييد التام الحدسي تغلبها على قواها كلها وتظهرها عليها
وتخلصها من كيد القوى سيما الوهم الذي هو خليفة الشيطان في عالم الانسان وتجذبها
الى عالم القدس بابطال كيد جنود الشيطان وجعلها مسخرة خادمة للقوة القدسية

مطيعة منقادة متابعة معها للاجناب الحق مسلمة مسالمة بعد ما كانت آنفة منازعة
متابية عن طاعة الحق كافرة جاحدة كشف بهذا الكيد اليه سبحانه من باب المجاز كما هو
الظاهر فيكون العلاقة هي المزاوجة كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها واطلاق اسم الضد على
الضد او ترتب الغاية فان اوصافه تعالى الفعلية في اكثر المواضع انما يؤخذ باعتبار
الغايات لا باعتبار المبادي كالرحيم والمنتقم وغيرهما مما ينفك مباديها عن انفعال و
تاثر في الموصوف بها فكيده تعالى عبارة عن انزال المكروه بالمكيد من حيث لا يشعر
استعارة من فعل الكايد بمن يكيده فالمعنى انه تعالى يجازي الذين تشمروا لابطال
القران او اطفاء نور الرسول الذي هو هدى للناس ورحمة او ابطال نور القوة
القدسية التي هي نور يهتدى به في ظلمات بر المحسوسات وبحر المعقولات بكيد منه
واي كيد فيظهر الكتاب على سائر الكتب السماوية ويظهر الدين الذي صدع به على الدين
كله ولو كره المشركون ويقهر النور القدسي على ظلمات سائر القوى الوهمية والخيالية و
الحسية التي بعضها فوق بعض ثم ان تقييد الفعلين بالمصدر المؤكد وتنكيره للاشعار بان
الامر ذو شان عظيم وخطب جليل الحق ابلج والباطل لجلج فقد جاء الحق وزهق
ان الباطل كان زهوقا قوله جل اسمه فمهل الكافرين امهلهم رويدا
امر نبيه صلعم ان يمهلهم ولا يتصدى للانتقام منهم ولا يشتغل بمكايدتهم ومماراتهم
ولا التقدم على مجادلتهم ومباراتهم وان يستظهر بكيد الله عنه ومناضلته دونه و
من جاء بالسببية ليدل على انه اذا علم ان الله تعالى يكيد له ويذب عنه لزمه صلعم امهالهم ثم ص
والوثوق بصنع الله ويعلم من قوله رويدا ان النصرة ناتية عما قريب فانه اسم للامهال

اليسير

اليسير فان كان المراد عذاب يوم بدر فالمعنى لا تعجل عليّ في طلب هلاكهم بل اصبر
عليهم قليلا فان الله يخزيهم لا محالة بالقتل والذل في الدنيا ولئن كان المراد عذاب
يوم القيمة ونكال الآخرة فالمعنى فلك الامهال ولا تعاجلهم بعذاب الله وانتظرهم
وارض بتدبير الله فيهم وقضائه عليهم والنكتة في تكرير اصل اللفظ مع تغيير الهيئة
وافادة زيادة التسكين منه والتصبير عليه وقال ابن جني قوله مهل فمهل الكافرين
امهلهم غير اللفظ لانه آثر التوكيد وكره التكرير فلما تجشم اعادة اللفظ انحرف
عنه بعض الانحراف بتغيير المثال فانتقل عن لفظ فعّل الى لفظ افعل فقال امهلهم
فلما تجشم التثليث جاء بالمعنى وترك اللفظ قطعا فقال رويدا المعاني فرائد
عن انوار رحمانية ان في الآية تنبيهات على علو منصب الرسالة وكمال عناية الله
في شان الرسول صلى الله عليه وآله احدها انه لم يامره بمكايدتهم ومماكرتهم
ايذانا بانهم ليسوا ابرات معارضته بل هم اخس واقل واحقر واذل من ان يتصدى صلعم
لمدافعتهم وممانعتهم وثانيها انه قابل كيدهم بكيده تعالى اشعارا بانه تعالى للرسول
بمنزلة المحب الموافق او الاب الشفيق للولد حين تكفل بمخاصمتهم لله وثالثها الاشارة
الى ان كل من خالف امره ونهيه او دنا بحرب من الله كما اليه الاشارة بقوله من
اذى لي وليا فقد آذنته بالحرب وفي رواية من بارز لي وليا فقد بارزني فكيف
بايذاء من هو سيد الانبياء واكمل الاولياء صلعم ومبادرته ورابعها انه امره صلعم
بان يمهلهم ويهملهم ولا يشتغل سره بدفعهم وقمعهم ولا يشوش ضميره المنير ولا يكدره
ولا يوزع خاطره الشريف بالتفكر في خصومتهم بل يلتجئ في استدفاع مضرتهم و

واستكفاء مؤنتهم الى جناب الله الحق ليجازيهم على مكايدهم اسوء الجزاء وساير
افعالهم السيئة من غير ان يسعى هو في ذلك تعظيما لشأنه واجلالا لمكانه واستر فالمبالاة و
تصفية لضميره الذي هو محل الواردات القدسية ومورد السكينات الالهية وخامسها
الدلالة بطريق المفهوم على تسلية خاطره صلى الله عليه وآله بانه تعالى يبيد اعداءه فان
المعنى امهلهم انت ولا تكايدهم فاني اكفيك كيدهم وادفع شرهم فاكتف بكفايتنا
واستظهر بعنايتنا فانا نعصمك من الناس ونكفيك ونعيذك من شر الوسواس الخناس
كل ذلك طمانينة له وتسكينا لقلبه المقدس وفيه ايماء الى انه ينبغي لمن يرقى في الدعوة
ويتدرج في التكميل تمهيل المدعوين ريثما ينظروا ويتفكروا فيقع لمن يهتدي
فيهم من قدرت هدايته وبلفظ الهداية نختم الكلام رجاء ان يجعلنا من المهتدين
حامدين لله على نعمه وسوابغ منحه ومصلين على ملائكته وانبيائه واوليائه خصوصا على
محمد خاتم النبيين واهل بيته وعترته الطيبين الطاهرين جعلنا الله من الذين لا خوف
عليهم ولا هم يحزنون بفضله وكرمه ومنه وجوده ونعمه وحرر هذه السطور مؤلفه محمد المشهور بصدر
الشيرازي جعل الله عين عقله مكحلة بنور الهدى وكشف عنها غشاوة الامتراء فراغ يوم الجمعة
من شهر الله الاصب رجب المرجب لعام الف وثلثين حامدا لله مستغفرا مصليا على نبيه وآله
اجمعين كذا صورة خط المصنف رحمه الله تعالى كتب هذه الدرر المنظوم في كشف اسرار
سورة الطارق للاستاد المتاله اعلى الله مقامه على يدي احوج عباد الله واحوجهم الى رحمة الله
الملك القيوم ابن محمد معصوم رفيع الدين محمد الرضوي عفي عنهما بالنبي
والوصي في شهر صفر ختم بالخير والظفر شهور سنة ١٠٩١

ربنا اخرجنا من هذه القرية الظالم اهلها واعنا على تتميم ما نريد من الخيرات وآلها انك المستعان

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

اللهم اهدني من عندك فهما جديدا وعلمني من لدنك علما مزيدا وصل وسلم شرائف
صلواتك ولطائف تسليماتك على اشرف من عنده علم الكتاب محمد وآله الذين هم خير
من يؤتى الحكمة وفصل الخطاب وبعد فيقول العبد المسكين محمد بن ابرهيم المعروف
بصدر الدين هداه الله صراط الحق واليقين وجعل له لسان صدق في الآخرين
هذه نكات متعلقة بسورة الزلزلة مشيرة الى بعض آياتها المنزلة افاضها الله
من لدنه على قلب هذا الملتجي ببابه من كل باب المنصرف الى كتابه من كل كتاب وبالله التوفيق
وبيده ازمة التحقيق في طلب كل جليل ودقيق والخروج الى شطر كعبة الحق من كل فج
عميق بسم الله الرحمن الرحيم اذا زلزلت الارض زلزالها
كلمة اذا يراد بها الوقت ووقت الآخرة ليس كهذه الاوقات الدنيوية كما ان
يومها وساعتها ليس كايام الدنيا وساعاتها المضبوطة بحركات هذا الفلك
الاقصى اذ نسبة يوم الآخرة الى هذه الايام كنسبة الروح الاعظم الى هذه الارواح الجزئية
ذلك اليوم الحق الذي فيه يمترون ومن خواص ذلك اليوم ان مقداره بالقياس الى
طائفة خمسون الف سنة تعرج الملئكة والروح في يوم كان مقداره خمسين الف سنة
وبالقياس الى طائفة كلمحة واحدة وما امر الساعة الا كلمح البصر او هو اقرب انهم يرونه
بعيدا ونريه قريبا فهذا الوقت المدلول عليه بكلمة اذا ههنا يستوعب ساير الاوقات
والازمنة والساعات وهو بعينه قد وقع ظرفا لزلزلة الارض والاصل في الظروف الزمانية

والمكانية

وقد بين في العلوم [illegible] والقرآنية
البرهانية ان الارض وما فيها دائرة
[illegible]

والمكانية ان يطابق مظروفاتها ويوازيها من الحركات والاجرام فقوله اذا زلزلت
من قبيل قوله يوم نطوي السماء كطي السجل للكتب فكما ان طي السماء لا يختص وقوعه بزمان
الدنيا بل بيوم القيمة ولا يمكن لاحد مشاهدة ذلك الا من كان من اهل الآخرة كما قال سبحانه
والسموات مطويات بيمينه فهي مطوية بيمين الحق بالقياس الى اصحاب اليمين واما من كان من
اصحاب الشمال واهل الجحيم والنكال فليسوا مفتوحي العين ولا حديدي البصر
حتى تقرا الكتب السماوية وتنظروا الى سجل دواتها وطومار اوقاتها دفعة الا
حرفا بعد حرف وكلمة عقيب كلمة ولا لائقة تمكينهم مشاهدة آيات الآفاق والانفس بالحقيقة
الا كشف هذه الذوات والانعام خلف اغشية حجب العزة والجلال واغطية الظلام والوبال
البعد عن عالم النور والجمال فيتوارد عليهم الاوضاع والتغيرات ويتحكم عليهم الازمنة
والاوقات واما من قوي بصره كما هو عند القيمة فيطلع على جميع ما في هذا الكتاب الجامع
للاكوان دفعة واحدة لا يغادر حرفا منه فتلك منطوي عنده السجل الجامع للكلمات
والحروف كما قال النبي صلى الله عليه وآله اوتيت جوامع الكلم واما في السموات
مطويات بيمينه لان اصحاب الشمال وسكان دار الظلمات لا نصيب لهم من طي السموات
لانهم اهل الحجاب كما قيل فهكذا حال هذا الزلزال للارض ليس مما يدركه كل احد لانه غير
مختص الوقوع بوقت جزئي من اوقات الدنيا فلا يشاهده الا من يسمع هذا الاذان في
لان هذه الحواس البشرية تشارك فيها الدواب والانعام مع الناس مختص مشاهدتها ما
تحدث ههنا من الحوادث الجزئية والاكوان الزمانية والقيمة واحوالها من عظايم
الكلية ليست من جزئياتها ان زلزلة الساعة شيء عظيم فكما ان ارض القيمة غير هذه الارض

بوجه لانها مبدلة معوضة وسماؤها غير هذه السماء بوجه لانها مطوية كما قال الله سبحانه يوم
تبدل الارض غير الارض وقوله والارض جميعا قبضته يوم القيمة والسموات مطويات
بيمينه فلذلك زلزلة الارض يوم القيمة غير هذه الزلازل الجزئية تنبيه لمن اهل الحجاب
واصحاب الارتياب ذاهلون عن كون الازمنة والحركات منطوية يوم القيمة منشورة
ههنا ولا يمكن لهم ان يعرفوا بهما جميعا والعجب انهم كما لم يؤمنوا ههنا بطي السموات
وما فيها يوم القيمة لاشتغال قلوبهم باحوال الدنيا فلذلك اذا بعثوا الى الاخرة انكروا
زمان مكثهم في الدنيا ونشر الحركات اذ تشغلهم اهوال القيمة عن ذلك كما قال جل ذكره و
يوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة كذلك كانوا يؤفكون وقال الذين اوتوا العلم
والايمان لقد لبثتم في كتاب الله الى يوم البعث فهذا يوم البعث ولكنكم كنتم لا تعلمون
حجة كلامية لمن في قوله تعالى يوم تذهل كل مرضعة عما ارضعت وتضع كل ذات حمل
حملها بعد قوله ان زلزلة الساعة شيء عظيم دليلا واضحا على ما ذكرنا لدلالة الكلمة على الشمول في
العموم لجميع المرضعات وذوات الاحمال متى كن واين كن تنويه قرآني وتذكير برهاني
لمن نسبة البعث اليه تعالى كنسبة الخلق ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة كما بداكم تعودون
فكما ان الله تعالى من جهة الخلق اوجد جميع الخلايق على كثرتها واختلاف ازمنتها وامكنتها
بايجاد واحد وافاضة واحدة وحدة غير زمانية وهي في انفسها وبقياس بعضها الى البعض
امور متكثرة متجددة مختصة بازمنتها واوقاتها وله تعالى في شان واحد دون شئون
كثيرة اذ كل يوم هو في شان ولا يشغله شان عن شان فلذلك من جهة البعث يبعث
الخلق كلها في ساعة واحدة على صعيد كقوله وانما هي زجرة واحدة فاذا هم بالساهرة

فهذه

فهذه الساعة كلمح بالبصر او هو اقرب من جهة ومن جهة المخلوقات واختلاف قوابلها
واستعداداتها مقداره خمسين الف سنة وعليها يقاس حكم الحركات والامكنة فان لها ايضا
الجهتين قال تعالى نظرا الى الزمان من جهة القرب والوحدة اقتربت الساعة وانشق القمر وان
الساعة آتية لا ريب فيها ويوم يحشرهم كان لم يلبثوا الا ساعة ومن جهة البعد بالقياس الى
اهل الحجاب والظلمات هيهات هيهات لما توعدون ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين
قل لا املك لنفسي نفعا ولا ضرا الا ما شاء الله لكل امة اجل اذا جاء اجلهم فلا يستاخرون
ساعة ولا يستقدمون قل ان ادري اقريب ما توعدون ام يجعل له ربي امدا وقال نظرا
الى المكان من جهة القرب واخذوا من مكان قريب لان جهنم لمحيطة بالكافرين وما هم عنها
بغائبين انا انذرناكم عذابا قريبا يوم ينظر المرء ما قدمت يداه ومن جهة البعد وانى لهم
التناوش من مكان بعيد وقال نظرا الى الوجهين يرونه بعيدا ونريه قريبا فالاول
بالقياس الى المحبوسين في سجن المكان المقيدين بقيد الزمان والثاني بالقياس الى المتخلصين عن
رق الحدثان الناظرين الى حقايق الاشياء بعين العيان اشارة نورية لمن اهتدى في
الزلزال الى الضمير العايد الى الارض الدالة على الاختصاص سر الى لمن هذه نوع حركة
معهودة من الارض مختصة بها واقعة منها على حسب الجبلة والغريزة وانها من مركوزة في
طبيعتها وكالامور الغريزية للاشياء غير منسلخة عنها ولا متراخية الى حين اذا خليت وطباعها
فهكذا احكم هذا الزلزال وقد حقق في العلم الالهية بالبراهين النورانية لمن الارض وكالارض
كالسماء والسموات لها حركة ذاتية جوهرية لا ينفك عنها لحظة وما من طبيعة او ذي طبيعة الا وهو
ابدا في الحركة والاستحالة الجوهرية وبها تطلب الحق الاول ويرجع اليه كما في قوله سبحانه تعالى

فقال لها وللارض ائتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين فالاتيان لله سبحانه اما من
السماء وما فيها فكان في اول الامر على جهة الطوع لكونها مفطورة على كمالها الاتم في
اول النشأة مطيعة لله تعالى بحسب فطرتها الاولى واما اكتسبت الكمال والتقرب الى الله
بحسب فطرة اخرى ونشأة ثانية فالارضيات بعد استكمالها بالنفوس الكاملة الانسانية
صارت مطيعة لله تعالى بلا اكراه كالسماويات فانهما في طريق سلوك الحق والسير الى الله
والاتيان اليه ولهذا قالتا اتينا طائعين وفي الكشاف في معنى هذه الاضافة زلزالها
الذي تستوجبه في الحكمة ومشية الله وهو الزلزال الشديد الذي ليس بعده ونحوه قولك
اكرم التقي اكرامه واهن الفاسق اهانته تريد ما يستوجبانه من الاكرام والاهانة او
زلزالها كله وجميع ما هو ممكن منه انتهى كلامه وقد اجرى الله على لسانه ما يمكن ان يراد منه
مجموع الانفعالات الارضية الواقعة من جملة الارض وما فيها من سائر المركبات التامة
والناقصة وبالجملة اذا اخذت دفعة واحدة وشهدت شهود الاخروي المختص
باهل الآخرة وباهل المعرفة والذين لم يحشروا ابعد بحسب قالبهم الى الله وذلك لانهم قد حشروا
الى الله بقلوبهم وهذه الحركة اذا اخذت هكذا فهي حركة عقلية شوقية من الله مبدأها
والى الله منتهاها وباسم مجريها ومرسيها كما قال تعالى يسئلونك عن الساعة ايان مرسيها
فيم انت من ذكريها الى ربك منتهاها وقد بين ايضا في المعالم الالهية اثبات العقل و
الارادة للارض بالبرهان المنور بانوار القرآن مثل قوله ائتيا طائعين وقوله و
اشرقت الارض بنور ربها وقوله ان الذي احياها لمحي الموتى ومن اكتحلت عين بصيرته
بنور الحكمة الحقة يعلم ان كل جرم غليظا كان او لطيفا فله حيوة ونفس وعقل اذ ما من جسم

في اثبات العقل والارادة للارض

الا وله

الا وله صورة طبيعية هي مبدأ حركته القريب وكل جسم من شأنه التفرق والانقطاع و
التكثر وعند القطع والتكثير ينعدم ذاته ويزول اتصاله وكل طبيعة من شأنها الاستحالة
والسيلان دائما كما حقق في مقامه فالنفس الروحانية هي علة اتصال الاجرام ووحدتها
فالوحدة والاتصال مستفادان في كل جرم من النفس وكذا البقاء والاستمرار والسيلان
طبيعة والاستحالة لها لما مر والنفس لا يتم وجودها الا بالعقل لانها نفس من حيث الفعل و
التدبير طبيعية ومن حيث الذات والحقيقة عقل فثبت ان الارض ذات حيوة نفسانية
ولها كلمة فعالة روحانية واستدل معلم الفلاسفة اسلاف الحكمة على ان الارض ذات
حيوة بانها تنمو وتنبت الكلاء وتنبت الجبال فانها نبات ارض وفي داخل الجبال
حيوانات كثيرة ومعادن وانما تتكون هذه منها لاجل الكلمة ذات النفس فانها
هي التي تصور في داخل الارض هذه الصور وهذه الكلمة هي صورة الارض الفاعلة
فيها هذه الافاعيل ولا يمكن ان تكون حية وتفعل هذه الافاعيل العجيبة العظيمة فانه
كانت حية فانها ذات نفس لا محالة فان كانت هذه الارض الحسية حية وهي صنم
فبالحري ان تكون الارض العقلية حية انتهت حكاية كلامه وبناؤه ان لكل طبيعة جسمانية
صورة عقلية في عالم الارواح العقلية وهي المسماة بالمثل النورية والصور
المفارقة عند شيخه افلاطون ومن تقدمه من الرجال الذين صدقوا ما عاهدوا
الله عليه وعرجوا بنفوسهم الصافية وقلوبهم الطاهرة الى عالم القدس وشاهدوا هذه الصور
الالهية مظاهر اسماء الله تعالى فهم اهل بيت الحكمة كما ان ائمتنا اهل بيت النبوة والولاية
سلام الله عليهم اجمعين وما ذكروه من وجود تلك الصور هو الحق الذي لا ريب فيه عند اولي

فيه كلام في ثبوت المثل النورية

البصائر فان في شيء الاول طبيعة محركة ونفس مدبرة وعقل منوره واسم الهي يوجده و
ليس من شيء الا يسبح بحمده فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء واليه ترجعون
تذكرة في هذه الحركة الارضية التي قد مرت الاشارة الى انها ارادية شوقية عقلية ثبت
واقعة في احدى المقولات الاربع الوضعية لما انها غير محسوسة ولا قابلة لان يحس باحدى
هذه الحواس بل هي حركة ذاتية واقعة في مقولة الجوهر والمقتصرون على البحث من
النظار وذوو الافكار لم يجوزوا الحركة في مقولة الجوهر ولم يمكنهم ان يتفطنوا ابدا بقوة
افكارهم وحدة انظارهم بهذه الحركة الذاتية لان ادراكها يحتاج الى تاييد
الهي والهام نوري رباني يختص باصحاب المكاشفات للقلوب المنورة بنور كمال
ثم العرفان فهم قد راوا بالمشاهدة العيانية ان كل اعيان الجوهرية قائمة التوجه الى الله تعالى
توجها معنويا وحركة ذاتية وما من جوهر عيني له صورة وجودية الا وله بهذا السير الحثيث
الى الحضرة الالهية وهو ابدا في الانتقال من صورة الى صورة ومن طور الى طور
وحركة رجوعية وسير استكماليا كما قال سبحانه وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر
مر السحاب صنع الله الذي اتقن كل شيء فهكذا احكم الانسان فانه ابدا بحسب
غريزته في التبدل والسيلان من نشأة الى نشأة ومن طور الى طور ومن هوية الى
هوية ومع تبدل هذه الهويات عليه يستمر له هوية ثابتة الحكم عليه ان ذاته هي التي كانت
موجودة اولا فله هوية ثابتة هي التي بعينها متبدلة فانظر ماذا ترى وعلى هذه الحركة
الانقلابية للانسان شواهد كثيرة من القرآن فمنها قوله جل اسمه يا ايها الانسان
انك كادح الى ربك كدحا فملاقيه وقوله وينقلب الى اهله مسرورا وقوله انا لله وانا

في اثبات الحركة الجوهرية للارض وغيرها

اليه راجعون وقوله فكل الينا راجعون وقوله خلقكم اول مرة واليه ترجعون
ونظايرها مما هي غير محصورة وهذه الحركة اليه تعالى والى الدار الاخرة لا ينافي الشقاوة و
الكفر بل يعم السعيد والشقي والمؤمن والكافر كما يرى وكذا لا ينافي الذبول الطبيعي و
الموت الطبيعي لان توجه النفس الى جهة الاخرة بعد تمام الاستكمال البدني يوجب
انصراف تدبيرها عن البدن شيئا فشيئا حتى اذا تم التوجه اليها والانصراف عنه
بالكلية عرض له الموت فلهذا المعنى يكون الذبول طبيعيا والموت طبيعيا لا كما اشتهر
بين الناس من ان سببها نقصان القوة في الاول وفناءها في الثاني فاذن قد انكشف
الامر وبزغ الحق في ان الاصل كما فيهما دائم التحول والحركة من جوهر محسوس ادنى الى جوهر
محسوس اعلى ثم تتحرك بعد طي مراتب المحسوسات الجوهرية الى الجواهر الغير المحسوسة فيتحرك
الاخس منها وجودا والاقل آثارا الى الاشرف منها وجودا والاكثر آثارا وهكذا
يتدرج في الاستكمال ويسير في الاطوار السلوكية والاحوال من صورة الى صورة حتى
ينتهي نوبة الانتقال والارتحال من الجواهر النفسانية الى الجواهر العقلانية فاذا وصلت
الى الحضرة الالهية وعالم الاسماء بعد عالم الارض والسماء فيحشر الى اسم من اسمائه
يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وبرزوا لله الواحد تذكرة في هذه
الحركة المعنوية للارض التي تعود بجملة ما فيها ومعها الى الدار الآخرة وترجع بها الى
الله تعالى فقد وقعت الاشارة اليه في آيات كثيرة من الكتاب الالهي مثل قوله يا ايها
الناس ان كنتم في ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة الى قوله
وذلك بان الله هو الحق وانه يحيي الموتى وانه على كل شيء قدير وان الساعة

الارض

قوله عز من قائل نأتي الارض ننقصها

آتية لا ريب فيها وان الله يبعث من في القبور وقوله وسيق الذين كفروا الى جهنم زمرا
الى قوله قيل ادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين وسيق الذين
اتقوا ربهم الى الجنة زمرا الى قوله فادخلوها خالدين وقوله عز من قائل واخرجت
الارض اثقالها اذا فهمت ما مر من الكلام علمت ان هذا مؤكد لما ذكرناه ومنور لما
قررناه اذ فيه اشارة الى غاية هذه الحركة الارضية فان الحركة لا بد لها من غاية بل ليس
معناها الا التادي الى غاية والطلب لكمال والخروج من قوة الى فعل ولهذا حدت
بانها كمال اول لما بالقوة من حيث هو بالقوة فغاية زلزلة الارض ظهور اواخرها
فيكمن مستعدا انتهائها وبروز نهايات كمالاتها الجوهرية يوم القيمة من افراد النفوس
الانسانية السعيدة او الشقية وكذا افراد نفوس الشياطين والجن المعبر عنها جميعا
بالاثقال جمع ثقل وهو متاع البيت ومتاع المسافر شبه اخراج امتعتهم داخل
بيته الى عرصة التميز وموضع الاشهاد ليظهر الجهام كاسدها وصحيحها من فاسدها
وتميز خبيثها من طيبها وكذلك يوم عرض الخلائق في عرصة القيمة ليميز الله الخبيث
من الطيب فيعرف اعمالهم وافعالهم وضمايرهم ونياتهم ثم يجزون بما كانوا يعملون
فيثابون او يعاقبون هداية حكمية ليس لاحد ان ينكر صحة اجتماع الخلائق كلهم
من الاولين والآخرين في وقت واحد على ساهرة واحدة بعد ما بليت اجسادهم
ورمت عظامهم كما حكى الله سبحانه عن المنكرين الجاحدين لامر المعاد وامر نبيه
بالقول الهادي الى طريق السداد وسبيل الرشاد فقال يقولون ءاذا كنا عظاما
ورفاتا ائنا لمبعوثون او آباؤنا الاولون قل ان الاولين والآخرين لمبعوثون

لميقات

لميقات يوم معلوم وذلك لان القدرة واسعة والعناية داعية والحكمة مقتضية و
الموانع ساقط اذ زمان الآخرة يسع الازمنة كلها وكذا مكانها الامكنة والله سبحانه
يمد سطح الارض في ذلك اليوم بقدرته مد الاديم كما ورد في الخبر عنه ص وكما قال
سبحانه واذا الارض مدت والقت ما فيها وتخلت واذنت لربها وحقت
ومما يثبت ذلك عقلا ان الزمان بكميته الاتصالية شخص واحد موجود في وعاء الدهر
وكذا الحركة القطعية بامتدادها الاتصالي لها هوية مقدارية حاضرة عنده
من الملئكة والنبيين والشهداء وكذا كل ما يقترن الزمان والحركة لها حضور جمعي
يوم الجمع لا ريب فيه فسطح الارض وان كان في كل زمان يحمل ما عليه غير ما هو في
زمان آخر سابقا كان او لاحقا لعدم اجتماع اجزائه كلها ولعدم حضور ما
يقارنها ويوازيها من المتجددات والمتغيرات من المتجددات والمتغيرات عند
المحبوسين في سجن المكان المقيدين بقيود الزمان بل في كل زمان يسع وجه
الارض عددا معينا محصورا من الخلائق ثم ينزع عنها ويسع خلقا جديدا
غيرها الا انه اذا انكشف الغطاء واخذت جملة الزمان متصلا واحدا كما
هو عند المرتفعين عن قيود عالم الزمان والمكان كان يجب ان يتصور شكل
وجه الارض على هيئة سطح واحد متصل متضمن جميع السطوح الارضية الموجودة
كل منها في زمان معين من الازمنة الكائنة من ابتداء وجود هذا العالم الى
انتهائه ويكون جميع هذه السطوح التي لا يمكن احصاؤها سطحا واحدا يسع الخلائق
كلها يوم القيمة الموجودة في الآزال والآباد واذا اخذ ذلك السطح على هذا

الوجود لم يكن من ذوات الاوضاع الحسية اذ ليس حاصلا في جهة معينة من الجهات ولا في زمان
معين من الازمنة ولا محسوسا باحدى هذه الحواس بل انما تدرك الحواس الاخرة وهكذا المجموع
الامكنة اذا اخذت جملة واحدة لم يكن موجودا حسيا له وحدة حسية بل موجودا عقليا
له وحدة عقلية وهكذا المجموع عالم الاجسام بما هو مجموع ليس مما يناله الحس بل الشعور به اما
العقل بذاته او بالة اخرى من سنخ عالم الاخرة اذ ليس لعالم الاجسام كله وضع
خاص ولا اليه اشارة حسية ولا له جهة ولا مكان فاذا كان وجود سطح الارض
على هذا الوجه من مقدورات الله من غير شبهة ولا ريب لانه مما قاد اليه البرهان وحكم
به الوجدان ولا تنازع فيه لاحد ممن له قدم راسخ في المعارف العقلية وقدر اض نفسه
بالرياضات الحكمية وحقق الامر في نسبة المتغيرات والمتجددات الى الثابتات والكلمات
التامات وعلم معنى الدهر والسرمد ونحو وجود الحركة بهويتها الاتصالية والزمان
بكميته الامتدادية التجددية وما انطبقا ووجدا معه وبه بالذات او بالعرض فكيف
تقصر قدرته جلت كلمته عن جميع الخلايق كلها دفعة واحدة في ساهرة واحدة كما قال
فانما هي زجرة واحدة فاذا هم بالساهرة وكذا قوله فاذا نفخ في الصور نفخة واحدة
وحملت الارض والجبال فدكتا دكة واحدة وقوله ان كانت الا صيحة واحدة فاذا
هم جميع لدينا محضرون قوله عز من قايل وقال الانسان ما لها هذا القول منه
يحتمل ان يكون بلسان الحال طبق لسان المقال يعني لم وجد لان ينكشف عاطرا
لها في الزلزال من الاحوال والشدايد والاهوال وذلك عند النفخة الثانية لما لفظت ما
في بطنها واخرجت امواتها احياء فيعلم ان الغرض الداعي لها في هذه الزلزلة خروج

الاموات

الاموات من بطنها احياء كما يخرج الجنين من رحم الام عند اضطرابها وانزجارها وقد
روى محمد بن علي بن بابويه القمي رحمه الله في كتاب من لا يحضره الفقيه بسنده المتصل الى
جابر بن عبد الله الانصاري قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله اذا انقطع الرزق
المقدر للولد من سرة امه زجره الملك زجرة فانقلب فزعا من الزجرة وصار راسه
قبل الفرج فاذا وقع الى الارض وقع الى هول عظيم في حديث طويل فالمعنى والله
اعلم ان حضور الخلايق يوم القيمة وحشر النفوس الانسانية الى الله تعالى بعد انقضاء
تكونها التدريجي وانقطاع حيوتها الدنيوية المسبوقة بالتكوينات المادية والاستحالات
الارضية والتطورات الاستكمالية بكشف الغطاء عن لميته حركات الارض وزلزالها
وتفصح عنها لان هذا اليوم يوم كشف الغطاء ويوم بروز الحقايق وظهور السراير فيكون
هذا الكلام موصولة ويؤيد هذا قوله عز من قايل يومئذ تحدث اخبارها بهذا
التحديث منها على سبيل الحقيقة لان حقيقة الكلام ابداء ما في الضمير واعلام المكنونات
مع الارادة سواء كان بغير لسان كلام الله وكلام الملك او بلسان فالاول بان يكشف
عنها يوم القيمة دقايق صنع الله فيها وعجايب حكمته في خلقها والغايات خلقت لاجلها
وسيقت اليها وبعثت لها واما الثاني فبعد صيرورتها جوهرا ناطقا انطق الله الذي
انطق كل شيء اذ ما من شيء الا وهو ناطق اما بالفعل او بالقوة فيخرج من حد القوة الى حد
الفعل بالحركة الاستكمالية المعنوية التي مرت اليه الاشارة كما قال جل ذكره هو الذي اعطى
كل شيء خلقه ثم هدى فهذه الهداية الالهية التي يخرج الله بها الخلايق الى رحمته و
يسوق بها الى رضوانه وذلك بعد ادخال كل من المكونات في باب الانسانية اذ هو

عبادهم

باب الله الموفق منه وصراط المستقيم اليه فيوخذ كل شئ اليه بالنواصي والاقدام وما من
دابة الا هو اخذ بناصيتها ان ربي على صراط مستقيم والدابة كل ما يمشي وما من كائن
في العالم الا وهو ماش كما مر وله صوة وتسبيح خاص ويذكر الله باسم خاص يشير به الى
جانب الحق وهكذا عند صاحب الكشف والشهود وكل ماش فهو على صراط الانسانيه
والحق آخذ بناصيته ويتصرف فيه ويجره اليه بحسب اسماء يسلك بها اليه والكل متعين من
هذا الوجه والضلال من العوارض الطاريه كما ان الرحمة وسعت كل شئ والغضب
عارض فان مآل الكل الى الرحمة التي وسعت كل شئ وقد انساق الكلام ههنا الى مقام يدق
عن دركه خواطر الانام بل يضيق عن الجنية حواصل افهام الفضلاء الكرام فضلا عن
اصحاب العقلة والكلام وفي الكشاف هو مجاز عن احداث الله تعالى فيها من الاحوال ما
يقوم مقام التحديث حتى ينظر من يقول ما لها الى تلك الاحوال فيعلم لم زلزلت ولم لفظت
الاموات وان هذا ما كانت الانبياء ينذرونه ويحذرون منه وقيل ينطقها الله
وتخبر بما عمل عليها من خير وشر وروي عن رسول الله صلعم تشهد على كل احد بما عمل على
ظهرها وهذه كاحوال غير منافية لما ذكرنا بل موكدة لما بيناه وقوله سبحانه يومئذ
بدل من اذا وقع في حيزه فيكونان معمولي فعل واحد ينصبهما وهو تحدث ويجوز ان
ينتصب الاول بفعل مضمر مثل اذكر او ما يجري مجراه والثاني بتحدث ومفعوله الاول
محذوف والثاني اخبارها وفي قراءة ابن مسعود تنبئ اخبارها وسعيد بن جبير
تنبئ قوله عز قائل بان ربك اوحى لها الباء للسببية وهي متعلقة بتحدث
اي تحدث اخبارها بسبب ايحاء ربك يا محمد لها وامره اياها بالتحديث بالسنة ناطقة

العقلة

باذن الله من مواضع النطق والاعلام ومشاهد الاظهار والاخبار وذلك بحسب
صور كمالاتها الاخرويه وغايات استكمالاتها المؤديه الى النشأة الثانية نشأة تجرد الارواح
والنفوس وموطن المجازاة على الاعمال والحركات ومثل هذا التحديث من الارض
في ذلك اليوم شهادة الايدي والارجل والجلود بما كانوا يعملون فكما ان الاعمال البشريه
والافعال الصادره من افراد الانسان مدة كونهم في هذه الدار يتادى بهم يوم
الاخره الى صور وهيئات تقتضيها الاخلاق والنيات الحاصلة من تكرر تلك الاعمال
والافعال وبحسبها تشهد عليهم سمعهم وابصارهم وجلودهم بما كانوا يكسبون وقالوا
لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا انطقنا الله الذي انطق كل شئ فكذلك حكم زلزلة
الارض واندكاك الجبال وانشقاق السماء ينطق كل منها بلسان يخصه ويفصح
بوحي يوحى اليه عن احواله وافعاله بنطق حسي او عقلي كما اوحاه الله اليه وانطقه
به وقوله اوحى اليها وقيل الباء للصلة ويكون المعنى يومئذ تحدث بتحديث
ان ربك اوحى لها اخبارها على ان تحديثها بان ربك اوحى لها تحديث باخبارها
كما تقول نصحتني كل نصيحة بان نصحتني في الدين وقيل يجوز ان يكون بان ربك بدلا من
اخبارها كانه قيل يومئذ تحدث باخبارها بان ربك اوحى لها لانك تقول حدثته
كذا وحدثته بكذا وقوله عز قائل يومئذ يصدر الناس اشتاتا اي صدور الناس
وخروجهم من مكامن قبورهم واجداثهم واجساد الارضيه الى الله تعالى كما في قوله فاذا
هم من الاجداث الى ربهم ينسلون وقوله يوم يخرجون من الاجداث سراعا كانهم
الى نصب يوفضون وبروزهم من غشيتهم المادية واغطيتهم الهيولانية الى عالم

الا وهي كامنة فيه وبرزوا لله جميعا اشتاتا متفرقين وانواعا متكثرين فيحشر الخلائق على
انحاء مختلفة حسب اعمالهم وافعالهم ونياتهم ومعتقداتهم فلقوم على سبيل الوفد يوم نحشر المتقين
الى الرحمن وفدا ولقوم على نهج سياق الدواب ونسوق المجرمين الى جهنم وردا ولقوم اذ الاغلال
في اعناقهم والسلاسل يسحبون في الحميم ثم في النار يسجرون ولقوم ويوم نحشر المجرمين يومئذ
زرقا ولقوم ونحشره يوم القيامة اعمى وقوم مكبون على وجوههم افمن يمشي مكبا على وجهه و
بالجملة يحشر كل احد الى غاية سعيه ونهاية عمله وما كان يحبه في الدنيا ويعمل لاجله حتى انه
لو احب احدكم حجرا لحشر معه فان تكرر الافاعيل يوجب حدوث الملكات وكل ملكة
وصفة نفسانية تغلب على باطن الانسان يتصور في الآخرة بصورة تناسبها قل كل
يعمل على شاكلته ولا شك ان افاعيل الاشقياء المردودين المدبرين انما هي بحسب هممهم
القاصرة النازلة في مراتب البرازخ الحيوانية وتصوراتهم مقصورة على اغراض بهيمية
او سبعية تغلب على نفوسهم فلا جرم يحشرون على صور تلك الحيوانات المناسبة لافعالهم
وملكاتهم كما في قوله تعالى واذا الوحوش حشرت وفي الحديث يحشر بعض الناس على صورة يحسن
عندها القردة والخنازير حكمة الهية ان الانسان من حيث بدنه الدنيوي ونفسه المتعلقة بها
نوع واحد وله حد واحد ولكن من جهة نشأتها الثانية والصور الاخروية الفايضة على مواد
النفوس بحسب هيئاتها النفسانية سيصير انواعا كثيرة والسبب اللمي في ذلك ان النفس الانسانية
لها جهتان جهة قوة وجهة فعل فهي من حيث فعليتها صورة فايضة على مادة البدن
وهي من هذه الحيثية امر واحد هو مبدأ فصل الانسان يمتاز به عن سائر المركبات الحيوانية
وغيرها واما من جهة كونها بالقوة فلها استعداد كل صفة من الصفات النفسانية ولها

قوة كل صورة من الصور الاخروية فيخرج من القوة الى الفعل في كل امر يغلب عليها صفاته
وهيئاته وهاتان الجهتان لا تكثران ذاته ولا توجبان تركيبه من مادة وصورة لانها
بحسب نشأتين فما هو صورة في هذه النشأة فهو بعينه مادة للنشأة الثانية فهي كانها واسطة
بين الطرفين وبرزخ بين العالمين وحاجز بين البحرين وسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره
من قبله العذاب ولهذا المعنى سماها بعض المحققين طراز عالم الامر لانها نهاية الجسمانيات
وبداية الروحانيات فثبت بالحكم الموضح والبرهان النير ان الانسان وان كان بحسب
النشأة الحسية نوعا تحته افراده متماثلة الاعداد الا انه عند خروج اعداد نفوسها
من القوة الهيولانية الى فعل الصور الباطنية ستصير انواعا متخالفة بحسب غلبة الصفات
ورسوخ الملكات كل نوع من جنس ما يغلب عليه من صفات البهائم او السباع او الشياطين
او الملائكة اذ قد خمر في طينة الانسان من جهة قوته العلمية المنشعبة الى العاقلة المدركة
للكليات بذاتها والواهمة المدركة للجزئيات بآلاتها الخيالية والحسية والعملية الشوقية المنشعبة
الى قوة الشهوة لطلب الملائم وقوة الغضب لدفع المنافي فهذه رؤساء القوى المركوزة
في جبلة الآدمي وبكل قوة منها اشترك جنسا من اجناس الملائكة والشياطين والبهائم و
السباع وليس في جوهر الممكنات شيء خارج عن هذه الاربع فاذا صارت القوة فعلا والاستعداد
صورة وبرزت الاعتقادات والسرائر وظهرت النيات والضمائر وبعثر ما في القبور
وحصل ما في الصدور وبرزت الجحيم لمن يرى وازلفت الجنة للمتقين فكل انسان
يكون يوم القيمة اما بهيمة من البهائم ان كان الغالب عليه صفة الشهوة والحرص وما يجري
مجريهما من فروعات النفس الشهوية واما سبع من السباع ان كان الغالب عليه صفة الغلبة

وحب الرياسة وامثالها من دواعي النفس الغضبية واما شيطان من الشيطان ان كان
الغالب عليه المكر والجربزة وشبههما من دواعي النفس الشيطانية واما ملك من الملائكة
ان كان الغالب عليه ادراك المعقولات والتجرد عن الجسمانيات والسلامة عن جنود
الشهوانية فافراد كل نوع وان كانت متماثلة الحقيقة في عالم الشهادة وتحت الظاهر
متخالفة الحقايق بحسب الباطن عند الحشر فمفهوم ما يصدق عليها احد الانسانية وهو الجوهر
النامي الحساس المميز المتفكر وما هو مبدأ فصله الاخير معنى واحد وهو الجوهر النطقي والعقل
المنفعل منه وهو بعينه يصير مادة صورة الاخروية والمعنى الواحد ولئن لم يجز ان يكون
فصلا وصورة لحقايق مختلفة ولكنه يجوز ان يكون جنسا او مادة لحقايق مختلفة وذلك
لاعتبار التعين والتحصل في الاول والابهام والنقص في الثاني والنفس صورة تمامية لهذه
الاجسام الحسية الدنيوية ومادة منفعلة للصور الاخروية وللنشأة الثانوية وهذا المعنى امر
ثابت محقق عند ائمة الكشف والشهود ومعتضد باشارات قرآنية ورموز نبوية دلت عليه
آيات كثيرة وروايات غير يسيرة اما الآيات فمثل قوله تعالى ويوم تقوم الساعة يومئذ
يتفرقون وقوله ويوم نحشر من كل امة فوجا ممن يكذب باياتنا فهم يوزعون وقوله و
امتازوا اليوم ايها المجرمون وقوله افنجعل المجرمين كالمجرمين وقوله ام نجعل المتقين
كالفجار وقوله هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون وقوله سواء محياهم ومماتهم
كله على سبيل الاستفهام الانكاري وهو ابلغ ومما يدل على كون الانسان متحد الماهية في النشأة
الدنيا والفطرة الاولى مخالف الحقايق في النشأة الاخرى والفطرة الثانية من جهة كسب
اعمال واعتقادات وملكات قوله كان الناس امة واحدة فاختلفوا وقوله ولو شاء

المسلمين

لجعلكم

لجعلكم امة واحدة ولكن يضل من يشاء ويهدي من يشاء وقوله يوم ينفخ في الصور فتأتون
افواجا ومن هذا الباب الآيات الدالة على النسخ فان المراد منها نسخ البواطن وقد
اولها اهل التناسخ على انتقال النفوس الى ابدان اخر حيوانية في هذه النشأة وحرفوا
الكلم عن مواضعها وقد بينا فساد ما ذهبوا اليه في موضعه ببرهان خاص عرشي لا يليق
بذكره الكلام وهي مثل وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا امم امثالكم ما فرطنا
في الكتاب من شيء وكقوله يوم يسحبون في النار على وجوههم وقوله افمن يمشي مكبا على وجهه
اهدى امن يمشي سويا على صراط مستقيم وقوله الذين يحشرون على وجوههم الى جهنم
اولئك شر مكانا واضل سبيلا وقوله ونحشرهم يوم القيمة على وجوههم عميا وبكما وصما
مأويهم جهنم كلما خبت زدناهم سعيرا وقوله ان شر الدواب الصم البكم الذين لا
يعقلون وقوله كل يعمل على شاكلته وقوله ان هم الا كالانعام بل هم اضل وقوله في
حق بلعم وامثاله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث او تتركه يلهث ذلك مثل القوم الذين
كفروا من النار فهذه كلها اشارة الى مسخ البواطن واما الحديث فكما ورد كقوله ص
يحشر الناس يوم القيمة على صور نياتهم وقوله يحشر الناس على وجوه مختلفة وقوله عم
الله في صفة قوم اخوان العلانية اعداء السريرة السنتهم احلى من العسل وقلوبهم امر من
الصبر يلبسون للناس مسوك الكباش من اللين وقلوبهم كقلوب الذئاب وقول امير المؤمنين ع
الناس ابناء ما يحسنون فهذه الاحاديث ايضا دالة على مسخ البواطن وانقلابها وهذا
كثير في هذه الامة فترى الصورة انسانا وفي الباطن غير تلك الصورة من ملك او شيطان او
كلب او اسد او ذئب او قردا او خنزيرا او غير ذلك كما اكثر المسخ في الصورة الظاهرة في

ظاهر
عن سواء السبيل

الملك الخلاق

بني اسرائيل كما قال سبحانه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت وقوله كونوا
قردة خاسئين وقد بينا في الشواهد الربوبية منشاء الفرق بين مسخ الظواهر على هذا النحو
الجائز الذي كان في قوم موسى ع وبين التناسخ على الوجه المستحيل الذي ذهب
اليه التناسخية والغلاة في جواز ذلك وبطلان ما ذهبوا اليه وهذا ايضا من العلوم الشريفة
التي تختص باهل القرآن وهم اهل الله وخاصته كما ورد في الحديث قوله عز قائل
ليروا اعمالهم قيل اي جزاء اعمالهم بحذف المضاف ولا حاجة اليه لما تحقق عند اهل
الحقيقة ان الصور الاخروية هي صور الاعمال القلبية والنيات الباطنة وهذه الصور سواء
كانت مولمة كما للاشقياء او ملذة كما للسعداء موجودة الآن في باطن كل انسان الا انها
مستورة محتجبة عن الابصار غير مترتبة عليها الآثار لخفائها وضعفها وانما موطن
ظهورها والتذاذها وايلامها هو الدار الآخرة فلا فرق بينها في الدنيا والآخرة الا
من جهة الخفاء والظهور ولهذا قال ليروا اعمالهم وقال ووجدوا ما عملوا حاضرا و
قراءة النبي ص ليَروا بالفتح وهذا اصرح في هذا المعنى واشد ملائمة لما بعده وقرأ
ابن عباس وزيد بن علي ع يُره بالضم وفيه وجه آخر وهو انه قد مر ان افراد الانسان
بحسب مزاولة الاعمال الحسنة والسيئة يحشرون على وجوه مختلفة وانهم ابناء ما عملوا و
ثمرات ما فعلوا فيصدق على المحشور من كل واحد انه صورة عمله كما قال سبحانه في حق
ابن نوح النبي ع انه عمل غير صالح وقال قل كل يعمل على شاكلته فربكم اعلم بمن هو اهدى
سبيلا وفي الخبر خلق الله الكافر من ذنب المؤمن فتذكر وهذه اللام للغاية اي يصدر
الناس شتاتا من مقابرهم واجداثهم الى الآخرة ويخرجون يوم القيمة شتاتا متفرقين على

صور

صور مختلفة وهيئات متباينة ليشاهدوا صور اعمالهم وغاية سلوكهم ودركاتهم ومنتهى
قصودهم ونياتهم وجزاء حسناتهم وسيئاتهم فيثابون او يعاقبون بحسبها قوله عز قائل
فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره الذرة
النملة الصغيرة وقيل الذر ما يرى في شعاع الشمس من الهباء المنثور في الهواء اي كل احد اذا
بعثر ما في القبور وحصل ما في الصدور يرى ما عمل في الدنيا من خير او شر محض او يصادف
دقيق ذلك او جليله في ميزان عمله وكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها ووجدوا
ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك احدا وذلك الكتاب اما صحيفة ذاته او صحيفة اعلى منها فكل
انسان يكون بعد كشف غطائه ورفع حجابه وحدة بصره مبصر النتايج اعماله مشاهدا
لآثار افعاله قاريا لصحيفة كتابه مطلعا على حساب حسناته وسيئاته قال الله سبحانه
وكل انسان الزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيمة كتابا يلقاه منشورا اقرأ كتابك
كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا فمن جملة احوال القيمة نشر الصحايف وتطاير الكتب لان
صحايف الاعمال وكتب القلوب والواح النفوس واقلام العقول كلها مكنونة ههنا
مطوية مستورة عن الابصار في الدنيا وهي بارزة منشورة يوم القيمة مكشوفة على
الابصار كما ان منشورات هذا العالم يصير مطوية في الآخرة لان الارواح مستترة ههنا
في هذه الاجسام وفي القيمة على عكس هذه الحال فكل ما يدركه الانسان ههنا بحواسه او
يعلمه او بجوارحه والاته يرتفع منه اثر الى الروح ويجتمع في صحيفة قلبه ويختزن في خزانة
معلوماته كما قال سبحانه هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون و
هو كتاب منطو اليوم عن مشاهدة الابصار والحواس فاذا ارتفع الحجاب وانكشف

الغطاء وزال غبار الطبيعة عن لوح النفس والخلاص بعد كل احد في ذاته ما يغيب عن بصره في
الحيوة الدنيا مسطورا مكشوفا فيطالع صحيفة ذاته ويقرأ كتاب نفسه واذا حان وقت
لن يقع بصره الا وجه ذاته عند فراغه عن اشغال الحيوة الدنيا وما يورده الحواس و
النقالة الى صفحة باطنه ووجه قلبه وهو المعبر عنه بقوله واذا الصحف نشرت فكان في
غفلة عن احوال نفسه وروحه تقول عند حضور ذاته لذاته وكشف غطائه وحدة بصره
عند البعث ومطالعة صحيفة كتابه ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها
ووجدوا ما عملوا حاضرا يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء
تود لو ان بينها وبينه امدا بعيدا ومما يجب ان يعلم ان الانسان لما كان الغالب
عليه التصورات العقلية والتأملات القدسية وفعل الخيرات والطاعات فيكون كتابه في
عليين وعليون هم الملئكة المقربون المرتفعون عن حضيض الاجرام ان كتاب الابرار
لفي عليين وما ادريك ما عليون كتاب مرقوم يشهده المقربون ولما كان الغالب عليه
فعل الخيرات والحسنات وسلامة الصدر عن الامراض النفسانية ومبادي الشرور فهو
من اصحاب اليمين ويأتي كتابه من جانب اليمين فاما من اوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا
يسيرا وينقلب الى اهله مسرورا ولما كان من الفجار المنافقين الذين قرؤا الكتاب بالمكنة
استعدادهم ودرسوه ثم لم يعملوا به لمرض قلوبهم واهملوه فنبذوه وراء ظهورهم
واشتروا به ثمنا قليلا فبئس ما يشترون فيأتي كتابه من وراء ظهره فسوف يدعو
ثبورا ويصلى سعيرا ولما كان من الجهال المردودين الى اسفل السافلين المجرمين
المنكوسين فهو من اصحاب الشمال ويأتي كتابه من الجهة السافلة وعالم النكال والوبال

واما من

واما من اوتي كتابه بشماله فيقول يا ليتني لم اوت كتابيه ولم ادر ما حسابيه
فالطائفة الاولى من اهل البرهان واليقين وهم السابقون السابقون اولئك
المقربون درجتهم في اعلى عليين وكتابهم في صحف مكرمة مرفوعة عن النسخ والتغيير لا يمسه
الا المطهرون عن ادناس الطبيعة بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ عن مس الشياطين
المضلين واما الثانية فهم اهل السلامة فسلام لك من اصحاب اليمين وحسن الظن بربهم
فاما من اوتي كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقرؤا كتابيه اني ظننت اني ملاق حسابيه فهو
في عيشة راضية في جنة عالية واما الثالثة فهم اهل الكشف والجحود والعداوة لاهل
الله والنفاق وهم الذين يكذبون بيوم الدين كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا
يكسبون كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ولا كتاب لهم في يوم القيمة اذ
كتابه هو الذي نبذه وراء ظهره واشترى به ثمنا قليلا وانما قرينه الشيطان
بتسويلاته وتخييلاته المضلة واغاليطه الكاذبة ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له
شيطانا فهو له قرين فاذا كان يوم القيمة قيل له خذ كتابك من وراء ظهرك من
الموضع الذي نبذته فيه في حيوتك الدنيا قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا
فانه حين نبذه وراء ظهره ظن ان لن يحور ارجع كما قال ع فقلت لهم
ظنوا بالتي هي ادعج ارجعوا واما الرابعة فهم اهل الجهل والظلمات المحترقين
بنار الشهوات المختوم على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى ابصارهم غشاوة ولهم عذاب
عظيم كالملعنة فعليهم عذاب اليم مرجعهم اسفل سافلين وكتابهم في سجين ان كتاب الفجار
لفي سجين كتاب مرقوم بالكلمات الباطلة والنفوس المعطلة صالح للاحتراق بنار الجحيم

الشك

فان اصل كل سعادة هو العلم واليقين ومادة كل شقاوة هي الجهل بالله وبيوم الآخر
والنفوس في اول الامر بمنزلة صحيفة قرطاس خالية عن ذكر الحسنات والسيئات فاذا
انتقشت بالعلوم والحكم وكالات صلحت لان يكتب فيها اسرار الملكوت واذا انتقشت
في بعضها بالكلمات الواهية المزخرفة المعطلة لم يصلح الا للاحتراق بالنار ولا محاق
حكمة قرآنية اعلم ان القول والفعل ما دامت حقيقتهما في اكوان الاصوات و
الحركات فلا حظ لها من البقاء والثبات فاذا انكونت بالوجود الكتبي حصلت لها
مرتبة من البقاء والثبات وكذا كل من فعل فعلا وتكلم بكلام حصل منه اثر في نفسه و
حاله يبقى زمانا واذا تكررت الآثار في النفس فصارت الاحوال ملكات يصدر بسببها
الافعال بسهولة من غير روية وقصد وحاجة الى تجشم اكتساب وبهذا اعتبار فالحال
والملكة في عالم النفس بازاء التكلم والكتابة في عالم البدن ومن هذا يستنبط الصنايع و
يتعلم المكاسب العلمية والعملية ولو لم يكن للآثار الحاصلة في النفس من الاعمال والاقوال
دوام وثبات وقوة واشتداد يوما فيوما لما حصل لاحد ملكة راسخة لم يكن لاحد تعلم شيئا
من الصنايع والحرف ولم ينجع فيه التهذيب والتاديب ولم يكن في تاديب الاطفال و
تمرينهم فايدة ولما لهم تفاوت من اول الحداثة الى اقصى الكمال ويكون التكليف
الشرعي عبثا لا فايدة فيها في العاقبة فعلم ان الآثار الحاصلة من الافعال والاقوال
في القلوب والارواح بمنزلة النقوش الكتابية في الالواح اولئك كتب في قلوبهم الايمان
وايدهم بروح منه وتلك الالواح النفسية يقال لها صحايف الاعمال وتلك الصور و
النقوش الكتابية يحتاج في حصولها الى مصور وكاتب لانها ممكنة معلولة والممكن لا ينفك

عن علة

عن علة القريبة فالمصورون والكتاب كناية عن هذه الابصار هم الكرام الكاتبون
المرتفعون عن الوقوع في نقايص هذا العالم الغائبون عن ادراك حواس الناس
الا اهل الله وهم ضرب من الملائكة المتعلقة باعمال العباد والاقوال ما يلفظ من
قول الا لديه رقيب عتيد وانهم طائفتان احدهما ملائكة اليمين وهم الذين
يكتبون اعمال اصحاب اليمين والاخرى ملائكة الشمال وهم الذين يكتبون اعمال اصحاب
الشمال اذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد وفي الحديث ومن قال سبحان
الله العظيم غرست له نخلة في الجنة وفي الخبر لمن عمل حسنة كذا يخلق الله منها ملكا يثاب به
ومن عمل سيئة كذا يخلق منها شيطانا يعذب به قال تعالى ان الذين قالوا ربنا الله
ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة الى قوله نحن اولياؤكم في الحيوة الدنيا وفي الآخرة
وفي الطرف الآخر قوله هل انبئكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل افاك اثيم و
كذلك قوله ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين واعلم ان هذا المبدأ
الداعي للنفوس الى الخير او الشر هو المسمى عند الحكماء باسم الملائكة وعلى لسان الشريعة
باسم الملك والشيطان احدهما الملهم للخير والآخر الملهم للشر ولو لم يكن لتلك الملكات
من البقاء والثبات ما يبقى ابد الدهر لم يكن لخلود اهل الطاعة في النعيم واهل
المعاصي في الجحيم وجه كما اشرنا اليه فان منشأ الثواب او العقاب على وجه التسجيل
لو كان نفس العمل والقول وهما زايلان فكيف يتصور بقاء الحكم مع زوال
السبب الموجب وكيف يكون الفعل الجسماني الواقع في زمان معين قليل المقدار باعثا
للجزاء السرمدي ومثل هذه المجازاة لا يليق بالحكيم وقد قال وما انا بظلام للعبيد و

وقال ذلك بما كسبت قلوبكم ولكن انما يخلد اهل الجنة في الجنة واهل النار في النار
بالثبات والدوام الحاصلين للاخلاق والملكات وفي كلام بعض اوايل الحكماء
انه سيعارض لك في اقوالك وافعالك وسيظهر لك من كل حركة قولية وفعلية في الآخرة
ومنشأ ذلك ان مواد الصور الاخروية هي التصورات الباطنية والتاملات الفكرية
والاذكار وفي الحديث ان الجنة قاع صفصف وان غراسها سبحان الله فالانسان
اذا انقطع وانكشف عنه الغطاء وتجرد عن غشاوة الطبيعة كان الغيب له
شهادة والعلم عينا والخبر معاينة الى هنا وصل البنان مستحفظ سفوداته
اعلى الله مقامه وكان آخر ما اراد ايراده في تفسير هذه
السورة وكتب العبد الضعيف المحتاج الى رحمة ربه القيوم
رفيع الدين محمد بن محمد معصوم عفا الله ذنوبهما وستر
عيوبهما بالنبي وآله الطاهرين المعصومين
في يوم الاربعا احدى عشر من شهر
صفر لسنة الف واحدى وتسعين
في بلدة دليجان صانها الله
عن الحدثان م